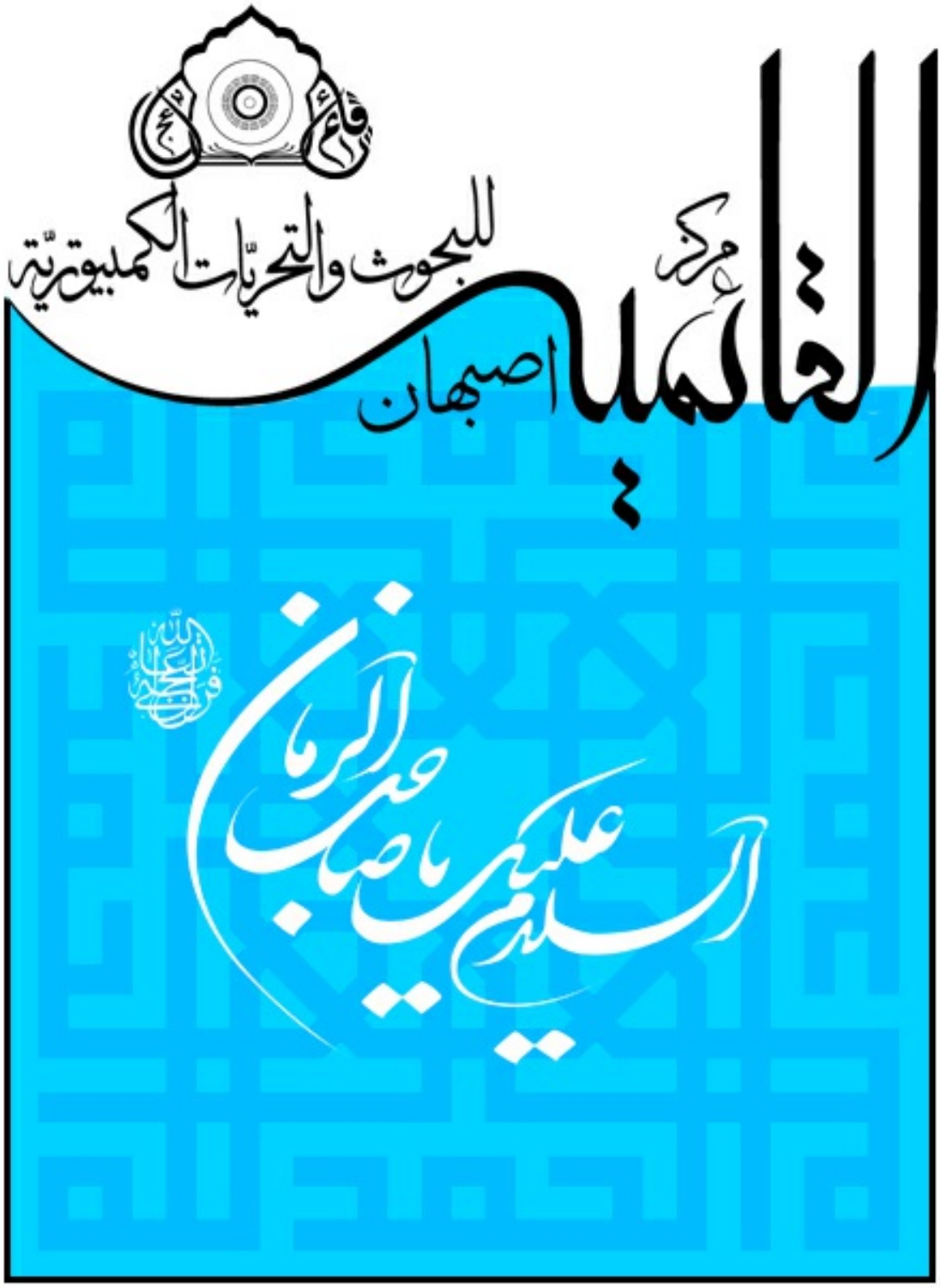

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها
مؤسسة آل البيت لإحياء التراث

العدد الرابع (١٣) - السنة الثالثة - شوال ١٤٠٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحیم

مجلّة تراثنا

كاتب:

موسسة آل البيت عليهم السلام لاحياءالتراث

نشرت في الطباعة:

موسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

تراثنا المجلد 13 6

هوية الكتاب 6

الفهرس 6

السيد على العدنانى الغريفى 12

السيّد هاشم الهاشمى 44

الشيخ محمدعلى الحائرى الخرّم آبادى 103

السيّد على الميلانى 126

الشيخ جعفر الهلالى 166

تحقيق : السيّد غياث طعمة 189

تحقيق : حامد الخفّاف 219

من أنباء التراث. 280

تعريف مركز 295

تراثنا المجلد 13

هوية الكتاب

المؤلف: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم

الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم

الطبعة: ۰

الموضوع : مجلّة تراثنا

تاريخ النشر : ١٤٠٨ ه.ق

الصفحات: ٢٥٤

ص: 1

الفهرس

حول تحقیق کتاب «بناء المقالة الفاطمیة فی نقض الرسالة العثمانیة»

..... السید علی العدنانی الغریفی 7

أبوالأسود الدؤلی ودوره فی وضع النحو العربی

..... السیّد هاشم الهاشمی 31

الشیخ المفید ... دراسة فی کتبه الکلامیة

..... الشیخ محمدعلی الحائری الخرّم آبادی 90

التحقیق فی نفی التحریف (7)

..... السیّد علی المیلانی 113

من التراث الأدبى المنسى فى الاحساء

الشيخ كاظم الصحّاف

..... الشيخ جعفر الهلالى 153

من ذخائر التراث

رسالة نقض فتاوى الوهّابيّة – للامام الشيخ كاشف الغطاء

..... تحقيق : السيّد غياث طعمة 165

رسالة فى اعجاز سورة الكوثر – للزمخشرى

..... تحقيق : حامد الخفّاف 195

من أنباء التراث..... 247

حول تحقيق كتاب

«بناء المقالة الفاطمية

فى نقض الرسالة العثمانية»

السيد على العدنانى الغريفى

«إذا شاعت لک ذب سلاحک»

إن فى بعض الأمثال العامية من الظرافة والنكتة والإشارة إلى مطلب ظاهر وآخر خفى ما لا يوجد فى الأمثال الفصحى ، وهو - أعنى المثل العامى - وإن كان لا يتجاوز بضع كلمات لكنه يحتاج إلى عدة سطور من الشرح والإيضاح ، وربما يكون المثل العامى من الظرافة والتضمن لنكتة لطيفة بحيث لا يمكن صياغته باللغة الفصحى وإلا ذهبت ظرافته وطرافته ، ومن تلک الأمثلة هو ما ذكرناه فى صدر هذه الأسطر ، وهو مثل عامى عراقى ويستعمل أيضا عندنا نحن عرب إيران.

ومعناه : أنه إذا شاع بين الناس أنک ذو شجاعة وقوة - وإن لم تكونا موجودتين أصلا - فحينئذ ألق أسلحتک فإنک لا تحتاج إليها ، لأن شهرتک كافية لأن تهزم العدو من دون ما حاجة لاستعمال الأسلحة ، ويكفيک ما أشيع وأذيع عنک ولن تحتاج إلى مزيد كد وعناء وجهد وجهاد. وهذا المثل كثيرا ما يصدق علينا - نحن المسلمين - وينطبق على أفعالنا وسيرتنا بشكل أو بآخر.

إن البداية فى كل عمل تكون عندنا بوثبة سريعة خاطفة تقطع الأنفاس .. ثم بعد فترة قصيرة تأتى حالة التلكؤ والسير البطئ .. ثم بعد ذلک السكون والتوقف.

السيد على العدنانى الغريفى

ص: 7

مثلا : هذا صاحب مصنع ينتج بضائع وهى – أول ما تكون – فى غاية الجودة والإتقان وتضاهى البضاعة الأجنبية ، فتحتل مكانا مرموقا فى الأسواق ويقبل عليها الناس ، ثم بعد مدة تأخذ بالتنزل شيئا فشيئا حتى تصل إلى درجة من الرداءة بحيث يعرض عنها الناس ولا يرغب فى اقتنائها أحد وربما ينجر الأمر فى ذلك إلى توقف المصنع عن العمل كليا. وهذا يرجع إلى صاحب المصنع الذى اكتفى بالشهرة الأولى التى حصلت لمنتوجات مصنعه ثم أخذ لا يجيد الصناعة بل يغش فيها ، فازدياد الطلب عليها – فى أول الأمر – بدلا من أن يكون حافزا على تحسين البضاعة أو إبقائها على ما هى عليه – على الأقل – نراه يكون موجبا للانحدار إلى الأخس ، وهذا بعكس ما تفعله الدول الأجنبية المتقدمة حيث كلما يزداد الطلب فى الأسواق وتلاقى البضاعة رواجا وشهرة تزداد إتقانا وجودة.

وعملنا ذاک هو خلاف تعاليم ديننا وأوامر نبينا – صلى الله عليه وآله – حيث قال : «رحم الله من عمل عملا وأتقنه» (1) وقال : «رحم الله امرءا أحسن صنعته» (2).

والظاهر أن عدم الإتقان والتهاون فى الأمور لم يقتصر على الصناعات والحرف والمهن ، بل انتقلت العدوى حتى إلى المجال العلمى البحت ، فلم يعد التأليف والتحقيق – وخصوصا الثانى – بمنأى عن تلك الحالة آنفة الذكر.

فالتحقيق – وأخصه بالذكر لأنه المقصود من هذه المقالة – ما عاد تحقيقا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، بل انتهى به الأمر إلى أن صار عبارة عن نسخة أخرى للمخطوط إلا أنها مطبوعة بالآلة المعروفة وتلک – أعنى المخطوط – باليد المجردة إلا من القلم ، بل أكثر من ذلک .. إنها نسخة مشوهة عن الأصل تثبط العزائم عن مراجعة الأصل ، لأن المطبوع ظاهر فى متناول اليد وهو هو ، وبذلک يكون الأصل قد ترک اللهم إلا فى بعض الحالات الشاذة فيأتى من يحقق الكتاب ثانية ، فيا

1– 1. كشف الخفاء ومزيل الالباس 1 / 513 حديث 1369.

2– 2. جامع الأصول – لابن الأثير – 11 / 185 حديث 8716.

سوء حظ المؤلف المسكين الذى يقع كتابه – الذى هو عصارة عمره العلمى – بيد من يسمى بالمحقق فيمسخه ويشوهه ويلعب به فيقلب معانيه وألفاظ ويغلط الصحيح منه ويحذف ما شاء له أن يحذف من أصل الكتاب ولا عذر له سوى أنه لم يتمكن من قراءة كلمة أو لا يعرف معناها ، أو أنها غلط (بنظره السقيم). ناهيک عن المحقق ذى الاسم المعروف أو القلب الفخم أو ذى الرتبة العلمية المزعومة ، فحينئذ يفعل ما يشاء فى الكتاب ، واسمه وعنوانه على غلاف الكتاب كافيان لأن ينظر إلى الكتاب بعين الاعتبار والقبول وإن كان لم يأت بمعجزة فيه و «إذا شاعت لک ذب سلاحک». وحسبه أن ينزل الكتاب إلى الأسواق وهو يحمل اسم وعنوان المحقق كى يكسب به بعض المال أو ينال به أمورا أخرى تافهة ، ويغفل عن محاسبة قد تطاله – إن عاجلا أو آجلا – فتبدى أفعاله كما هى وتضعه أمام القراء والناقدين عاريا مجردا ، كاشفة بذلک عن سوأته للرائين ، مبدية ما اقترفه بشأن الكتاب للملأ العلمى.

أقول : فمع ملاحظة هذه الأمور كلها ، كيف يحصل للإنسان ثقة بما يحققه أمثال هؤلاء مع علمنا بما يفعلون من حذف وتصحيف وتحريف وتلاعب بالكتاب؟!

وهذا – أعنى عدم الثقة – هو ما حصل لى بالفعل عندما وقفت على كتاب «بناء المقالة الفاطمية فى نقض الرسالة العثمانية» المطبوع فى عمان / دار الفكر ، بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى ، فكانت لى عليه بعض الملاحظات قد أحببت أن أشير إليها هنا بشكل موجز لا على التفصيل ، وما قصدى بذلک سوى أن تكون هذه الملاحظات سببا للاعتناء بشكل أكثر بتراثنا المجيد والحرص عليه والاهتمام به والقيام بمهمة تحقيقه وإخراجه بشكل صحيح.

أقول : قد لفت نظرى الكتاب المذكور وظننت بتحقيقه خيرا ، خصوصا أنه قد كتب على غلاف الكتاب بخط بارز قد أخذ مكانا لا بأس به من الغلاف : «حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور إبراهيم السامرائى» ، والدكتور السامرائى

معروف لـدى المحققين وله يد فى عالـم التحقيق والتأليف وهو ذو درجة علمية رفيعة (دكتوراه) فحسـبت أن الكتاب سوف يكون حسب ما يرام من حيث التحقيق والإـخراج والتعليق ولكنى لـم أر ما كنت أتوقعه. وعلى كل حال فإنى سـجلت بعض ملاحظاتى على الكتاب ، وإنى سوف أعلق على الكلمات الثلاث «حققه ، وقدم له ، وعلق عليه» حسب الترتيب المذكور على غلاف الكتاب.

فأما كلمة «حققه» :

فأقول : إذا كان المقصود من التحقيق هو ضـبط المتن وتصـحيحه وإبرازه بشكل جيد خال من الغلط فهلم معى أيها القارئ الكريـم لنرى ما فعله الـدكتور بمتن هـذا الكتاب مع العلم بأن النسـختين اللتين اعتمدهما الدكتور ورمز إليهما بحرفى «ق» و «ط» توجد عندنا مصورتهما وقـد طبقنـا المطبوعـة عليهمـا فوجـدنا اختلافـا كـثيرا بينهمـا وبين المطبوعـة ، ووجـدنا حـذفا كبيرا قـد وقع فى المطبوعـة وهو موجود فى المخطوطتين ، وما أدرى سـبب هذا السـقط هل هو ناشـئ من الغفلة أو عدم الاهتمام والدقة؟! وإنى أشير إلى تلك الاختلافات وما حذف وسقط فى المطبوعة ، مقدما الساقط الذى هو جملة على الساقط الذى هو كلمة.

هـذا ، مع العلم بأنى لـم يسـعنى الوقت للمقابلـة بين المخطوطتين والمطبوعـة من أول الكتاب إلى آخره وذلك لأنه لـم يكن لدى عزم على تسـجيل هـذه الملاحظات إلا بعـد أن جاوزت النصف من الكتاب فذكرتها هنا كما تراها – إن شاء الله تعالى – وكان فى نيتى بعد الانتهاء من النصف الثـانى أن أبـدا من أول الكتـاب ولكنى لـم أتمكن من ذلـك إذ أنى أرجعت المصورتين إلى أصـحابهما ، فما سـجلته هنا هو ما وجدته من السقط والاختلاف فى النصف الثانى من الكتاب فكانت هذه الفروق الكثيرة فكيف لو أنى عملت على الكتاب بتمامه وكماله؟!

* * *

ص: 10

1 – جاء فى المطبوعة صفحة 169 سطر 8 : «وما رويتموه لكم ووثقتموه فإنه مرجوح لا محالة عندنا وعندكم».

والذى فى المخطوط : «وما رويتموه لكم ووثقتموه فإنه مرجوح للتهمة ، وما رويتموه علينا ووثقتموه فإنه مرجوح لا محالة عندنا وعندكم».

2 – وجاء فى صفحة 172 من المطبوعة سطر 12 : «قال : حدثنا محمد بن القاسم بن زكريا ، قال : حدثنا أبو حنيفة ، عن عطاء ، قال : قال ابن عمر ...».

وفى المخطوط : «قال : حدثنا محمد بن القاسم بن زكريا ، قال : حدثنا عباد ابن يعقوب ، قال : حدثنا عفان بن سنان ، قال : حدثنا أبو حنيفة ...».

3 – وجاء فى صفحة 194 سطر 5 من المطبوعة : «والذى يقول لسان الجارودية على هذا : إنا قد أسلفنا ما يدل على ما قال فغريب إذا الأنصار لما ديس سعد ...».

وفى المخطوط : «والذى يقول لسان الجارودية على هذا : إنا قد أسلفنا ما يدل على خلافه ، وإن البهت مهين والمغالبة بالقحة سفالة ، وأما دليله على ما قال فغريب إذا الأنصار لما ديس ...».

4 – وجاء فى نفس الصفحة المذكورة من المطبوعة ، السطر الأخير : «وإن يكن بالخطابة فعلى أولى به».

وفى المخطوط بإضافة : «وإن يكن بالشعر فعلى أولى به».

5 – وفى الصفحة 196 السطر 2 من المطبوعة : «وبه قام عموده ورست قواعده».

وفى المخطوط بإضافة : «وبه نهض قاعده».

6 – وفى الصفحة 216 السطر ما قبل الأخير من المطبوعة : «ذكر زيد بن صوحان : زيد وما زيد يسبق عضو منه إلى الجنة ألا وقد قطع فى طاعة الله ...».

وفى المخطوط : «ذكر زيد بن صوحان : زيد وما زيد ، يسبق عضو منه إلى الجنة ، فقتل يوم الجمل ، فجعلوا الدليل على صواب على فى قتاله أن زيدا قتل فى

طاعته ، قيل لهم : وفى قول النبى – عليه السلام – : (يسبقه عضو منه إلى الجنة) دليل على أن العضو لم يسبق إلى الجنة إلا وقد قطع فى طاعة الله ...».

7 – وفى الصفحة 220 السطر 4 من المطبوعة : «إما من دليل العقل أو النقل ، فإذا كان الأمر كذا تعين فى على ...».

وفى المخطوط : «إما من دليل العقل أو النقل ، وإذا كان الأمر كذا فنقول : الاختيار كما ذكرته ممتنع قطعا فتعين النص ، وإذا كان الأمر كذا تعين فى على ...».

8 – وأما ما وجدته من اختلاف فى الكلمات فقد سجلتها فكانت كالنحو التالى :

المطبوعة

المخطوطة

السطر

الصفحة

فهو بان

فهذيان

16

163

وقدوم قوم

وقد يتوهم قوم

8

164

لا يوردها أهل النظر

لا يرضاها أصحاب

16

164

راميا

رأسا

8

166

أبو بكر

أبو بكرة

5

168

لا يقع سديدا

لا يقع من سديد

قبل الاخر

176

على الخطأ

كان على الخطأ

الاخر

178

فى تخلف عنهم

فى تخلف من تخلف عنهم

قبل الأخير

179

لبعض الابرام

لنقض الابرام

18

181

وأورده باستخلافه

وارده باستخلافه

18

182

هذا

هذا محال

19

182

بن أبى الشيخ

ابن أبى الثلج

6

184

لو أن الشجر

لو أن الغياض

8

184

المخثلب

المخشلب

12

190

ص: 12

المطبوعة

المخطوطة

السطر

الصفحة

قد أجبت

قد أجبنا

14

192

لحنا

أجبنا

13

193

وروى وأرحامه

وذوى أرحامه

9

198

الدعوة

الدعوى

2

203

انا آل عمر

أنا أزعم

6

203

تعارضه

تغار منه

14

204

الكتب

الكتاب

الأخير

204

يداوى الداء

يداوى الداء بالداء

4

206

أيام جهته

أيام حياته

13

206

أمنكم رسول الله

أمنكم أخو رسول الله

8

210

عناء عن رسول حتى

عناء عن رسول الله منى

22

210

أحد أقر عهد رسول

أحد آخر عهد برسول الله

6

211

وتعلق

وتعلقوا

13

211

والذى يقال

مع الذى يقال

8

214

فى فلوات غرضه

سائرا فى فلوات غرضه

9

214

لا يحب السمين

لا يحب الحبر السمين

12

214

نبوات

ذوات

14

215

مثلين

مثابين

19

217

فلا يخشى

فلا يخلو

10

219

ينادى به المنابر

ينادى به على المنابر

14

220

بالأشاعرة

بالإمامة

16

223

أفانين سؤلها

أفانين سؤلها ومأمولها

4

225

وتحدنا حد الولد

وتحدنا عن التضجيع حد الولد

19

225

ص: 13

9 – وأما ما احتملنا أنه غلط ناشئ من الطباعة فلم نأت به أمثال :

المطبوعة

المخطوطة

السطر

الصفحة

استطرت

استقرت

2

176

مع دعوى

منع دعوى

4

177

موضع إنجاز

موضع إيجاز

15

180

وغيرها كثير.

وأما كلمة «وقدم له» :

فالمقدمة التى أثبتها فى أول الكتاب – على اختصارها – لم تكن خالية من بعض الملاحظات وهى :

10 – قال فى الصفحة 1 تحت عنوان «سيرة المؤلف» :

«لم أجد لدى من ترجم للمؤلف إلا نبذة يسيرة وهى قولهم : هو أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس ، جمال الدين ، من فقهاء الإمامية ومحدثيهم ، من أهل الحلة ، عالم بالأدب ، له شعر ، مصنف مجتهد ، له من التصانيف :

1 – بشرى المحققين ، فى الفقه.

2 – الملاذ ، فى الفقه.

3 – كتاب الكر.

4 – الثاقب المسخر على نقض المشجر.

5 – الازدهار فى شرح لامية مهيار.

6 – حل الإشكال فى معرفة الرجال (تراجم فى رجال الحديث).

وقد أفاد من ترجم له أن كتبه تنيف على الثمانين ، وقد توفى سنة 673 ه».

ص: 14

أقول : هذا نص كلامه نقلته بحرفه ، ثم ذكر فى الهامش المصادر التى استقى منها معلوماته تلك ، وهى : أمل الآمل ، والذريعة ، والأعلام.

ثم أقول ثانيا : إن كلامه ذلك ظاهره يدل على تتبع واسع وعلى بذل جهد مضن يتراءى من خلاله للقارئ أن المحقق قد راجع عشرات المصادر وفتش فى زوايا أمهات المراجع فلم يعثر على غير ما ذكره من ترجمة المؤلف ، وتلك لعمرى دعوى ينكشف زيفها لو وضعناها تحت منظار التتبع الصحيح والواقع العلمى.

غاية ما فى الأمر أن المحقق المذكور قد راجع كتاب «الأعلام» للزركلى وأثبت عبارته بنصها إلا كلمتين غير وبدل فيهما ثم نقل ما ذكره الزركلى فى الهامش أعنى أمل الآمل والذريعة [راجع : الأعلام 1 / 246] حتى أن المحقق – الدكتور السامرائى – لم يتكلف عناء مراجعة هذين المصدرين اللذين ذكرهما الزركلى ليرى أنه هل كان النقل صحيحا أم لا؟

فمثلا : لقد ذكر الزركلى فى الهامش : الذريعة 3 / 120 ، والدكتور السامرائى نقله بما هو من غير مراجعة ، والحال أن فى الذريعة 3 / 120 قد ذكر صاحبها اسم كتاب «بشرى المحققين» مع ذكر مؤلفه – أعنى أحمد بن موسى بن طاووس – فقط ، فكان الأنسب لحضرة الدكتور السامرائى أن يذكر الذريعة 3 / 150 حيث ورد فيها اسم الكتاب الذى يروم تحقيقه ، أعنى «بناء المقالة الفاطمية».

وأما أمل الآمل فلو كان الدكتور قد راجعه حقا لاستفاد منه أكثر مما ذكر وعرف أن من جملة كتب المؤلف كتاب «الأزهار فى شرح قصيدة مهيار» لا «الازدهار» كما ذكره هو.

ثم إن المحقق الدكتور السامرائى لو كان قد بذل أدنى جهد أو أقل عناية بأن دار برأسه نحو المكتبة العربية وشخص إليها ببصره لوجد فيها مصادر كثيرة تذكر المؤلف وتشرح حياته وسيرته وكتبه ، ولأجل أن الفت نظر الدكتور إليها أذكر بعضها المطبوع المتداول عند المحققين وغيرهم :

رجال ابن داود : 45 ، منهج المقال : 48 ، نقد الرجال : 35 ، جامع

المقال : 142 ، مجمع الرجال 1 / 169 ، رياض العلماء 1 / 73 ، جامع الرواة 1 / 72 ، أمل الآمل 2 / 29 ، الوجيزة : 13 ، هداية المحدثين إلى طريقة المحمدين : 306 ، لؤلؤة البحرين 1 / 235 ، منتهى المقال : 46 ، مقابس الأنوار : 16 ، ملخص المقال : 26 و 36 ، نتيجة المقال : 34 ، إتقان المقال : 22 ، مستدرک الوسائل 3 / 466 ، تنقيح المقال 1 / 97 ، مقباس الهداية : 117 ، سفينة البحار 2 / 96 ، الفوائد الرضوية : 39 ، الكنى والألقاب 1 / 334 ، أعيان الشيعة 3 / 189 ، مصفى المقال : 71 ، البابليات 1 / 67 ، معجم المؤلفين 2 / 187 ، الأعلام 1 / 246 ، الحوادث الجامعة : 152 ، روضات الجنات 1 / 66.

أما كتبه فقد ذكرت جملة منها وهى :

1 – بشرى المحققين ، فى الفقه ، ستة مجلدات.

2 – ملاذ علماء الإمامية ، فى الفقه ، أربعة مجلدات.

3 – كتاب الكر.

4 – السهم السريع ، فى تحليل المداينة أو المبايعة مع القرض.

5 – الفوائد العدة ، فى أصول الفقه.

6 – الثاقب المسخر على نقض المشجر ، فى أصول الدين.

7 – كتاب الروح ، وهو نقض على ابن أبى الحديد.

وهنا يظهر اشتباه آخر للدكتور السامرائى حيث ذكر فى هامش الصفحة 82 عند قول المؤلف : «وقد أشرت إلى ذلک فى كتاب الروح» حيث قال الدكتور : «لم يشر من ترجم إلى ابن طاووس إلى كتاب الروح بين مصنفاته!».

8 – شواهد القرآن.

9 – المسائل ، فى أصول الدين.

10 – عين العبرة فى غبن العترة.

11 – زهرة الرياض ونزهة المرتاض ، فى المواعظ.

12 – الاختيار فى أدعية الليل والنهار.

13 – الأزهار فى شرح لامية مهيار ، مجلدان.

14 – عمل اليوم والليلة.

15 – بناء المقالة الفاطمية فى نقض الرسالة العثمانية.

هذه أسماء كتبه التى ذكرها تلميذه ابن داود وقد أضاف إليها السيد الأمين فى «أعيان الشيعة» :

16 – حل الإشكال فى معرفة الرجال.

وقال : إن ابن الشهيد الثانى قد حرره وسماه «التحرير الطاووسى».

17 – ديوان شعر ، ذكره ابنه عبد الكريم فى بعض إجازاته.

18 – إيمان أبى طالب ، ذكره المؤلف فى «بناء المقالة الفاطمية».

19 – الآداب الحكمية ، ذكره أيضا فى «بناء المقالة الفاطمية».

قال المحقق فى المقدمة ، الصفحة 11 : «وربما صنع ابن طاووس صنيع ابن أبى الحديد ، وذلك أنه ربما اجتهد فى تفسير عبارة الجاحظ فرواها كما أراد له تفسيره واجتهاده ، وهو تصرف عرض له من جملة من مناقضاته ، وقد أشرنا إلى ذلك فى حواشينا فى أسفل الصفحات».

إنى لم أر لما ذكر عينا ولا أثرا ، كل ما فى الأمر أن ابن طاووس ربما ينقل عبارة الجاحظ تارة بلفظها وأخرى بمعناها ، وليت شعرى ما ذنب ابن طاووس إذا كان حضرة الدكتور لم يدقق تماما فى تطبيق ما نقله ابن طاووس عن رسالة الجاحظ ففاته ، ثم ادعى أنها لا توجد فى «العثمانية» ... فمثلا :

11 – فى الصفحة 211 السطر 13 : «وتعلق بالصحيح من الحديث من طرق القوم : إن عليا وبنى هاشم لم يبايعوا ...» قال فى الهامش : «لم أجده فى (العثمانية)».

والواقع : أن هذا ليس نقلا ـ لكلام الجاحظ حتى يفتش عنه فى «العثمانية» ثم يدعى عدم وجدانه بل هو كلام ابن طاووس ، ومنشأ خطأ الدكتور هو فى عدم قراءة المخطوطة قراءة صحيحة ، والأصل هو : «وتعلقوا

بالصحيح من الحديث من طرق القوم ...» لا «تعلق» أى الجاحظ.

12 – قال ابن طاووس حاكيا عن الجاحظ : «وادعى أن جماعة أسلموا على يده منهم خمسة من أصحاب الشورى وكلهم يفى بالخلافة ، وهم أكفاء على ومنازعوه الرياسة والإمامة ، فقد أسلم على يده أكثر ممن أسلم بالسيف لأن هؤلاء أكثر من جميع الناس».

قال الدكتور السامرائى فى الهامش : «لم أجد لهذه الإشارة فى (العثمانية) المطبوعة ولكنى وجدت فى الصفحتين 54 و 55 كلاما فى إسلام جماعة ليسوا من أصحاب الشورى».

أقول : ما نقله ابن طاووس موجود فى «العثمانية» الصفحة 32 وقد نقله ابن طاووس بلفظه ولكن الدكتور لم يكن دقيقا فى الاستخراج فأعلن عن عدم وجوده فى «العثمانية» من غير تثبت.

13 – قال ابن طاووس ناقلا عن الجاحظ بالمعنى ، الصفحة 51 : «قوله : لو كان لقاء القرن دليل الرياسة لكان النبى مرؤوسا».

قال الدكتور فى الهامش : «لم أجد هذا الكلام فى (العثمانية) المطبوعة».

والحال أنه موجود ولكنه ليس بلفظه ، أنظر الصفحة 45 عند قول الجاحظ : «إن كثرة القتل وكثرة المشى بالسيف لو كان أشد المحن وأعظم العناء وأدل على الرياسة كان ينبغى أن يكون لعلى ... ما ليس للنبى [صلى الله عليه وآله]».

14 – وقال ابن طاووس ناقلا معنى عبارة الجاحظ ، الصفحة 55 : «وإن كانت بعض مباحث عدو رسول الله فى هذا المقام من كون أمير المؤمنين إذا ثبتت شجاعته لا يلزمه تقدمه على غيره بها إذ الرئيس لا يباشر القتال».

قال الدكتور فى الهامش : «لم أجد النص الذى ألمح إليه المصنف فى العثمانية ولعله اجتهد مما وجده فى جملة ما أورده الجاحظ فى العثمانية».

أقول : قاله الجاحظ فى الصفحة 46 من «العثمانية» بكلام طويل

وتلاعب بالألفاظ ، راجعه عند قوله : «وإذا ثبت أن رئيس العسكر وأشباهه قد ثبتت لهم الرياسة استحقوا التقديم بغير التقدم والمباشرة ... إلى آخر كلامه».

15 – وكذلك صرح بعدم وجود ما نقله المصنف عن كتاب «الإستيعاب» فى الصفحة 153 عندما خلط المحقق بين النقل وبين كلام المصنف ، قال المصنف : «قال أبو عمر : هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد لصحته وثقة قلبه؟ [والصحيح : نقلته] وهو يعارض ما ذكر عن ابن عباس فى باب أبى بكر ، والصحيح فى أمر أبى بكر أنه أول من أظهر الإشارة إلى طريق الرواية فى باب أبى بكر ...».

والنقل هو إلى قوله : «أول من أظهر» وهو موجود فى «الإستيعاب» المطبوع بهامش الإصابة 3 / 28 ، وأما باقى الكلام – أعنى «الإشارة إلى طريق الرواية فى باب أبى بكر» – فهو كلام المصنف ، وكان على المحقق أن يجعله رأس سطر جديد فلم يفعل لظنه بأنه من كلام صاحب «الإستيعاب» ثم ادعى عدم وجوده فى «الإستيعاب».

فهذه نماذج قد أتيت بها ليعلم أن ما ادعاه الدكتور – من عدم وجود ما نقله ابن طاووس عن الجاحظ وغيره – لم يكن دقيقا.

وأما «علق عليه» :

إن ما علقه الدكتور على الكتاب والذى سجله فى هوامشه المسطورة فى أدنى الصفحات وإن كان قد تبين حاله مما مر ضمنا لكنى أود أن أشير إلى بعض تعليقاته بشكل مستقل فأقول :

16 – قال الدكتور معلقا على ما نقله ابن طاووس على الروحى [الصفحة 40] : «جاء فى اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير 2 / 41 : إن هذه النسبة إلى روح بن القاسم واشتهر بها أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان بن سعد السعدى الروحى ، بصرى ، ولى قضاء الدينور ، يتهم بوضع الحديث ، وقيل له الروحى

لإكثاره الرواية عن روح بن القاسم ...».

أقول : إن الروحى المذكور هو على بن محمد بن أبى السرور الروحى أبو الحسن ، صاحب كتاب «بلغة الظرفاء فى ذكرى تاريخ الخلفاء» المطبوع فى مصر ، وينقل عنه طائفة من المؤرخين وغيرهم أمثال ابن خلكان فى وفياته وابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ، ومنهم المؤلف ابن طاووس ، وتوجد لمحات عن حياة الروحى فى أول كتابه المذكور.

17 - وعلق الدكتور السامرائى على بن السمعانى - المنقول عنه فى الكتاب - الصفحة 43 قائلا : «ابن السمعانى صاحب الأنساب وهو عبد الكريم بن محمد بن منصور اليمنى السمعانى المروزى ، المتوفى سنة 562 عن الأعلام 4 / 179.

أقول : إن ابن السمعانى المنقول عن كتابه هو جد صاحب «الأنساب» الذى ذكره السامرائى ، وهو - أعنى ابن السمعانى الجد - منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد ، أبو المظفر ابن الإمام أبى منصور ابن السمعانى ، ولد فى ذى الحجة سنة 426 ، وهو أحد أئمة الحديث ، وقد سمع من أبيه وجماعة ، منهم : أحمد بن على بن الحسين الكراعى ومحمد بن إسماعيل الأسترآبادى.

أنظر : البداية والنهاية 12 / 153 ، وشذرات الذهب 3 / 393 ، والنجوم الزاهرة 5 / 160 ، وطبقات الشافعية 5 / 335 ، وكتابه الذى ينقل عنه هو «مناقب الصحابة» مخطوط.

18 - وقال السامرائى فى هامش الصفحة 49 مترجما لابن المغازلى : «جاء فى اللباب فى تهذيب الأنساب 3 / 239 ، فى المغازلى : إن هذه النسبة إلى المغازل وعملها ، اشتهر بها جماعة منهم : أبو جعفر محمد بن منصور الغروى المغازلى ، بغدادى ، كان عبدا صالحا ، يبيع المغازل ، روى عن بشر بن الحارث ، وروى عنه محمد بن مخلد العطار».

أقول : فليكن صاحب «اللباب» قد نقل ذلك ، ولكن من أين عرف الدكتور أن هذا المذكور هو ابن المغازلى المترجم وهو بنفسه ينقل عن

صاحب «اللباب» أن المشتهر بهذه النسبة جماعة؟!

ليت شعرى هل استخرجه الدكتور باليانصيب؟!

إن ابن المغازلى المترجم هو أحد حفاظ الحديث المشهورين المعروفين عند أهل الفن ، غير منكور ولا مجهول ، وكتابه «المناقب» مطبوع عدة مرات وهو فى متناول اليد ، وقد حققه الشيخ محمد باقر البهبودى ، وطبع فى طهران من منشورات المكتبة الإسلامية ، وفى بيروت من منشورات دار الأضواء.

وابن المغازلى هذا هو الحافظ أبو الحسن أو أبو محمد على بن محمد ، الشهير بابن المغازلى الواسطى ، وهو مؤرخ واسط وخطيبها ، ثم انتقل إلى بغداد فى أواخر عمره وبها توفى سنة 534 ه ، روى عن جماعة غفيرة من الرواة والمحدثين منهم : أبو الحسن على بن عمر بن عبد الله القاضى الشافعى ، وأبو طاهر محمد بن على بن محمد البيع البغدادى الشافعى ، وأبو غالب محمد بن أحمد بن سهل النحوى الواسطى الشافعى ، وأبو بكر محمد بن عبد الوهاب بن طاوان الشافعى الواسطى.

كما قد روى عنه آخرون منهم : ابنه أبو عبد الله محمد القاضى بن على بن محمد بن الطيب الجلابى ، المعروف كأبيه بابن المغازلى ، المتوفى سنة 542 ، ومنهم أبو القاسم على بن طراد الوزير البغدادى ، وأبو المظفر عبد الكريم بن محمد المروزى الشافعى الشهير بابن السمعانى ، المتوفى سنة 562 ، صاحب كتاب «الأنساب» فإنه يروى عن ابن المغازلى المذكور بواسطة ولده القاضى أبى عبد الله محمد.

ذكره - أعنى ابن المغازلى - السمعانى فى الأنساب الصفحة 146 (طبع مرجليوث) إلا أنه قال : غرق ببغداد فى دجلة فى صفر سنة 483 وحمل ميتا إلى واسط ودفن بها. كما قد ذكره الزبيدى فى تاج العروس 1 / 186.

هذا ، وقد نقل عنه كثيرون فى كتبهم أمثال الذهبى فى «ميزان الاعتدال» والهمدانى فى «مودة القربى» والقندوزى فى «ينابيع المودة» والحموينى فى «فرائد السمطين» وابن حجر العسقلانى فى «تبصير المنتبه».

19 - وذكر المصنف فى الصفحة 53 : «وروى (ع) [ووضع المحقق كلمة

(كذا) بعده] بإسناده عن ابن المغازلى ...».

وقال الدكتور المحقق فى الهامش : «لعل حرف (ع) اختصار ل (عليه السلام أو عليه الرحمة) ، ولكن لم أهتد إلى هذا المدعو له وإنى لا تسأل : أما يكون قد سقط شئ من كلام المصنف؟».

أقول : لا شئ سقط هنا من كلام المصنف ، ولا هو اختصار لعليه السلام أو عليه الرحمة ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى هذا التكلف ، بل الأمر ينكشف ببعض الدقة والتنبه ، فإنه قد تكرر النقل من كتاب «عمدة صحاح الأخبار» لابن البطريق الحلى وحرف (ع) إشارة إلى هذا الكتاب لا إلى (عليه السلام) فإن الإمام لا يروى عن ابن المغازلى!!!

20 - ومما مر يظهر خطؤه أيضا فى هذا الباب - فى الصفحة 107 - عندما قال المصنف : «روى (ع) عن ابن المغازلى بإسناده المتصل ...».

قال السامرائى فى الهامش : «جاء فى (ط) بعد قول المصنف (روى) حرف (ع) وكأنه يشير به إلى أبى عمر يوسف بن عبد البر».

أقول : لا أدرى ما هو الربط بين حرف (ع) وبين أبى عمر يوسف بن عبد البر؟! فليس أول هذا الاسم حرف (ع) حتى يرمز إليه بهذا الحرف ، والعجب من المحقق أنه حذف حرف (ع) من المتن وأشار إليه فى الهامش على خطأ! وأعجب منه أنه فى الصفحة 152 قد حذف حرف (ع) من المتن ولم يشر إليه فى الهامش عند قول المصنف : «ورواه أحمد بن حنبل فى أسانيد كثيرة ...» ، وفى المخطوطة : «ورواه (ع) عن أحمد بن حنبل ...» فحذف المحقق حرف (ع) لا لشئ سوى جهله بمعناه .. والمرء عدو ما جهل!!

21 - قال المصنف - الصفحة 69 - : «ولقد ضرب مقدم العلماء فى زمنه ابن الخطيب الرازى فى المثل بأمير المؤمنين ...».

قال المحقق فى الهامش : «لم اهتد إلى ابن الخطيب».

أقول : إنى لم أرد انتقاد الدكتور لعدم وجدانه ترجمة الرازى هذا وإلا

فإنى قد أحصيت الموارد التى أشار فى الهامش إلى أنه لم يهتد إلى معرفتها أو معرفة مظانها فبلغت 59 موردا مع أنها موجودة فى مظانها وتحتاج إلى قليل من الجهد للعثور عليها ، ولكنى أود أن أشير إلى أن الرازى هذا هو من الشهرة بمكان بحيث لا يجهله من كان له أدنى مطالعة حتى تلاميذ المدارس فضلا عمن يعمل فى حق التحقيق والتأليف! والرازى قد ترجم له كثيرون ، ويكفى أن يرجع الإنسان إلى كتاب معجم المؤلفين 11 / 79 ليقف على أكثر من أربعين مصدرا قد ترجم لفخر الدين الرازى.

وهنا – للاختصار – أنقل ما ذكره ابن خلكان فقط ، فإنه قال فى كتابه وفيات الأعيان 4 / 248 : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى الطبرستانى الأصل الرازى المولد ، الملقب فخر الدين ، المعروف بابن الخطيب ، الفقيه الشافعى ، فريد عصره ، ونسيج وحده ، فاق أهل زمانه فى علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل ، له التصانيف المفيدة فى فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة.

22 – قال المصنف فى الصفحة 109 : «إذ النبى – صلى الله عليه وآله – قال : بروا أولادكم بحب على».

وقال الدكتور المحقق فى الهامش : «فى ط : بوروا» ثم قال : «لم أهتد إلى تخريج الحديث».

أقول : والعجب أن يصبح الصحيح غلطا والغلط صحيحا بسبب عدم فهم كلمة ، أو لعدم التمكن من قراءتها بصورة صحيحة ، وإلا فالحديث مشهور منقول فأبدل المحقق كلمة «بوروا» إلى «بروا» وجزاه الله خيرا حيث أشار فى الهامش إلى الصحيح!

والحديث قد ورد فى عدة مصادر منها : النهاية لابن الأثير 1 / 161 مادة (بور) قال : ومنه الحديث «كنا نبور أولادنا بحب على – رضى الله عنه –» أى نمتحن.

وكذلک قاله الزبيدی فی تاج العروس ، مادة (بور).

وقال العلامة محمد طاهر بن علی الصديقی فی مجمع بحار الأنوار 1 / 121 طبعة لكهنو : ومنه الحديث «كنا نبور أولادنا بحب علی».

وجاء فی كتاب «الغريبين» – المخطوط – للعلامة أبی عبيد الهروی وكذلک فی مناقب عبد الله الشافعی – المخطوط – وفی كتاب «الأربعين» للمولی علی الهروی : 54 – كل ذلک عن كتاب إحقاق الحق المتضمن تعليقات آية الله العظمی المرعشی النجفی 7 / 266 – : قال عبادة بن الصامت : كنا نبور أولادنا بحب علی بن أبی طالب ، فإذا رأينا أحدا لا يحبه علمنا أنه ليس منا وأنه لغير رشدة.

وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنی بألفاظ مختلفة نشير إلی ما ذكره الذهبی فی ميزان الاعتدال 1 / 236 ، وقال ابن حيان : روی عن أحمد بن عبدة ، عن ابن عيينة ، عن أبی الزبير ، عن جابر : أمرنا رسول الله – صلی الله عليه وآله – أن نعرض أولادنا علی حب علی بن أبی طالب.

وكذلک أورده أيضا ابن حجر العسقلانی فی لسان الميزان 2 / 231 طبعة حيدر آباد.

23 – قال المصنف فی الصفحة 124 : «وأما ما يتعلق بالضحاک فقد ذكر ابن حبان ثلاثة بهذا الاسم وضعفهم وهم : الضحاک بن نبراس ، والضحاک بن الأهوار ، والضحاک بن حجرة المسبحی».

قال الدكتور السامرائی فی الهامش معلقا علی ابن حبان : «يريد كتابه الجرح والتعديل».

أقول : إن كتاب «الجرح والتعديل» هو لأبی محمد عبد الرحمن بن أبی حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمی الحنظلی الرازی ، المتوفی سنة 327 ، والكتاب فی تسعة أجزاء واسم مؤلفه قد كتب عليه بالخط البارز ولا يحتاج فی رؤيته إلی نظارات بل يری بالعين المجردة فلا يقع فيه اشتباه – كقراءة المخطوطة مثلا – فيقرأ ابن حيان ، هذا أولا.

وثانيا : إن ابن حبان – لا ابن حيان كما يـذكره السامرائى! – هو محمـد بن حبان بن أحمد أبى حاتم التميمى البستى ، المتوفى سـنة 354 ، صـاحب كتاب «المجروحين» الشـهير ، وابن حبان معروف لـدى الرجاليين وأرباب التراجم وكثيرا ما ينقلون عنه توثيقه أو تضـعيفه ، وكتابه «المجروحين» قد طبع عدة مرات فى ثلاثة أجزاء بتحقيق محمود إبراهيم زايد.

فقد خلط المحقق بين الكتابين ومؤلفيهما وقد حسب أن ابن حبان هو مؤلف كتاب «الجرح والتعديل» لذا فكلما نقل المصنف ابن طاووس – رحمه الله – عن ابن حبان سـرعان ما هرع المحقق السامرائى إلى كتاب «الجرح والتعديل» ولما لـم يجد فيه ما ذكره ابن طاووس أشار إلى عدم اهتدائه فى الهامش.

فمثلا : عند ذكر الضحاك بن الأهوار – الصفحة 124 – : قال الدكتور المحقق : «الذى فى الجرح والتعديل 4 / 463 : الضحاك بن يساور ، وقال : ضعفه البصريون».

وعند ذكر الضحاك بن حجرة المسبحى – فى نفس الصفحة – قال الدكتور : «لـم أجده فى الجرح والتعديل».

وكذلك فى الصفحة 153 عنـد قول المصـنف : «قال ابن حبان عن مجالـد إنه كان ردئ الحفظ» ، قال المحقق فى الهامش : «لـم أهتد إلى هذا فى الجرح والتعديل».

وهذا ناشئ عن عدم معرفة المحقق بابن حبان أو بمؤلف «الجرح والتعديل»! وما أشد تعجبى من المحقق فإنه وبعد تصريح المصنف باسم كتاب ابن حبان فهو – مع ذلك – ينقل عن كتاب «الجرح والتعـديل» ، راجع الصـفحة 167 تجد المصـنف – ابن طاووس – يقول : «وأما حشرج بن نباتة فإن محمد بن حبان صاحب كتاب (المجروحين) وهو لنا عدو قال ما صورته ...».

ومع ذلـك ترى المحقق الـدكتور السـامرائى يقول معلقـا على كتاب «المجروحين» فى الهامش بقوله : «أراد الجرح والتعـديل ظ!!! والفرق شاسع بين

«المجروحين» وبين «الجرح والتعديل».

وهكـذا ، كلما ذكر المصـنف ابن حبان فإن المحقق يراجع كتاب «الجرح والتعـديل» للرازى ، ثم يكتب فى الهامش أنه لم يهتد إليه ، أنظر الهوامش فى الصفحات 167 و 522 و 523 و 524 و 525.

وللتدليل على ذلك فمثلا العبارة الأولى التى ذكرناها آنفا ، أعنى قول المصـنف فى الصـفحة 124 : «وأما ما يتعلق بالضـحاك فقد ذكر ابن حبان ثلاثة بهذا الاسم ...» فهى موجودة فى كتاب المجروحين 1 / 375 ، والضحاك الثانى هو الضحاك بن زيد الأهوازى لا (الأهوار) ، والثالث هو الضحاك بن حجوة المنبجى لا (الضحاك بن حجرة المسبحى) فراجع.

24 – قال المحقق فى الصفحة 114 عند قول المصنف : «ويقول بعد كلام : هذه صدقة واجبة بتلة (كذا)».

أقول : ما أعرف محل (كـذا) هنا وكلمـة «بتلـة» صـحيحة ، قال ابن منظور فى لسان العرب (بتل) : البتل : القطع ، بتله يبتله بتلا وبتلة فانبتل وتبتل : أبانه من غيره ، ومنه قولهم : طلقها بتة بتلة – إلى أن قال : – ومنه صدقة بتلة أى منقطعة عن صاحبها كبتة أى قطعها من ماله.

وأنا أعجب من الدكتور السامرائى كيف يركب شططا فى مثل هذه الموارد ، والمفروض أنه ذو باع طويل فى اللغة العربية التى تخصص بها ، ومن هنا ظهر لى صحة ما ادعاه بعض الأصدقاء من أن أحد المحققين قد أحصى على الدكتور السامرائى أكثر من سبعمائة غلطة فى تحقيقه لكتاب «العين» الذى هو كتاب لغة كما هو معروف!

25 – قال المصنف فى الصفحة 165 : «روى محمد بن جرير وهو إمامى من طريق الواقدى ...».

قال الـدكتور المحقق فى الهامش : «هو محمـد بن جرير الطبرى ، المؤرخ المفسـر الإمام ، المتوفى سـنة 310 ، أنظر : إرشـاد الأريب 6 / 423 ، وتذكرة الحفاظ

2 / 351 «أقول [والكلام للمحقق السامرائی] : ولا یمکن أن یکون الطبری إمامیا فذلک أمر معروف ، ویبدو لی أن کلمة (إمامی) فی النص تصحیف لکلمة (إمام) وعلی هذا فلا بد أن یکون النص نحوا من : (وهو الإمام) أو النص : (روی محمد ابن جریر الإمام) ...».

مهلاـ مهلا یا دکتور! ما کل أحمر تفاحا ... فلیس کل طبری ما ذکرت ، ثم إن احتمال التصحیف وطروق باب الاجتهاد والتأویل یأتی بعد التأکد من وقوع اشتباه أو سهو من قلم الناسخ فی المتن ولیس هو مما نحن فیه ...

إذ أن محمد بن جریر الطبری هو اسم لشخصین ، أحدهما عامی والآخر شیعی إمامی ، وقد عاشا فی زمن واحد وسمیا بهذا الاسم ولقبا بالطبری وکنیتهما أبو جعفر ، لکن العامی هو محمد بن جریر بن یزید بن خالد الطبری وقد ولد سنة 224 ومات سنة 310 ه ، والشیعی الإمامی هو محمد بن جریر بن رستم الطبری ، وقد ذکره ابن الندیم فی الفهرست فی الصفحة 59 عند ذکره للکتب المؤلفة فی غریب القرآن.

وذکر هما الشیخ الطوسی فی فهرسته ، طبعة النجف ، العامی فی الصفحة 150 والإمامی فی الصفحة 158.

وقد ذکر النجاشی فی رجاله ، الصفحة 376 – طبعة مؤسسة النشر الإسلامی – الطبری الإمامی بقوله : «محمد بن جریر بن رستم الطبری الآملی أبو جعفر ، جلیل من أصحابنا ، کثیر العلم ، حسن الکلام ، ثقة فی الحدیث ، له کتاب : المسترشد فی الإمامة».

وهناک محمد بن جریر الطبری ثالث ، وهو صاحب کتاب «دلائل الإمامة» وهو إمامی أیضا ، ویعبر عنه بالصغیر فی مقابل الطبری الإمامی الأول ، راجع الذریعة 8 / 241 و 21 / 9 و 24 / 349.

فظهر مما مر فساد قول المحقق السامرائی : «لا یمکن أن یکون الطبری إمامیا».

ص: 27

وكل ما فى الأمر أن المصنف ينقل عن الواقدى بواسطة الطبرى الإمامى لا العامى صاحب التاريخ والتفسير المعروف.

26 – وكذلک أعلن عن عدم اهتدائه لترجمة أبى البقاء هبة الله بن ناصر ابن الحسين بن نصير عندما نقل عنه ابن طاووس فى الصفحة 73.

أقول : والمذكور ترجم له الميرزا عبد الله الأفندى فى رياض العلماء 5 / 312 ، وذكره تارة بعنوان : هبة الله بن ناصر بن الحسين بن نصر ، وتارة بعنوان : هبة الله بن ناصر بن نصير ، وقال عنه : إنه من علماء الأصحاب وفى درجة الشيخ الطوسى وقبيله ، يروى عن جماعة ذكرهم كما أنه يروى عنه آخرون منهم الحسين بن محمد بن طحال فى شهر ربيع الأول سنة 488 ه نقلا عن كتاب المزار الكبير لمحمد بن جعفر المشهدى ، هذا وإن الميرزا الأفندى لم يذكر تاريخ ولادته ولا وفاته.

وكذلک ذكره العلامة الضليع آغا بزرک الطهرانى فى الصفحة 204 من «النابس فى القرن الخامس» ووصفه بالرئيس الأجل ، فلاحظ.

27 – قال المصنف – الصفحة 147 – : «وقد روى جماعة عن أنس منهم سعيد ابن المسيب وعبد الله بن عمير ...».

قال المحقق فى الهامش مشيرا إلى عبد الله بن عمير : «وجدت أربعة بهذا الاسم ليس بينهم من روى عن أنس ...».

أقول : إن الدكتور المحقق لم يمعن النظر فى المخطوطة فصحف عبد الملک بن عمير إلى عبد الله بن عمير!! وعبد الملک بن عمير ممن روى عن أنس.

28 – قال المصنف فى الصفحة 142 ناقلا عن مسند أحمد بن حنبل : «وبإسناده عن أبى الطفيل عن أبى سريحة – أو زيد بن أرقم – عن شعبة ، قال : من كنت مولاه فعلى مولاه».

وكتب المحقق فى الهامش : «فى (ط) – بعد شعبة – كلمة (الناسى)» ثم وضع علامة التعجب بعده.

أقول : جزى الله المحقق خيرا أن أشار إلى كلمة «الناسى» فى الهامش ولم يحذفها كما هو ديدنه فى ما يراه غلطا وإن كان صحيحا فى الواقع! وليس المقام من المسائل العويصة التى تزل القدم فيها ، فإن «شعبة» كان ناسيا ممن نقل هل هو أبو سريحة أز زيد بن أرقم ، وقد وردت كلمة «الناسى» فى سند هذا الحديث فى عدة مصادر لا مجال لذكرها هنا فى هذا المختصر وهى موجودة فى مظانها.

29 – وقال المحقق فى هامش الصفحة 129 بأنه لم يهتد إلى ترجمة يحيى بن البطريق.

إن المحقق كأنها آلى على نفسه أن لا يبحث عن ترجمة أى شيعى ، ولا يبذل فى سبيل ذلک أدنى جهد ولو كان هذا الشيعى من أشهر مشاهير عصره فبمجرد ورود اسمه يذكر المحقق أنه لم يهتد إلى ترجمته ، ولعله يراجع مصدرا واحدا كأعلام الزركلى فيعلن عدم اهتدائه لترجمة الشخص ، فكأنما كتاب أعلام الزركلى هو الأول وهو الآخر فى كتب التراجم ، وليت شعرى هل يعلم الدكتور السامرائى تلامذته فى الجامعة على هذه الطريقة من التحقيق وعلى هذا النحو من التتبع – إن صحت التسمية – فإن كان كذلک – وهو كذلک – فأقول : قرت عين جامعة بغداد بتلامذتها وخريجيها الذين سيصبحون رجال العلم فى العراق وأساتذة جامعاتها ومجامعها العلمية.

أعود فأقول : إن يحيى بن البطريق هو من مشاهير علماء الإمامية وعظمائها ، وهو صاحب كتاب «عمدة عيون صحاح الأخبار فى مناقب إمام الأبرار» المطبوع عدة مرات وكثيرا ما ينقل عنه المصنف – ابن طاووس – ويرمز إلى الكتاب بحرف «ع» والذى جهله المحقق السامرائى كما مرت الإشارة إليه.

وقد ترجم لابن البطريق كثيرون من أرباب التراجم والرجال ، وأنا أشير إلى ما قاله بعض أرباب التراجم بشأن المترجم باختصار.

قال الميرزا عبد الله الأفندى فى رياض العلماء 5 / 358 : «الشيخ الأجل

شمس الدين أبو الحسين يحيى بن البطريق الحلى الأسدى ، المتكلم الفاضل ، العالم المحدث الجليل ، المعروف بابن البطريق ، صاحب كتاب العمدة وغيره من الكتب العديدة فى المناقب ، وقد رأيت فى بعض المواضع فى مدحه هكذا : الإمام الأجل شمس الدين جمال الإسلام ، العالم الفقيه ، نجم الإسلام ، تاج الأنام ، مفتى آل الرسول».

وقال عنه الحر العاملى فى أمل الآمل 2 / 45 : «الشيخ أبو الحسين يحيى بن الحسن بن الحسين بن على بن محمد بن البطريق الحلى ، كان عالما فاضلا ، محدثا محققا ، ثقة صدوقا» ثم ذكر كتبه ...

وقال عنه البحاثة القدير آغا بزرک الطهرانى فى مصفى المقال ، صفحة 502 : «الشيخ شمس الدين أبو الحسين يحيى بن الحسن بن الحسين بن على بن محمد ، الراوى عن محمد بن على بن شهرآشوب فى سنة 575 ه ، وقد أرخ فى (كشف الحجب) وفاته سنة 600 عن سبع وسبعين سنة ، وهو صاحب كتاب العمدة المعروف بعمدة ابن البطريق ، وله (رجال الشيعة) الذى نقل عنه ابن حجر فى (لسان الميزان) الذى كتبه فى ما زاد على (ميزان الشيعة) للذهبى».

وقد ترجم له آخرون من الخاصة والعامة لا نطيل بذكر أسمائهم.

وختاما ، هذه بعض الملاحظات قد سجلتها على تحقيق هذا الكتاب الجليل وتركت البعض الآخر خوفا من الإطناب الممل ، وما قصدى بذلک سوى الحث على الاعتناء بالتراث الإسلامى العظيم الذى خلفه لنا سلفنا وقد بذلوا فيه أقصى ما يمكنهم من الجهد والعناء ، وقد وصل بأيدينا فلا ينبغى لنا إلا بذل الجهود المخلصة من دون تعصب أو تساهل لإيصاله إلى أيدى القراء كما هو ، وبذلک نكون أمناء فى أداء رسالتنا ولنا من الأجيال الحاضرة والآتية الشكر والامتنان ومن الله الأجر والثواب ، والله من وراء القصد.

السيد على العدنانى الغريفى

أبو الأسود الدؤلى

ودوره فى وضع النحو العربى

السيد هاشم الهاشمى

بسم الله الرحمن الرحيم

هـذه دراسـة عن أبى الأسود الـدؤلى ، بحث فيها عن صـلته بوضع النحو العربى ، وقـد اخترت هذا الموضوع لأهميته ، ولما يدور حوله من شبهات واعتراضات وأنا أشعر بأنها تحتاج إلى إضافات أخرى ، لعل الفرصة تسمع لها ، ولكن رأيت من الجدير نشر ما كتبته فى هذا المجال ، لعله يلقى بعض الضوء ، على معالم هذه الشخصية ، وعلى هذه القضية الهامة ، قضية (وضع النحو العربى).

ورأيت أن أبـدأ فى نشـر مـا كتبته حول وضع النحو العربى ، لأـهميته ، وبعـد ذلـک سوف أنشـر ترجمـة أبى الأـسود وتاريـخ حياته ومعالم شخصيته.

فنبحث هنا حول مدى صـلة أبى الأسود الدؤلى بوضع النحو العربى ، ومدى صـحة الرأى القائل بأنه واضع النحو العربى ، بتوجيه من الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب – عليه السلام –.

عرض الروايات

نستطيع تقسيم الروايات التى تدلنا على بداية وضع النحو العربى ، وعلى

السيّد هاشم الهاشمى

واضعه ، وعلى سبب وضعه إلى قسمين ، وسوف نذكر هنا نماذج لكل قسم ، وهناک روايات أخرى ، يلاحظها القارئ فى مختلف الكتب ، وسوف نذكر روايات أخرى خلال هذه الدراسة :

القسم الأول :

وهى الروايات التى تؤكد على أن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب - عليه السلام - هو الذى وضع النحو ومنها :

1 - قال القفطى : «الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، قال أبو الأسود : دخلت على أمير المؤمنين - عليه السلام - فرأيته مطرقا مفكرا ، قلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال : سمعت ببلدكم لحنا فأردت أن أضع كتابا فى أصول العربية ، ثم أتيته بعد أيام فألقى إلى صحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، الكلام : اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ، ثم قال : تتبعه وزد فيه ما وقع لک ، وأعلم أن الأشياء ثلاثة : ظاهر ومضمر ، وشئ ليس بظاهر ولا مضمر ، وإنما يتفاضل العلماء فى معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر» (1).

وفى الإنباه أيضا رواية عن أبى الأسود ، قال : «دخلت على أمير المؤمنين فأخرج لى رقعة فيها : (الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى) فقلت : ما دعاک إلى هذا ، قال : رأيت فسادا فى كلام بعض أهلى فأحببت أن أرسم رسما يعرف به الصواب من الخطأ ، فأخذ أبو الأسود النحو من على ولم يظهره» (2).

وفى الإنباه أيضا - ولعلها ملحقة بالرواية السابقة - : «إن زيادا سمع بشئ عند أبى الأسود ورأى اللحن قد فشا فقال لأبى الأسود : أظهر ما عندک للناس

1- 1. إنباه الرواة : 4.

2- 2. إنباه الرواة : 5.

ليكون إماما ، فامتنع عن ذلک ...» (1).

2 – وذكر السيد حسن الصدر فی كتابه تأسيس الشيعة : «قال ركن الدين على بن أبی بكر الحديثی فی كتاب الركنی : إن أول من وضع النحو أبو الأسود ، أخـذه من على – عليه السـلام – وسـببه أن امرأة دخلت على معاويـة فی زمن عثمان وقالت : أبوی مات وترک مالا ، فاسـتقبح معاوية ذلک ، فبلغ فرسم لأبی الأسود ، فوضع أولا باب الإضافة» (2).

3 – وقال ابن الأنبارى : «وروى أن سبب وضع على لهذا العلم أنه سمع أعرابيا يقرأ : لا يأكله إلا الخاطئين ، فوضع النحو» (3).

القسم الثانی :

وهی تدل على أن أبا الأسود هو الذى وضع النحو :

1 – قـال ابن خلكـان : «وقيل : كان أبو الأسود يعلم أولاد زياد بن أبيه فجاء يوما وقال له : أصـلح الله الأمير ، إننى أرى العرب قـد خالطت هـذه الأعـاجم ، وتغيرت ألسـنتهم ، أفتـأذن لى أن أضع للعرب مـا يعرفون أو يقيمون به كلامـهم ، فقال : لا ، فجاء رجل إلى زياد ، وقال : أصلح الله الأمير ، توفى أبانا وترک بنون ، فقال زياد : ادعوا لى أبا الأسود ، فلما حضر ، قال : ضع للناس الذى نهيتک عنه» (4).

2 – وفى الأغانى : «إن أبا الأسود دخل على ابنته بالبصـرة فقالت : يا أبتى ما أشـد الحر ، فرفعت كلمة (أشد) فظنها تسأله وتسـتفهم منه أى زمان الحر أشد؟ فقال : شهر ناجر ، فقالت : يا أبتى إنما أخبرتک ، ولم أسألک» (5).

1– 1. إنباه الرواة : 5.

2– 2. تأسيس الشيعة : 48.

3– 3. نزهة الألباء : 3.

4– 4. الوفيات 1 / 240.

5– 5. الأغانى 11 / 119.

هـذه نماذج للروايات الكثيرة فى هذا المجال ، التى تمتلئ بها كتب الأدب والنحو والتاريخ ، وسوف نذكر روايات أخرى بهذا المضـمون ، وسوف نفسر هذا الاختلاف فى سبب الوضع والواضع.

المؤيدون وأدلتهم

المؤيدون :

لم أجـد من القـدماء من يتنكر لصـحة هذه الروايات إلا أفرادا قلائل جدا ، أما المعاصـرون فالكثير منهم قد عارض هذه الروايات ورفضـها وأثبت عدم صحتها ، وهناك آخرون من المعاصرين قد اتفقوا مع القدماء فى تأييدها.

والحديث الآن يدور حول المؤيدين وأدلتهم.

فقد عقد السـيد حسن الصدر فى كتابه «تأسـيس الشيعة لعلوم الإسلام» فصلا كبيرا جمع فيه شتى الروايات والآراء التى نسبت وضع النحو للإمام – عليه السلام – أو لأبى الأسود.

1 – ونذكر بعض المؤيدين الذين ذكروا فى كتبهم آراءهم :

فمنهم : محمد بن سـلام الجمحى – المتوفى سنة 232 – يقول : «وكان لأهل البصـرة قدمة بالنحو ، وبلغات العرب والغريب عناية ، وكان أول من أسس العربية وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلى» (1).

ومنهم : أبو قتيبة الدينورى – المتوفى سنة 276 – فى كتابيه «الشعر والشعراء» و «المعارف» حيث يقول : «وهو أول من وضع العربية» (2) ويقول : أبو الأسود الدؤلى يعد فى النحويين لأنه أول من عمل كتابا فى النحو بعد على بن أبى طالب عليه السلام» (3).

1– 1. طبقات الشعراء : 9 – 10.

2– 2. الشعر والشعراء : 570.

3– 3. المعارف : 80.

ومنهم : ابن النديم – المتوفى سنة 280 – فيقول : «زعم أكثر العلماء أن النحو أخذ عن أبى الأسود ، وأن أبا الأسود أخذ ذلک عن أمير المؤمنين – عليه السلام –» (1).

ومنهم : أبو الطيب اللغوى الحلبى – المتوفى سنة 351 – حيث يقول : «ثم كان أول من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلى» (2).

ومنهم : السيرافى – المتوفى سنة 368 – يقول : «اختلف الناس فى أول من رسم النحو ، وأكثر الناس على أبى الأسود الدؤلى» (3).

ومنهم : أبو هلال العسكرى فى كتابه «الأوائل» ، وأبو الفرج الأصبهانى فى كتابه «الأغانى» ، والزجاجى فى أماليه ، وابن خلدون فى مقدمته ، والقفطى فى «إنباه الرواة» ، وابن الأنبارى فى «نزهة الألباء» ، والسيوطى فى «الأشباه والنظائر».

ولو أردنا استعراض القدماء الذين صرحوا فى كتبهم بصحة هذا الرأى ، والروايات فى هذا المجال ، لطال بنا الحديث ، لذلک نكتفى بذكر هؤلاء وسنذكر بعضهم خلال هذه الدراسة.

2 – وهناک من القدماء من روى عنهم صحة هذا الرأى والروايات ، ويدخل فى ذلک كثير من النحاة الذين رويت عنهم هذه الروايات ، أو روى عنهم أنهم صرحوا بصحة نسبة وضع النحو للإمام – عليه السلام – أو لأبى الأسود.

فصاحب «الأغانى» (4) يروى رواية تؤكد هذه النسبة ، ومن رجال سندها عبد الله بن أبى إسحاق ، وعيسى بن عمر ، وسيبويه ، والخليل.

ويروى صاحب «المحاسن والمساوئ» عن يونس بن حبيب النحوى – المتوفى سنة 183 – قوله : «أول من أسس العربية وفتح بابها ونهج سبيلها أبو

1– 1. الفهرست : 59.

2– 2. مراتب النحويين : 506.

3– 3. أخبار النحويين البصريين : 10.

4– 4. الأغانى : 199 ح 11.

الأسود الدؤلى ، واسمه ظالم بن عمرو» (1).

ويروى عن معمر بن المثنى – المتوفى سنة 209 – أنه قال : «أخذ أبو الأسود عن على بن أبى طالب – عليه السلام – العربية» (2).

ومثل ذلك يروى لنا الزجاجى فى أماليه عن المبرد.

ويقول أبو عمر عثمان بن سعيد الدانى – المتوفى سنة 444 – فى كتابه «المحكم فى نقط المصاحف» : «حدثنا محمد بن على ، قال : حدثنا ابن الأنبارى ، قال : حدثنا أبى ، عن عمر بن شيبة ، عن الثورى ، قال : سمعت أبا عبيدة معمر بن المثنى يقول : أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلى ، ثم ميمون الأقرن».

أدلة المؤيدين :

ومن خلال ذلك كله نستطيع الوصول إلى الدليل الذى استند إليه المؤيدون فى رأيهم :

1 – يقول السيرافى : «وأكثر الناس على أبى الأسود» (3).

ويقول ابن الأنبارى : «إن الروايات كلها تسند وضع النحو إلى أبى الأسود ، وأبو الأسود يسنده إلى على – عليه السلام –» (4).

ويقول الفخر الرازى : «وتطابقت الروايات على أن أول من وضع النحو أبو الأسود ، وأنه أخذه أولا من على – عليه السلام –» (5).

وهكذا يقول السيوطى.

وبذلك تكون الأدلة : إجماع العلماء واتفاقهم ، وشهرة الروايات وتواترها المعنوى ، والروايات المسندة لرجال لهم اعتبارهم ووثاقتهم.

1– 1. نقلا عن كتاب تأسيس الشيعة : 40.

2– 2. أخبار النحويين البصريين : 11.

3– 3. أخبار النحويين البصريين : 10.

4– 4. نزهة الألباء : 6.

5– 5. نقلا عن مدرسة البصرة النحوية : 47.

ويتبنى هذا الاجماع والاتفاق من المعاصرين الأستاذ العقاد ، وعبد الرحمن السيد ، وكمال إبراهيم كما سنتعرض لآرائهم.

2 – ولا أقول : إن التواتر ، والاتفاق ، والروايات الصحيحة هى الأدلة الوحيدة التى اعتمد عليها المؤيدون إلى صحة هذا الرأى ، فهناك أدلة أخرى سوف نراها تظهر خلال هذه الدراسة ، ولكنها الأدلة الرئيسية فى هذا المجال.

المعارضون واعتراضاتهم

نظرة عامة :

لعل ما يثير الاستغراب والدهشة حقا ، أن يظهر فجأة من يحاول التشكيك فى هذا الرأى ، وهو وضع الإمام – عليه السلام – أو أبى الأسود للنحو العربى ، أو يحاول تكذيبه ورفضه بعد تطابق القدماء وإجماعهم على صحة هذا الرأى.

والمعاصرون الذين أنكروا صحة هذا الرأى ، نذكر منهم أحمد أمين فى كتابه «ضحى الإسلام» ، وإبراهيم مصطفى فى بحثه فى «مجلة كلية الآداب» المصرية ، وشوقى ضيف ، وكثيرا من المستشرقين الذين اعتبروا مثل هذه الأحاديث (حديث خرافة) أمثال دائرة المعارف الإسلامية ، وهناك غيرهم من المعاصرين لم نذكر أسماءهم.

اعتراضات المعارضين :

يلاحظ أننى قسمت الاعتراضات تقسيما محددا لنبتعد بذلك عن الاضطراب المنهجى الذى حدث للكثير ممن حاول عرض الاعتراضات الموجهة لهذا الرأى أو حاول مناقشتها ، والاعتراضات هى كما يلى :

1 – بداوة العقلية فى عصر الإمام – عليه السلام – :

ولعل هذا الاعتراض هو أهم الاعتراضات ، وأظن أن المصدر الأول له هم المستشرقون (1) ، كما يبدو من دائرة المعارف الإسلامية ، وقد تبناه أحمد أمين حيث يقول – بعد عرض الروايات السابقة – : «كل هذا حديث خرافة ، فطبيعة زمن على – عليه السلام – وأبى الأسود تأبى هذه التعاريف وهذه التقاسيم الفلسفية ، والعلم الذى ورد إلينا من هذا العصر فى كل فرع يتناسب مع الفطرة ، وليس فيه تعريف ولا تقسيم ، إنما هو تفسير آية أو جمع لأحاديث ليس فيها ترتيب ولا تبويب ، فأما تعريف وأما تقسيم منطقى فليس فى شئ مما صح نقله إلينا عن عصر على وأبى الأسود» (2).

وسعيد الأفغانى يؤيد أحمد أمين فى رأيه هذا فيقول : «ولعل الأستاذ – أى أحمد أمين – لم يكن بعيدا من الصواب حين روى هذا الخبر فعلق عليه ما يلى» (3) ،

---

1 – 1. ولا نريد الآن الحديث على المستشرقين ودراسة واقعهم ، فكثير من الباحثين المسلمين والعرب قد درسوا حركة المستشرقين – أسسها وأهدافها وآثارها ورجالها – دراسة مركزة وتوصلوا إلى نتائج لها أهميتها فى هذا المجال ، لعل من أهم هذه الأهداف هى محاولة أكثر المستشرقين – لا كلهم بالطبع – عن عمد أو غير عمد فى تشويه الإسلام والانتقاص من قدرات المسلمين ، وخاصة العناصر والحركات والمعتقدات الصالحة والمستقيمة من المسلمين ، وكان بودى دراسة هذه الحركة لولا ضيق المجال وبعدها عن صميم الرسالة وكتابة البعض من الكتاب المسلمين المنصفين عنها ، ولكن من الغريب أن نرى عند بعض كتابنا الإيمان بكل ما يكتبه المستشرقون كحقيقة موضوعية راهنة لا تقبل النقاش ، كأحمد أمين وغيره ، ولو أن الحديث عن أحمد أمين لا يقل اتساعا وغرابة من الحديث حول المستشرقين وخاصة موقفه من الشيعة – معتقداتها وأحاديثها ورجالها – وقد درس هذا الموقف منه بعض كتاب الشيعة ، فلعل رأيه هذا – فى وضع النحو – كسائر مواقفه تجاه الشيعة ، كما نلاحظ تأثره بالمستشرقين فى هذا المجال عند قوله عن هذه الروايات بأنها (حديث خرافة) وهو نفس التعبير الذى أطلقه بعض المستشرقين كما يلاحظ ذلک من النص الذى نذكره عن إبراهيم مصطفى ، ومن هنا نرى مدى تأثير المستشرقين على فكرنا المعاصر ونلاحظ أيضا مدى بقاء الأفكار التقليدية الجاهلية فى أذهان البعض.

2– 2. ضحى الإسلام 2 / 285.

3– 3. فى أصول النحو : 155.

ثم يذكر حديث أحمد أمين السابق.

وهذا الرأى يتبناه أيضا إبراهيم مصطفى فيقول : «ولكننا لا نستطيع أن نتقبل ذلک - أى وضع الإمام (عليه السلام) للنحو - بيسر ، ولا أن نستسيغ أن هذا الزمن المبكر قد تمكن فيه العرب من الاشتغال بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه الذى نراه فى كتب العربية ، وقد أنكر ذلک المستشرقون وعدوه حديث خرافة» (1).

ويقول عبد الكريم الدجيلى : «وفى وسعنا أن نقول : إن طبيعة العرب فى صدر القرن الأول للهجرة لم تكن طبيعة تقسيم وتبويب وتعريف للجزئيات والأقسام والفصول ، ولا يقع فى تفكير هذا الطبع الساذج ذلک الجدل النحوى ولا تلک المماحكات ، وإنما هو طبع بسيط ينظر للأمور عامتها لا خاصتها ، وكلياتها لا جزئياتها ، وهذا القول يتناسب وما ورد إلينا من التراث الثقافى لذلک العصر كتفسير بعض الآيات» (2).

إذا فالمعاصرون يستبعدون هذه النسبة - نسبة وضع النحو للإمام (عليه السلام) أو لأبى الأسود - : «لقرب العرب فى عصر أبى الأسود من غضاضة البداوة ، إذ لا بد من وضع قواعد العلوم من مدارسة واصطلاح لم تهيأ لها عقول العرب بعد» (3).

2 - التأثر بالثقافات الأجنبية :

وهذا الاعتراض لا يقل أهمية عن الاعتراض الأول ، بل لعله يرتبط به ارتباطا وثيقا ، فيقول المعارضون : «إن ما جاء فى التحديدات والتقسيمات من طبيعة منطقية أو فلسفية لم تكن تتناسب والعقلية العربية فى ذلک الزمن ، وإنما

1- 1. مجلة كلية الآداب : 1 - 6.

2- 2. مقدمة ديوان أبى الأسود : 66.

3- 3. مصطفى السقا ، نشأة الخلاف فى النحو ، مجلة اللغة العربية ، ج 1 ص 95.

وقع بعد نقل الفلسفة والمنطق اليونانى إلى العربية ، وتغلغل ذلک فى علوم العربية والعلوم الإسلامية» (1) ، ويذهب لهذا الرأى الكثير من المستشرقين والمتأخرين.

3 – تاريخ التدوين :

وهناک اعتراض آخر يوجه إلى تاريخ تدوين هذه الروايات ، حيث يذكر بأنها متأخرة ، فلم تذكر آراء نحوية للإمام – عليه السلام – أو لأبى الأسود فى الكتب النحوية الأولى ككتاب سيبويه أو أى كتاب نحوى آخر ، يقول إبراهيم مصطفى : «ويلاحظ أول ما يلاحظ أننا لم نجد فى كتاب سيبويه ، ولا فيما بعده رأيا نحويا نسب إلى أبى الأسود ، ولا إلى طبقتين بعده ، فنحن أمام حقيقة واضحة أخذت من كتب النحو ، وهى أن أقدم من نسب إليه رأى نحوى هو عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى» (2).

4 – اختلاف الروايات :

فى لفظها ومتنها ، وفى سبب وضع النحو ، وفى واضعه ، مما يؤدى إلى الشک فى الروايات نفسها ، يقول أحمد أمين بعد حديثه السابق : «ويشهد لهذا – أى لرأيه فى تكذيب الروايات – الروايات الكثيرة المتناقضة فى سبب الوضع» (3).

ويقول : الدجيلى : «وهذه الروايات التى تتنازع واضع النحو ، والتى تتباين فى سبب وضعه ، تبدو للمتتبع الممحص مختلفة مضطربة لا يركن إليها ، ولا يطمأن إلى ما تهدف إليه» (4).

ويقول فؤاد حنا ترزى : «وتبدو هذه الروايات مضطربة متناقضة» (5).

1– 1. كمال إبراهيم ، واضح النحو الأول ، مجلة البلاغ ، السنة الأولى ، العدد 8 ص 17.

2– 2. نقلا عن كتاب مدرسة البصرة النحوية : 53.

3– 3. ضحى الإسلام 2 / 285.

4– 4. مقدمة ديوان أبى الأسود : 67.

5– 5. فى أصول اللغة والنحو : 10.

5 – التنقيط والنحو :

ويتوصل هؤلاء المعارضون المعاصرون بعد الاعتراضات – التى ذكرناها – إلى أن أبا الأسود لم يضع النحو ، بمعناه المصطلح الجديد ، بل الذى وضعه هو تحريک المصحف الشريف بالنقط ، كما أجمع على ذلک الباحثون من القدامى والمعاصرين ، وهذا الذى فعله أبو الأسود قد ظنه القدماء نحوا ، لذلک نسب إليه وضع النحو ، ويكاد يجمع ويتفق على هذه النتيجة كل المعارضين ، يقول أحمد أمين : «وعلى هذا فمن قال : إن أبا الأسود وضع النحو فقد كان يقصد شيئا من هذا ، وهو أنه وضع الأساس بضبط المصحف حتى لا يكون فتحة موضع كسرة ، ولا ضمة موضع فتحة ، فجاء بعده من أراد أن يفهم النحو على المعنى الدقيق ، فاخترع تقسيم الكلمة» (1).

ويقول الدجيلى : «فنحو أبى الأسود هو فى الواقع تثبيت للنطق العربى حين قراءة القراءات وترتيل الآيات ، فهو إذا قد وضع الجذر للنحو العربى فبهذا الرأى المنطقى نرفض الروايات» (2).

ويذهب إلى هذا الرأى إبراهيم مصطفى أيضا.

واضع النحو الأول

وبعد كل هذه الاعتراضات يحق لنا التساؤل ، إذا فمن هو واضع النحو الأول؟

هنا عدة إجابات للباحثين – من القدماء والمعاصرين – عن هذا التساؤل :

1 – إن النحو لم يضعه أبو الأسود ، بل وضعه بعض تلاميذه ، فبعضهم

1– 1. ضحى الإسلام 2 / 285.

2– 2. مقدمة ديوان أبى الأسود : 70.

يذهب إلى أن النحو قد وضعه عبد الرحمن بن هرمز (1) تلميذ أبى الأسود ، أو ابن عاصم (2) وهو تلميذه أيضا ، وهناك من يذهب إلى أن واضع النحو غيرهما.

2 – إن النحو قـد وضع قبل أبى الأسود ، وينفرد بهـذا الرأى ابن فارس – كما هو رأيه فى نشأة العروض – فيقول : «إن هذين العلمين قد كانا قديما وأتت عليهما الأيام وقلا فى أيدى الناس ثم جدده هذان العلمان» (3) ، ويقصد منهما أبو الأسود والخليل.

ولكن هذين الرأيين يفقدان عناصـر الصـحة والسـلامة : فالرأى الأول لـم يلتزم به إلا بعض قليل من المؤرخين ، وبعض هؤلاء الذين التزموا بهذا الرأى اعتبروا الرأى الصحيح والرئيس هو وضع أبى الأسود للنحو ، ونسبوا رأيهم هذا إلى كلمة (قيل) كدليل على ضعفه وقلة شأنه.

أمـا رأى ابن فـارس ، فهو لا يعتمـد على سـند تاريخى أولا ، ولا يؤيـده أحـد من القـدماء والمعاصـرين – كما أعلم – ثانيا ، وعـدم وجود الروايات التى تدعمه.

إذا فنبقى نحن وهـذه الروايات التى تنسب وضع النحو للإمام – عليه السـلام – أو لأبى الأسود ، لنبحث عن مـدى ثباتها تجاه الاعتراضات الموجهة لها ، ومدى توافقها للموازين النقدية والعلمية.

مناقشة الاعتراضات

المناقشة العامة :

وقبل أن نناقش كل اعتراض من الاعتراضات بصورة مسـتقلة ، يجدر بنا أن تقول بأن بعض المعاصرين ناقش هذه الاعتراضات بصورة عامة ، يقول كمال إبراهيم عن اعتراضات المعارضين : «وهذه كلها أقاويل واجتهادات لا تقوم على

1– 1. أخبار النحويين البصريين : 16.

2– 2. أخبار النحويين البصريين : 15.

3– 3. نقلا عن تأسيس الشيعة : 40.

سند يعتد به ، والروايات التى هى أقرب إلى عهد الوضع هى الأحرى بالأخذ والثقة بها» (1).

ويستغرب الطنطاوى من مثل هذا التشكيك والتكذيب من المعاصرين فى نسبة النحو للإمام – عليه السلام – أو لأبى الأسود فيقول : «فمن الغريب بعدئذ أن يستنكر المستشرقون هذه النسبة المتواطأ عليها قديما وحديثا» (2).

فهذه الاعتراضات ، هى أقرب إلى الفروض التى لم تبلغ مستوى النظرية والجزم العلمى فى مقابل التواتر والإجماع الذى بلغ مستوى الجزم العلمى ، فهى أقرب إلى السفسطة فى مقابل الواقع الراهن ، فهذه الاعتراضات هى من قبيل الاجتهادات فى مقابل النص ، فمع وجود هذه الروايات والنصوص الكثيرة وإجماع القدماء – المقاربين فى زمانهم لزمان أبى الأسود على وضعه للنحو – فلا مجال لكل هذه الاجتهادات والافتراضات والسفسطات ، والاعتراضات المشككة لوضع أبى الأسود للنحو حتى لو تلبست بلباس البحث العلمى.

مع الاعتراض الأول

علم الإمام المعصوم :

الاعتراض الأول يدفعنا إلى الخوض فى بحوث عقائدية كلامية تدور حول علم الإمام المعصوم ، وحول الإمام على – عليه السلام – حيث يطفح «نهج البلاغة» بمثل هذه التقسيمات والمصطلحات والأفكار المنطقية والفلسفية وغيرها من المعارف السامية التى لم تفتض أسرارها ولم تكشف رموزها وكنوزها إلا بعد مرور مراحل زمنية طويلة ، بعد ارتقاء الفكر البشرى وثراء معلوماته ، وربما ستمر أجيال طويلة بعد ذلك ولا يتوصل إلى عمق أسرارها ومعطياتها الزاخرة.

والملاحظ فى هذا المجال أن الشبهات والاعتراضات التى يثيرها البعض

1- 1. مجلة البلاغ ، واضح النحو الأول ، العدد 8 ، ص 18.
2- 2. نشأة النحو : 20.

حول نسبة النحو للإمام – عليه السلام – أو نسبة التقسيم الثلاثى وتعريفاته تشابه الشبهات التى أثارها البعض حول «نهج البلاغة» ومدى صحة نسبته للإمام – عليه السلام – حيث يزخر ببعض التقسيمات والتعريفات والمصطلحات والأفكار التى لا يمكن أن تنشأ فى تلك الفترة الزمنية البدائية من حيث الوعى والثقافة.

ولسنا هنا – فى هذه الدراسة – فى مجال البحث عن «نهج البلاغة» وصحة نسبته للإمام – عليه السلام – ، فإن لهذا الموضوع مجالا آخر ، ولكن نشير هنا وبإيجاز إلى ملاحظة عابرة ، ونترك التوسع للدراسات الأخرى التى كتبت حول هذه القضية :

هناك بعض الشبهات والشكوك التى أثارها بعض القدماء والمعاصرين حول «نهج البلاغة» ومدى صحة نسبته للإمام – عليه السلام – كله أو بعضه ، وأنه فى الواقع – حسب رأى هؤلاء – من تأليف الشريف الرضى نفسه ، ومن هؤلاء الكثير من العرب والمستشرقين ، ولعل رأيهم فى هذا المجال يشابه رأيهم فى وضع النحو العربى ، وبعض أدلتهم متشابهة.

فمن المشككين القدامى ، ابن خلكان ، ولعله أول من بذر بذور التشكيك حول «نهج البلاغة» ، وتبعه الصفدى فى «الوافى بالوفيات» ، واليافعى فى «مرآة الجنان» ، والذهبى فى «ميزان الاعتدال» ، وابن حجر فى «لسان الميزان» ، وابن خلدون ، وغيرهم من القدامى.

ومن المعترضين المعاصرين أحمد أمين فى «فجر الإسلام» ، وشوقى ضيف فى كتابه «الفن ومذاهبه فى الأدب العربى» ، ومحمد سيد كيلانى فى كتابه «أثر التشيع فى الأدب العربى» ، وغيرهم.

وقد تصدى لمناقشتهم جماعة من الباحثين ، وخاصة الباحثين الشيعة أمثال الشيخ هادى كاشف الغطاء فى كتابه «مدارك نهج البلاغة» ، والسيد هبة الدين الشهرستانى فى كتابه «ما هو نهج البلاغة» ، والشيخ الأمينى فى كتابه «الغدير» ، والسيد عبد الزهراء الخطيب فى كتابه «مصادر نهج البلاغة» وغيرهم.

والملاحظ أن قصة الشبهات التى أثيرت حول نسبة «نهج البلاغة» للإمام – عليه السلام – حيث أنهم نسبوه للشريف الرضى ، هذه الأسطورة قد قضى عليها أخيرا على أيدى بعض الكتاب المؤمنين المخلصين الذين قاموا بدراسات واعية وبحوث إحصائية أثبتوا من خلالها أن «نهج البلاغة» لا يمكن أن يكون من إنشاء الشريف الرضى ، وذلك لوجود أكثر الخطب والأحاديث فى مصادر وكتب متقدمة زمنيا على زمان الشريف الرضى ، إذا فإذا ثبتت صحة نسبة «نهج البلاغة» للإمام – عليه السلام – فمن السهل ثبوت نسبة التقسيم الثلاثى أو بدايات النحو للإمام – عليه السلام – لما فى «نهج البلاغة» من تعريفات وتقسيمات ومصطلحات وأفكار عالية المضامين والمعانى تدل على إبداع وعلى قوى فكرية هائلة.

ونحن نلاحظ أن القرآن الكريم يشتمل على الكثير من التقسيمات والمضامين السامية ، فلا يستغرب صدور مثل هذه التقسيمات والإبداعات فى تلك الفترة الزمنية من الإمام – عليه السلام – وهو تلميذ القرآن ، والذى عايش القرآن الكريم منذ صغره ، وكذلك نلاحظ وجود التقسيمات والتعاريف والمصطلحات فى الأحاديث النبوية ، فلا غرابة فى أن يتعلم منها من نشأ وعاش فى أجوائها ، وخاصة الإمام – عليه السلام – الذى يملك من القوى الفكرية الزاخرة التى يشهد بها الجميع.

والملاحظ أن البعض من القدامى والمعاصرين الذى شكك فى نسبة «نهج البلاغة» للإمام – عليه السلام – قد ذهب إلى صحة نسبة النحو للإمام – عليه السلام – أو لأبى الأسود ولم يشكك فى نسبة النحو.

وبعد هذه الملاحظة الموجزة والعابرة ، نقول : بأننا سنترك هذا الجانب العقائدى فى دراستنا ، ولو أن الإيمان به وحده يغنى عن عرض الأدلة والنقاش ، كما آمن به من تعرف على حقيقة الإمام – عليه السلام – وما يملكه من قوى ومعارف ، ونبحث عن هذه الواقعة التاريخية من خلال الواقع التاريخى نفسه والروايات نفسها ، ونحاول دراسة هذه الظاهرة على حسب السيرة والطرق

والأساليب التى يؤمن بها المعترضون فى نشأة العلوم والمعارف البشرية.

شيوع اللحن ومحاربته

1 - انتشار اللحن :

نحن نعلم أن النحو لم يوضع جزافا وعبثا - كما هو الحال فى كل ظاهرة جديدة - فلا بد من حاجة ملحة على ظهورها ، وقد قالوا : «إن الحاجة أم الاختراع» ، ولا بد من دوافع أدت إلى إبداع النحو ، وإلا لو لم توجد مثل هذه الدوافع لما كان هنا تفكير فى إبداعه. أجل ، إنما وضع النحو لأجل مواجهة الظروف والأجواء الجديدة التى ظهرت آنذاك والتى أشاعت اللحن على ألسنة الناس ، ولعل أهم الأسباب لذلك هو الاختلاط بين العرب والشعوب الأجنبية الأخرى التى دخلت الإسلام ، أو خضعت للحكم الإسلامى وعاشت فى بلاد المسلمين ، أو ارتبط بها المسلمون ببعض العلاقات التى فرضتها الظروف الجديدة ، وبإيجاز فإن هذا الاختلاط بكل صوره وأساليبه قد فرضته الظروف الجديدة التى خلقها انبثاق الإسلام وبعثته وتحركه ، ومن طبيعة هذا الاختلاط فى الألسنة أن يخلق اللحن ، ولو راجعنا تاريخ اللحن لرأيناه قد ظهر حتى فى عصر الرسول - صلى الله عليه وآله - فيقول أبو الطيب الحلبى : «... لأن اللحن ظهر فى كلام الموالى والمتعربين من عهد النبى - صلى الله عليه وآله - فقد روينا أن رجلا لحن بحضرته فقال : ارشدوا أخاكم» (1).

وبعد عصر الرسول - صلى الله عليه وآله - وبعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية وازداد الاختلاط أخذ اللحن يشيع تدريجيا على الألسنة نتيجة لاتساع اختلاط العرب مع غيرهم فقد «كتب كاتب لأبى موسى إلى عمر (من أبو موسى ...) ، فكتب إليه عمر : سلام عليک ، أما بعد ، فاضرب كاتبک سوطا

1- 1. مراتب النحويين : 5.

واحدا ، وأخر عطاءه سنة» (1).

وروى الجاحظ أن «أول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتى ، بدل عصاى ، وأول لحن سمع بالعراق : حى على الفلاح ، بكسر الياء بدل فتحها» (2).

وينقل ابن قتيبة : «إن رجلا دخل على زياد فقال : إن أبينا هلك ، وإن أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا ، فقال زياد : ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك» (3).

وفى زمان خلافة الإمام – عليه السلام – حيث ازدادت رقعة الاختلاط وتوسعت وكثر اللحن نتيجة لذلك ، لما دخل الإمام – عليه السلام – العراق ، والبصرة بالذات ، وهى المركز الحضارى الذى كثر فيه الاختلاط ، لاحظ مدى شيوع اللحن على الألسنة ، فروى ابن الأنبارى أن الإمام – عليه السلام – قال : «إنى تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء – يعنى الأعاجم –» (4).

وكان أبو الأسود – بين آونة وأخرى – بسبب انتمائه للشيعة وصحبته للإمام – عليه السلام – ينقل إليه أخبارا خطيرة عن هذا اللحن ، فتنقل عن أبى الأسود الرواية المشهورة التى يصرح فيها بعروض اللحن على ابنته (5).

فاللحن إذا بلغ حدا من الخطورة أن دخل بيته ، وكان أبو الأسود يحس باللحن – شأن العرب الفصحاء آنذاك – كما ينقل السيرافى : «قال أبو الأسود الدؤلى : إنى لأجد للحن غمرا كغمر اللحم» (6).

وهناك حكايات كثيرة تنقل عن شيوع اللحن على الألسنة آنذاك.

1– 1. مراتب النحويين : 6.

2– 2. من تاريخ النحو : 11.

3– 3. من تاريخ النحو : 11.

4– 4. نزهة الألباء : 2.

5– 5. أخبار النحويين البصريين : 12.

6– 6. أخبار النحويين البصريين : 14.

2 – خطورة اللحن :

ونتيجة لذلک أخذ الإمام – علیه السلام – یشعر بخطورة اللحن وقد ظهر فی هذا المجال عامل جدید ، یعتبر أهم العوامل التی دفعت الإمام – علیه السلام – إلی التفکیر فی وضع قواعد للغة – أی النحو – وهو العامل الدینی ، أی الاحساس بخطورة هذا اللحن علی التشریع الإسلامی والقرآن الکریم والأحادیث الشریفة ، فإن اللحن فی القرآن الکریم له أخطاره الکبیرة فی مجال فهم الأحکام الشرعیة ، حیث یؤدی اللحن إلی غموض معانیه کما یقول ابن خلدون فی مجال تأثیر اللحن : «وخشی أهل العلوم منهم أن تفسد الملکة رأسا ویطول العهد بها فینغلق القرآن والحدیث علی الفهوم» (1).

ویقول أبو عبد الله الزنجانی : «وحدثت عدة حوادث نبهتهم إلی النهوض إلی صیانة القرآن الذی هو أساس الدین وحفاظ الإسلام من أن یطرق اللحن علیه» (2).

وقد شاع اللحن فی قراءة القرآن الکریم آنذاک فینقل السیرافی أن أبا الأسود : «سمع قارئا یقرأ : إن الله برئ من المشرکین ورسوله» (3) بالکسر ، وقال ابن الأنباری : «وروی أن سبب وضع علی لهذا العلم أنه سمع أعرابیا یقرأ : لا یأکله إلا الخاطئین» (4) حیث صرحت هذه الروایة بأن السبب الرئیس فی وضع النحو هو السبب الدینی ، بل إن العامل الدینی هو العامل الرئیس فی وضع علماء المسلمین لأکثر علومهم أیضا ، بل ربما کانت العوامل الأخری داخلة ضمن العامل الدینی کما صرح بهذا الدافع ابن خلدون وغیره.

1– 1. مقدمة ابن خلدون : 502.

2– 2. تاریخ القرآن : 87.

3– 3. نزهة الألباء : 3.

4– 4. نزهة الألباء : 3.

إذا فلأجل الحفاظ على نصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أن تتعرض للتغيير والتبديل ، ولسوء الفهم وعدم القدرة على فهمها ، وعدم التمكن من استخراج الأحكام الشرعية والمفاهيم الإسلامية بصورة صحيحة ، كل ذلک حفز الإمام – عليه السلام – لوضع النحو ، لأنه خليفة المسلمين ، والذى عليه مهمة الحفاظ على الإسلام والقرآن الكريم لكل الأجيال.

3 – محاربة اللحن :

فكان على الإمام – عليه السلام – أن يحارب هذا الخطر الجديد باعتباره خليفة المسلمين وإمامهم وعلى عاتقه مهمة الحفاظ على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من الخطأ واللحن ، وكان يشاركه فى هذا الشعور أبو الأسود الذى كان يشعر باللحن – كما ذكرنا ذلک فى الرواية السابقة – وكان يعتبر المستشار فى الكثير من القضايا اللغوية – آنذاک – لدى الخلفاء والولاة ، والذى تعرف على مدى شيوع اللحن على الألسنة ومدى خطورته الدينية واللغوية ، وكان الدافع لأبى الأسود هو الدافع الدينى ، لذلک قام بتنقيط المصحف الشريف دون سواه ، ولم يتحرک إلا حين شعر بالخطر المحدق بالمصحف الشريف ، ولكن هذا العمل – رغم أهميته – لا يؤدى هذه الوظيفة بصورة تامة ، لذلک اندفع الإمام – عليه السلام – وأبو الأسود إلى التفكير جديا فى محاربة هذا الوباء الزاحف ومعالجته ، وذلک بوضع النحو الذى يتكفل بهذه المهمة الخطيرة ، فإن علم النحو هو الذى يمكنه القضاء على هذا المرض الذى أخذ يشيع فى الأمة الإسلامية ، وأما التنقيط فإنه وإن كان يشكل جزءا لا ينفصل عن هذه المهمة التى تبناها الإمام – عليه السلام – وكلف بها أبا الأسود – بعد أن مهد له السبيل – ولكنه لا يمكنه معالجة اللحن بصورة تامة كعلم النحو ، كما سنرى ذلک.

وأما الاعتراض بأن تلک الفترة – عصر الإمام (عليه السلام) – لم تكن تسمح بظهور مثل هذه المصطلحات والأفكار الفلسفية والتقسيمات والتعريفات

حيث لم يكن الإنسان فيها يملك تلك العقلية المتطورة ، فيمكن مناقشته بما يلى : -

الوضع البدائى للنحو

1 - نضوج المستوى الفكرى :

نحن نعلم بأن ظهور الإسلام قد أدى إلى نضوج المستوى الفكرى العام عند الناس ، وخاصة طبقة المفكرين والمثقفين ، حيث حمل الإسلام إلى البشر مفاهيم وتصورات جديدة فى مختلف مجالات الحياة ، بل إن الإنسان فى عصر البعثة كان قد بلغ مستوى من الوعى والإدراك أرقى ممن سبقه ، لذلك كانت معجزة النبى - صلى الله عليه وآله - معجزة فكرية وهى القرآن الكريم ، بينما معجزات الأنبياء السابقين كانت حسية ، وهذا ما يدل على ارتقاء الوعى عند الإنسان المعاصر لبعثة الإسلام ، بالإضافة إلى ما حمله القرآن الكريم والنبى - صلى الله عليه وآله - إلى البشر من مفاهيم ومعلومات جديدة وتصورات فى مختلف مجالات الكون والحياة ، فرفع من وعيهم وزودهم بكثير من المعلومات ، بالإضافة إلى اختلاط المسلمين بغيرهم من الشعوب والثقافات ، هذه الأسباب وغيرها أدت إلى ارتفاع مستواهم الفكرى والثقافى ، وفى تلك المرحلة بالذات ظهرت بدايات حركة علمية تعتمد التفكير الواعى فى فهم مختلف المجالات - وخاصة الثقافية - ولو أن ما صنعوه وفهموه لا يرتفع فى مستواه الفكرى والثقافى والعلمى إلى ما نراه اليوم فى نفس تلك المجالات.

ومن هنا نرى بعض أحاديث المسلمين آنذاك وأفكارهم ومفاهيمهم أسمى بكثير من أحاديث الجاهليين ، بل أحاديثهم أنفسهم قبل انتمائهم للإسلام ، وظهر بعض الرجال الذين بلغوا مستوى علميا رفيعا أمثال عبد الله بن عباس وغيره - كما نلاحظ أحاديثهم فى كتب التاريخ والأدب والفقه وغيرها - كل ذلك للزخم الجديد الذى نفخه الإسلام فى أذهان المسلمين وقلوبهم ، وهذا ما لا يمكن أن

ينكره إلا من أعمى الشيطان بصيرته.

هل يمكن لنا أن ننكر تأثير الإسلام وتأثير القرآن الكريم وتأثير الأحاديث النبوية فى نفوس المسلمين؟! إن المسلمين آنذاك كانوا يعيشون الأجواء القرآنية والنبوية الجديدة بكل مشاعرهم ، كانت المفاهيم الإسلامية تدخل إلى قلوبهم لتفعل فيها فعل السحر ، وكانوا يتعلمون ويقتبسون منها طريق حياتهم ، وكان النبى – صلى الله عليه وآله – هو القدوة والأسوة لهم ، والقرآن الكريم والأحاديث النبوية حافلة بالاصطلاحات الجديدة والتقسيمات والتفريعات والتعريفات والأفكار الفلسفية والمنطقية.

ألم يتعلم المسلمون منها طريقة التفكير والاستدلال والمعرفة وخاصة أولئک الأفراد الذين يتميزون بالفكر والوعى والثقافة؟!

ألا نفرق بين الإنسان قبل الإسلام وبعده؟!

وهل يمكن لنا أن ننكر تأثير القرآن الكريم والأحاديث النبوية فى المسلمين؟!

وهل يمكن لنا أن ننكر وجود المفاهيم الجديدة فيها؟!

إن من ينكر هذه الحقيقة الملموسة ، فهو لا ينكر دور الإسلام فحسب ، بل إنه ينكر أيضا حقيقة واضحة وواقعا تشهد له كل الشواهد الحية.

وبعد كل ذلک فليس عجيبا أن تظهر من بعض المسلمين المتميزين بالفكر والثقافة بعض الإبداعات والتقسيمات الجديدة نتيجة لتأثير المرحلة القرآنية والإسلامية الجديدة وما خلقته فى المسلمين من معطيات فكرية وثقافية.

ولعلنا – من هنا – نستطيع أن نلمح الهدف البعيد الذى تهدفه أمثال دائرة المعارف الإسلامية وبعض المستشرقين والسائرين على خطاهم من إنكار هذه النسبة ، حيث كانوا يهدفون إلى عدم تأثير الإسلام فى تكوين الوعى الجديد بين المسلمين ، وإلى عدم تمكن المسلم باستقلاله على إبداع فن جديد ، وأن كل ما يبدعه المسلم فهو مقتبس من ثقافات أخرى ، بل ربما إلى التشكيک فى أصل القرآن الكريم والأحاديث النبوية حيث تشتمل على مثل هذه التقسيمات

والتعريفات ، وأن عصرها عصر بداوة لا يمكن أن تظهر فيه تلك التقسيمات إلى غيرها من أهداف جهنمية ، لا يستهدفون منها التشكيك بالتشيع فحسب ، بل بالإسلام كله.

2 – بدائية النحو :

نحن نعلم أن بداية كل علم أو فكرة تبدأ بهذه الصورة البدائية والتى تتجه للكليات والمسائل العامة كتقسيم الكلمة مثلا ، ثم تتوسع وتتفرع لتتضمن المسائل الجزئية والتفريعات والأبواب والفصول ، كما صرح بهذه الحقيقة الدجيلى فيما نقلناه عنه سابقا (1) ، وهذه الحقيقة يقربها أحمد أمين فى بداية كتابه «ضحى الإسلام» فهو يقول حول العصر الإسلامى الأول : «ورأينا المسائل تبحث بنظر أدق» (2) ، وهو يعترف بالتفاوت الفكرى بين الإنسان الجاهلى والإسلامى ، ويعترف بانتقال العلوم النقلية – من علوم دينية ولغوية – إلى العصر العباسى ، أى أنها كانت موجودة ولو بصورة بدائية ، أى بشكل «مسائل جزئية مبعثرة» (3) ، وهو يعترف «بأن هناك عوامل شخصية أثرت فى العلم لو لم تحدث لأخرت مسير العلم بعض الزمن» (4) ويقصد من ذلك الحاجة ، ونفسرها نحن بالحاجة الدينية. إذا فكل هذه الأسباب والدوافع والمسائل يعترف بها أحمد أمين ، ثم ينكر وجود النحو ولو بصورته البدائية التى استدعت ظهوره الحاجة الملحة ، والتى كانت – تلك الصورة البدائية – على شكل كليات ومسائل عامة ، وربما غائمة فى بعض مسائلها وليست عميقة الفكرة وليس داخلها أبواب وفصول وتفريعات كما نراها اليوم.

وعندما نقول بالصورة البدائية فإننا نعنى تلك المجالات التى استدعت وجودها الحاجة ، فوضع أبو الأسود بعض المسائل والأبواب النحوية بعد ما رأى أن

1– 1. مقدمة ديوان أبى الأسود : 66.

2– 2. ضحى الإسلام 2 / ...

3– 3. ضحى الإسلام 2 / ...

4– 4. ضحى الإسلام 2 / ...

الحاجة تدور حول هذا الباب أو ذاک ، وبمقدار ما يملكه من ثقافة ووعى وإبداع فى خلق النواة الأولى لعلم النحو «فلم يقل أحد أنها وضعت فى أول الأمر كاملة على الوجه الذى نراه فى كتب العربية اليوم ، وإنما قيل إنه وضع بابى المفعول والفاعل أو باب التعجب أو أن وأخواتها .. إلى آخره ، فهو لم يضع النحو كاملا ، وإنما وضع فكرة أبواب استدعتها الظروف ولا بد أن هذه الأبواب التى وضعها وضعت بطريقة عامة مبسطة ليس فيها من الدقة والتفريع ما نراه اليوم فى كتب القواعد ، فالاعتراض إذا غير قائم لأن أحدا لم يقل به» (1). ولعل ما يؤيد ذلک ، وضع أبى الأسود لفكرة (التعجب) فإنه واجه حالة حفزته على البحث عن هذه الظاهرة بعد أن وجد وقوع اللحن فى مجال التعجب خاصة على لسان ابنته حين سألته : «ما أشد الحر» فظنها تسأل ، وهى فى الواقع تريد التعجب ، فهذا المثال - والشک حوله - حفز أبا الأسود على متابعة هذه الظاهرة ، حتى وصل أخيرا إلى وضع فكرة بدائية عامة عن التعجب - كما ينقل عنه - مهدت الطريق لمن يأتى بعده ليواصل البحث عنها وعن سائر المسائل.

إذا ، فالنحو الذى وضعه أبو الأسود كان بدائيا بسيطا ، كما هو الحال فى بدايات مختلف العلوم والأفكار ، وإلا لتوجه الاعتراض لكل العلوم أنها كيف ولدت فى أذهان مخترعيها؟!

تقييم أبى الأسود

1 - شخصية أبى الأسود الثقافية :

ونحن لو درسنا شخصية أبى الأسود - لأن شخصية الإمام (عليه السلام) فوق البرهان - لرأيناه باعتراف المؤرخين والنحاة يملک ثقافة واسعة فى مجالى اللغة والفكر ، حيث كان مطلعا على لهجات العرب ولغتها وغريبها وأدبها وكان شاعرا غير مكثر ، وكان يدرس العربية فى البصرة ، حيث انصرف إليه بعض

1- 1. مدرسة البصرة النحوية : 55.

طلاب العربية الذين واصلوا بعده مسيره فى تطوير القواعد اللغوية والنحوية والأدبية ، وكان يكلفه بعض الأمراء بتعليم أبنائهم ، وكان المفزع لهم فى معالجة المشاكل اللغوية والنحوية والثقافية ، وقد تعرضنا إلى مجالات ثقافية فى ترجمة حياته ، لذلک نكتفى الآن بهذه الخطوط العريضة ، فالجاحظ مثلا يقول : «أبو الأسود معدود فى طبقات من الناس وهو فى كلها مقدم مأثور عنه الفضل فى جميعها ، كان معدودا فى التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين والحاضرى الجواب والشيعة» (1).

فكان يملک مواهب ثقافية واجتماعية مختلفة ، فمثل هذا الشخص الفذ الذى يملک مثل هذه المواهب ألا يحتمل أنه وضع بدايات النحو بعد أن مهد الإمام – عليه السلام – له الطريق ، وفتح عينه على هذا الموضوع ، وقد أجمع المؤرخون على أنه أول من حرک المصحف الشريف بواسطة التنقيط ، وفى هذه العملية دلالة كبيرة على معرفته الواسعة باللغة العربية وحركات الإعراب وعلى ما يملكه من عمق فى التفكير وثقافة لغوية ، بل تدل على توجهه للقواعد النحوية.

ويتوصل عبد الرحمن السيد إلى النتيجة التالية فيقول : «كما لا يستطيع أحد أن يدعى أن عالما مشهودا له بالتقدم والتفوق مقصودا من الخلفاء والولادة لرسوخ قدمه فى العلم وحدة ذكائه فى الفهم ينقط المصحف كلمة كلمة ، ويلاحظ حركات حروفه حرفا حرفا ، ويفعل ذلک فى دقة وبراعة ثم يخرج من عمله هذا دون أن تتكون لدية فكرة أولية عن عمل بعض الأدوات أو عن حركة بعض الكلمات ذات الوظيفة المتشابهة والوضع المتحد ، اللهم إلا أن يكون راسخ القدم فى الغباء بعيدا عن صفات أبى الأسود» (2).

ونحن نضيف إلى قوله : إن من يخوض هذه المهمة ويتكفل بالقيام بها لا ـ بد أن يملک مسبقا توجها وفهما لبعض المسائل والقواعد النحوية.

1– 1. نقلا عن مقدمة ديوان أبى الأسود – للدجيلى – : 13.

2– 2. مدرسة البصرة النحوية : 60.

وسوف نبحث فی فصل لاحق هذه القضیة - قضیة تحریک أبی الأسود للمصحف الشریف - لنبحث عن کیفیتها وطریقتها ودوافعها ، وأنها تشابه من قریب أو بعید وضعه للنحو ، وأن القادر علی القیام بهذه المهمة قادر علی وضع الجذور الأساسیة والبدائیة للنحو.

2 - کتاب أبی الأسود :

فهناک روایـة شائعـة علی ألسـنة المؤرخین والنحاة ، وهی أنه کان لأبی الأسود کتاب فی النحو واسـمه «التعلیقـة» إلا أنه ضاع واختفی کما اختفی غیره من الکتب ، وکما اختفی کتابا عیسـی بن عمر ، اللذان اشـتهرا علی ألسـنة النحاة أیضا ، قال أبی قتیبة فی کتابه الشعر والشعراء : «أول من عمل کتابا فی النحو بعـد علی بن أبی طالب» (1) أی أبو الأسود ، وقال السـیوطی : «قال ابن عساکر فی تاریخه : کان أبو إسـحاق إبراهیم بن عقیل النحوی الدمشـقی المعروف بابن المکبری یـذکر أن عنـده تعلیقـة أبی الأسود التی ألقاها إلیه علی بن أبی طالب» (2) وقد أکد وجود هذه التعلیقة ، ابن الندیم فی فهرسته وأتی بکثیر من القرائن والشواهد التاریخیة علی ذلک (3).

إذا فهذا الکتاب قد رآه ابن الندیم ، وهو خبیر وثقة فی الکتب کما صـرح بذلک المؤرخون ، ویذکر السـید الأمین فی أعیان الشیعة نقلا عن ابن النـدیم فی فهرسـته قوله : «رأیت مـا یـدل علی أن النحو عن أبی الأـسود ما هـذه حکایته ، وهی أربع أوراق أحسـبها من ورق الصـین ، ترجمتها هـذه فیها کلام فی الفاعل والمفعول من أبی الأسود - رحمـة الله علیه - بخط یحیی بن یعمر ، وتحت هذا الخط بخط عتیق : هذا خط علان النحوی ، وتحته : هذا خط النظر بن شمیل» (4) ، وکذلک ینقل

1- 1. الشعر والشعراء.

2- (57) الأشباه والنظائر

3- 3. الفهرست : 61.

4- (59) أعیان الشیعة

السيد الأمين عن القفطى أنه رأى ما يدل على وجود هذا الكتاب بخط أبى الأسود نفسه.

وهكذا نرى أن المؤرخين ، وخبراء الكتب والتراجم ، يذكرون كتابا فى النحو وضعه أبو الأسود بتعليم وتوجيه من الإمام – عليه السلام – ، ولكن اختفائه لا ينفى وجوده ، كما اختفت الكثير من الكتب.

3 – تلاميذ أبى الأسود :

يحدثنا التاريخ أن هناك تلاميذ لأبى الأسود درسوا على يديه (النحو) وقد ذكر المعارضون من المعاصرين أيضا وجود النحو عندهم ، وهم الذين اعتبرهم النحاة طبقة نحوية ثانية بعد أبى الأسود فى سلسلة طبقات علماء النحو ، والذين عبر عنهم عيسى بن عمر والخليل وسيبويه نفسه – فى كتابه – ب (البادئين الأولين).

والمعروف من تلاميذه : يحيى بن يعمر ، وعنبسة الفيل ، وميمون الأقرن ، وعطاء ابن أبى الأسود ، وأبو حرب ابن أبى الأسود ، ونصر بن عاصم ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ولو راجعنا كتب التراجم والتاريخ لرأينا أنها تصرح بأن هناك تلاميذ لأبى الأسود درسوا على يديه النحو والعربية ، كما أننا نلاحظ أنهم حينما يتعرضون لترجمة هؤلاء يذكرون أنهم كانوا من النحاة وأنهم تعلموا النحو من أبى الأسود.

فإذا قلنا بأن طبيعة المرحلة البدائية التى عاشها الإمام – عليه السلام – وأبو الأسود تمنع مثل هذه النسبة – نسبة النحو – لأنهم عاشوا قبل الارتباط الثقافى مع الثقافات الأجنبية ، وقبل نضج الفكر والتطور الثقافى للمسلمين ، فكذلك يصح لنا أن نقول مثل هذا القول فى الطبقة التالية لهما أيضا ، إذ أنهم عاشوا فى فترة زمنية متقاربة الفترة ، أى أنهم عاشوا نفس المناخ الفكرى والثقافى ، إذا فلماذا ننسبه إلى الطبقة الثانية دون الأولى مع أنهم يعيشون مناخا ثقافيا وحضاريا متشابها؟!

4 - وجود النحو فی تلک الفترة :

هناک بعض الأخبار المتناثرة هنا وهناک فی کتب التاریخ والأدب والترجمة حین تؤرخ فترة العصر الأموی ، بل حتی قبله ، وتذکر الخلفاء والولاة أو رجال العصر الأموی تؤکد وجود النحو آنذاک ، فیذکر «إنه کان من أعظم المصائب فی نفس عبد الملک أن ابنه الولید کان لحانة وأنه أخذه بتعلم العربیة فلم یفلح» (1).

ویذکر أن الدافع الذی دفع عبد العزیز بن مروان إلی الاهتمام بالعربیة ما رواه ابن عساکر قبل هذا الخبر أنه دخل علی عبد العزیز رجل یشکو صهرا له فقال : «إن ختنی فعل بی کذا وکذا» فقال له عبد العزیز : «من ختنک؟» فقال له : «ختننی الختان الذی یختن الناس» فقال عبد العزیز لکاتبه : «ویحک ، بم أجابنی؟! فقال له : أیها الأمیر إنک لحنت - وهو لا یعرف اللحن - وکان ینبغی أن تقول : ومن ختنک؟ فقال عبد العزیز : أرانی أتکلم بکلام لا یعرفه العرب ، لا شاهدت الناس حتی أعرف اللحن ، فأقام فی البیت جمعة لا یظهر ومعه من یعلمه العربیة فصلی بالناس الجمعة ، وهو من أفصح الناس (2).

وفی «سفینة البحار» فی لفظة (النحو) نقلا عن کتاب الجواهر للکراجکی : «قال أمیر المؤمنین - علیه السلام - : العلوم أربعة : الفقه للأدیان ، والطب للأبدان ، والنحو للسان ، والنجوم لمعرفة الأزمان» (3).

فهذه الروایات والأخبار وأمثالها تدل علی توجه أبناء العصور الإسلامیة الأولی للحن وللنحو وقواعد العربیة ، وتدل علی وجود النحو والعربیة فی عصر أبی الأسود أو العصر المقارب له ، وقبل الاتصال بالثقافة الیونانیة وقبل تطور العقلیة

1- 1. تاریخ النحو : 13.

2- 2. تاریخ النحو : 14.

3- 3. سفینة البحار 2 / 581.

العربية ونضجها فى العصر العباسى كما ادعاه البعض.

إذا فأولئک الذين ينسبون وضع النحو إلى أفراد مقاربين لعصر الإمام - عليه السلام - وأبى الأسود لماذا يحاولون - وبمختلف الأساليب والمظاهر - التهرب عن نسبته للإمام - عليه السلام - أو لأبى الأسود ، أو التشكيک فيها وتكذيبها؟! ولعل هناک نوايا سوداء فى بعض النفوس المريضة وراء محاولتها التشكيک أو الاعتراض أو التكتم على هذه النسبة.

مع الاعتراض الثانى

النحو العربى والثقافات الأجنبية :

المعارضون يعترضون على أصالة النحو العربى ويعتقدون بأن النحو العربى قد اكتسبه الواضع من النحو اليونانى وأنه لم يتم مثل هذا الاتصال إلا فى مرحلة زمنية متأخرة عن تلک المرحلة التى عاشها أبو الأسود ، فقد ذهب رينو «إلى تأثر النحو العربى بمنطق أرسطو ، كما ذهب إلى هذا غير واحد من المستشرقين» (1).

ولكن يمكن توجيه عدة مناقشات لهذا الاعتراض :

1 - إن مرحلة وضع النحو العربى متقدمة زمنيا على مرحلة الاتصال بالثقافة اليونانية ، والملاحظ أن بعض المعارضين حينما يبحثون حول جذور النحو العربى نراهم ينتهون إلى عبد الله بن إسحاق - المتوفى سنة 117 ه - والذى تتلمذ على يد تلامذة أبى الأسود ، وعاش فى زمن سابق على زمن الاتصال الثقافى والتلاقح الحضارى بين المسلمين واليونان ، إذ أن العرب تعرفوا على الثقافة اليونانية بعد ترجمتها إلى اللغة العربية ، وقد بدأت حركة الترجمة فى العصر العباسى ، وكما ذكرنا فى البحث السابق وجود النحو خلال العصر الأموى ، ومن هنا ندرک أن النحو العربى كان موجودا قبل حركة الترجمة ، وقبل العصر العباسى ، أى قبل

1- 1. الدكتور إبراهيم السامرائى ، دراسات فى اللغة : 206.

زمن الاتصال الثقافی.

2 – اختلاف طبیعـة النحو العربی عن النحو الیونانی ، یقول الـدکتور إبراهیم السامرائی فی مجال عدم تأثر النحو العربی الیونانی : «... ولقد فاته أن الیونانیـة تختلف نحوا وطبیعـة عن العربیـة ، ولم یکن واضع النحو عارفا أو متأثرا بالیونانیة بأی وجه من الوجوه» (1) وفیه إشارة لکلا المناقشتین ، کما أشار إلیهما أیضا فؤاد حنا ترزی فی بحثه عن «اللغـة» التی اکتسب العرب منها نحوهم : «ومن الواضـح أن هـذه اللغـة لا یمکن أن تکون السنسـکریتیة الهندیـة أو الفارسـیة لاختلاف نحوهما عن نحو العربیـة لعدم انتمائها إلی الفصـیلة السامیة ، کما لا یمکن أن تکون الیونانیة للسبب ذاته ، ولأن وضع النحو العربی أسبق فی الزمن من احتکاک العرب الوثیق بعلوم الیونان وفلسفتهم» (2).

ونحن نلاحظ أن القائلین بتأثر النحو العربی بالنحو الیونانی إما بصورة مباشـرة أو بوساطة النحو السـریانی ، علی اعتبار أن النحو السریانی قد اکتسب نحوه من النحو الیونانی ، والنحو العربی قد اکتسب نحوه من السریانیة ، فهو بالتالی قد اکتسب نحوه من النحو الیونانی ، فهذه الفکرة نتیجة تقلید هؤلاء المحدثین للمستشرقین فی أقوالهم ، فإلی مثل هذا الرأی ذهب دی پور (3).

وفکرة الاکتساب لم یکن لها عند القدماء أثر ، وإنما ابتدعها المستشـرقون واتبعهم بعض المحدثین من العرب ، وخاصة الکتاب المصریین کما یقول إبراهیم السامرائی (4) ، ولعل هذا الرأی جزء من تلک الحملة المسـعورة التی شـنها الغرب علی السامیة ، والتی کان من أقطابها رینـان ، ولعـل هـدفها الرئیس هو الإسـلام «فقـد ذهب هؤلاء إلی أن العقلیـة العربیـة الإسـلامیة قـد تأثرت فی صورها المختلفـة بالعقلیة الإغریقیة ، وأول من أطلق هذه الأحکام هم المستشرقون ، ومن بین هؤلاء

1– 1. دراسات فی اللغة : 13.

2– 2. فی أصول اللغة والنحو : 110.

3– 3. دراسات فی اللغة : 14.

4– 4. دراسات فی اللغة : 14.

من لم يتصف بالعدل والقصد ، فما أمر رينان الفرنسى فى القرن الماضى ببعيد ، فقد ذهب إلى أن العرب أو قل : إن العقلية السامية لا ترقى إلى غيرها من العقليات كالإغريقيـة والرومانيـة ، ومن أجل هذا كان هؤلاء عيالا على غيرهم من الشـعوب فى حضارتهم ، وقد أسـرف هذا الفرنسى المسيحى المتعصب لأكثر من غرض واحد ، ولسنا بصدد بيان هذا ، وقد ذهب غيره هذا المذهب دون أن يلتزم بعنفه وشدته ، ولا أريد أن أدفع عن ثقافتنا تأثير الإغريق فما إلى ذلک قصدت وأنا إن فعلت ذلک فقد جرت على الحقيقة كما جار النفر الآخر» (1).

إن لهـذه الحملـة المسـعورة على السامية – أسـبابها وأهدافها وأساليبها – لسـنا فى مجال البحث عنها فللحديث عنها مجال آخر ، ومن هنا ذهب هؤلاء إلى تأثر النحو العربى بالنحو اليونانى إما بصورة مباشـرة أو بوساطة النحو السـريانى ، ولم يقولوا بتأثره بالنحو السريانى فحسب ، لأن السريان ساميون أيضا ، بينما اليونان غير ساميين ، وهم لا يريدون الاعتراف بالساميين.

ولكن نقول : بـأن النحو العربى لم يتـأثر بالنحو اليونانى بصورة مباشـرة لما ذكرناه ، وكـذلک لم يتأثر بالنحو السـريانى كما سـنبحثه ، فينهار أساس التأثر بالنحو اليونانى.

وقد ذهب بعض المعاصـرين إلى أن النحو العربى قد اكتسبه العرب من النحو السريانى المشابه فى كثير من أصوله وأحكامه للنحو العربى ، على اعتبار اشتراكهما فى الساميـة ، ولأن الاتصال بين العرب والسـريان قـد تم قبل الاتصال بين العرب واليونان ، فلا بـد أن يتعرف العرب على ثقافة السـريان ومنها النحو ، وذلک لأن النحو السـريانى قد وضع قبل وضع النحو العربى كما يقول جرجى زيدان : «إن السـريان دونوا نحوهم وألفوا فيه الكتب فى أواسط القرن الخامس الميلادى ، وأول من باشر ذلک منهم الأسقف يعقوب الرهاوى الملقب بمفسر

1- 1. دراسات فى اللغة : 202.

الكتب ، المتوفى سنة 640 م» (1).

ولا ـ يحتمل اكتساب النحو العربى من النحو العبرى ، لأن النحو العبرى لم يدون إلا فى القرن العاشر الميلادى ، أى بعد تدوين النحو العربى (2).

ولا يهمنا فى هذا المجال الحديث حول النحو السريانى ، وهل هو مكتسب من النحو اليونانى - كما يصرح بذلك الكثير من الباحثين - وخاصة أن الاتصال الثقافى بين اليونان والسريان كان وثيقا ، فانتقل على أثر ذلك الكثير من الأفكار الفلسفية والنحوية إليهم ، وإنما نستهدف هنا البحث حول مدى تأثر النحو العربى بالنحو السريانى.

فمن الباحثين الذين يؤمنون بتأثر النحو العربى - فى بدايته - بالنحو السريانى أحمد حسن الزيات حيث يقول : «والغالب فى ظننا أن أبا الأسود لم يضع النحو والنقط من ذات نفسه وإنشائه وإنما نظن أنه ألم بالسريانية - وقد وضع نحوها قبل نحو العربية - أو اتصل بقساوسها وأحبارها فساعده ذلك على وضع ما وضع» (3) وإلى هذا الرأى ذهب إبراهيم مدكور (4) وجرجى زيدان (5) وفؤاد حنا ترزى (6) وغيرهم ، وكذلك بعض المستشرقين ، وينقل فؤاد حنا ترزى تأكيدا لرأيه هذا ، حديثا عن العلماء السريان الذين عاصروا بدايات الحركة الثقافية الإسلامية : «والأسقف سوپرس سيبوخت ، المتوفى عام 666 م ، وقد كان يتقن اليونانية ونقل بعض كتبها فى الفلسفة والمنطق ، كما عنى بالصرف والنحو السريانيين ، وشجع التعاون الثقافى بين المسلمين والسريان» (7).

1- 1. تاريخ آداب اللغة العربية 1 / 251.

2- 2. فى أصول اللغة والنحو : 110.

3- 3. تاريخ الأدب العربى : 154.

4- 4. مجلة مجمع اللغة العربية 9 / 338.

5- 5. تاريخ آداب اللغة العربية : 251.

6- 6. فى أصول اللغة والنحو : 110.

7- 7. فى أصول اللغة والنحو : 110.

أصالة النحو العربى

1 – القائلون بالأصالة :

وهذا الرأى الذى يذهب إلى اكتساب النحو العربى عارضه بعض المعاصرين الذين ذهبوا إلى أصالة النحو العربى ابتداءا وإن تأثر فى بعض مجالاته – بعد ذلک – بالثقافات الأجنبية ، فلم يتأثر لا بالنحو الإغريقى واليونانى مباشرة ، ولا بوساطة النحو السريانى.

يقول السامرائى : «والقول بهذا التأثر نتيجة تقليد هؤلاء المحدثين للمستشرقين فى أقوالهم» (1).

ويـذهب لذلک الطنطاوى فيقول : «نشأ النحو فى العراق فى صدر الإسـلام ، ولأسـبابه نشأة عربية على مقتضـى الفطرة ، ثم تدرج به التطور تمشيا مع سنة الترقى حتى كملت أبوابه غير مقتبس من لغة أخرى لا فى نشأته ولا فى تدرجه» (2).

ويـذهب إلى هـذا الرأى بعض المستشـرقين ، فيقول ليتمان : «ونحن نذهب فى هذه المسألة مذهبا وسـطا ، وهو أنه أبدع العرب علم النحو ابتداءا ..» (3).

وهبو تولـد فايل يقول : «حفظت لنا الروايـة العربية فى مجموعات مختلفة من كتب التراجم وصـفا لمسـلک نمو هذا العلم الذى هو أجدر العلوم أن يعد عربيا محضا» (4).

ويذكر بروكلمان : «إن علماء العرب يرددون دائما الرأى القائل : بأن النحو العربى صدر عن روح عربية خالصة ، ويرى أنه ليس من الممكن إبداء رأى

1– 1. دراسات فى اللغة : 13.

2– 2. نشأة النحو : 14.

3– 3. نقلا عن نشأة النحو : 15.

4– 4. نقلا عن مدرسة النحو البصرية : 104.

موثوق به عن المسألـة مسألة اتصال علماء اللغة الأول بنماذج أجنبية نسـجوا على منوالها ، ويذكر رأى برونيش القائل بأن تأثير الأجانب فى علم اللغة العربية – النحو العربى ، لـم يحدث إلا ابتداءا من سيبويه الفارسى فى حين أن أستاذه الخليل كان عربيا خالصا» (1).

وبذلک نرى أن بعض المستشـرقين منصفون فى آرائهم وأحكامهم ، ولكن لا يعنى ذلک أن ننظر للجميع تلک النظرة الأمينة والصادقة ، بل حتى الباحثين المنصـفين منهم والذين يحاولون معالجة القضايا الإسـلامية معالجة منصـفة وموضوعية فإنهم أحيانا يتوصـلون إلى آراء غير سليمة ، لأنهم لـم يعيشوا الروح والمشاعر الإسـلامية والأجواء التراثية والثقافية التى يعيشها الإنسان المسلم وهذا لا يمنع أن تكون لهم آراء صائبة فى بعض المجالات.

2 – فرضية الاكتساب :

الملاحظ أن الرأى الـذى يـذهب إلى أن أبا الأسود قـد تأثر بالثقافة السـريانية يعتمد على الفرض فحسب ، إذ ليست هناک أية رواية ، أو أى سند تاريخى ، أو رأى من القدماء يثبت لنا هذا التأثر بصورة موثوقة ، فلم يتعرض له حتى واحد من القدماء الذين ذكروا بأن أبا الأسود وضع النحو العربى ، بـالرغم من أن المعروف عن علمائنا القـدامى تتبعهم وتحقيقهم فى البحث عن المسائل العلميـة والثقافيـة ، وقـد ذكروا تأثر المسلمين باليونان أو غيرهم فى بعض العلوم أمثال المنطق والفلسفة ، ولـم يذكروا مثل ذلک عن بدايات علم النحو.

ولكن فى المقابل هناک الكثير من الروايات المتواترة والآراء العديدة وإجماع القدامى على وضع أبى الأسود للنحو بتوجيه من الإمام – عليه السـلام – ، حيث تؤكـد – بل تسـتدل – على أصالة وضـعه وعدم تأثر أبى الأسود فى ذلک بالثقافات الأخرى كما يقول كمال إبراهيم : «لـم يثبت تاريخيا أن أبا الأسود أو

1– 1. نقلا عن مدرسة النحو البصرية : 104.

غيره ممن عمل فى وضع قواعد لغة العرب من بعده كان يعرف اليونانية ، أو أنه اختلط بالسـريان ، أو عرف السـريانية وأخذ النحو أو شـيئا من هذه اللغة منها ، ومؤرخو السير العرب لم يتركوا شيئا من تفاصيل حياة أبى الأسود إلا ذكروه ، وكذلك الأمر بالنسبة لمن سواه ، ولو أن أحدا منهم وقع له شئ من هذا القبيل لما فات واحدا على الأقل من مؤرخى تلك السير» (1).

فهم بالرغم من قرب عهـدهم من أبى الأسود ، وتتبعهم فى مثل هذه القضايا ، وأمانتهم ووثاقتهم فى النقل ، لم يتعرضوا من قريب ولا بعيد لتأثر أبى الأسود - أو غيره من واضعى النحو العربى - بالثقافات الأجنبية ثم يظهر بعد أجيال طويلة من يتبنى هذا الرأى ، فهل عثر على شئ جديد كان قد خفى على علمائنا المعاصـرين وغير المعاصـرين لأبى الأسود؟! إذا فلا يعدو هذا الرأى أن يكون فرضـية لا تعتمد على سـند تاريخى.

3 - طبيعة التشابه :

بالإضافة إلى فرضية الرأى القائل باكتساب النحو العربى فإننا قد رأينا سابقا مدى الحاجة الملحة لحفظ القرآن الكريم من الضياع والغموض ، وبـدافع من تلك الحاجـة والضـرورة الدينيـة كان لا بـد من التفكير فى وضع النحو «ووجود تشابه فى شـئ من النحو بين لغة ولغة لا يدل بالضـرورة على أن نحو هـذه قـد أخذ من نحو تلك ولا سـيما بين اللغات الناشـئة فى منطقة جغرافية واحدة أو مناطق متقاربة ذات احتكاك بينها» (2).

أما «التشابه بين العربية من جهة والسـريانية والعبرية من جهة أخرى فهو أمر طبيعى ، ذلك لأن هذه اللغات الثلاث من فروع لغة واحدة هى اللغة السامية الأصلية ، ولا ريب أن ما ورثته كل لغة هو عين ما ورثته الأخرى من

1- 1. مجلة البلاغ ، واضع النحو الأول ، ج 9 ص 26.

2- 2. مجلة البلاغ ، واضع النحو الأول العدد 9 ، ص 25.

اللغة الأم ، والتوافق كثير بين كل لغة وأختها» (1).

ونرى هذا التوافق بينهما ليس فى مجال النحو فحسب ، بل يشـمل الكثير من المجالات اللغوية ، وهذا ناشئ من تشابه اللغتين فى الأصول وفى كثير من الملامح ، لأنهما من منبع واحد هو اللغة السامية.

إذا «فالقواعد التى تسـتنبط من كل لغة تأتى متشابهة إلى حد كبير وقواعد اللغة الأخرى ، وهذا لا يعنى أن نحو هذه أخذ من نحو تلك ، بل لأن الطبيعة اللغوية قد فرضت ذلك» (2) ونرى ذلك جليا فى مجال التشابه فى تقسيم الكلمة إلى ثلاثة أقسام فى أكثر اللغات ، لأن طبيعة الألفاظ البشـرية تقتضـى ذلك ، وما دام الأمر كـذلك فلا ضـرورة للاكتساب ما دام هـذا التوافق فى الطبيعة اللغوية موجودا ، ويكفى الفرد المثقف الواعى إلقاء نظرة واعية نافذة إلى لغته ليبصر ويكتشف أمثال هذه الأقسام أو غيرها من الأبواب اللغوية ، فليس النحو علما خرج من العدم ، وإنما هو قواعد موجودة فى اللغة يعتمد اكتشافها على الاستقراء وقوة الملاحظة ، وعمق فى التفكير والوعى ، ومعرفة واسعة فى اللغة ، وخاصة لو وجد الدافع الذى يحرك هذا التطلع فى الإنسان ويثيره للبحث عنها ، وقد توفرت كل هذه العناصر فى أبى الأسود.

4 - مدى تأثير الثقافات الأجنبية :

ولكن القول بأصالة النحو العربى أصالة عامة شاملة فى بداياته وفى مراحل تطوره وتوسـعه وفى كل أبوابه وتفريعاته ومسائله لا يصح القول به أيضا ، إذ نتيجة لمرور الزمن وسـعة وشدة اتصال العرب بالأجانب واختلاطهم بهم والتلاقح الثقافى بينهم والانبهار والتأثر الشديد بالفلسفة والمنطق وبعض العلوم الوافدة من الثقافات الأخرى دخلت للنحو مسائل وعناصر جديدة وغريبة عن

1- 1. مجلة البلاغ ، واضح النحو الأول العدد 9 ، ص 26.

2- 2. مجلة البلاغ ، واضع النحو الأول العدد 9 ، ص 27.

وجهه وأصالته ، كما تأثرت سائر العلوم الإسلامية بمثل هذه الثقافات الوافدة بالرغم من أصالتها فى بداياتها «فالعرب تأثروا بهما – أى بالفلسفة والمنطق اليونانيين – فى تنظيم النحو وتهذيبه ، وفى بعض مصطلحاته وأساليبه ، وفى طريق الحجاج والمناقشة فيه ، وهناك فرق بين نقل النحو عنهم أو تقليدهم والتأسى بهم فى إبداعه وإنشائه ، وبين الإفادة من هذا المنطق فى طريقة البحث فيه والاستدلال عليه وفى استعارة بعض مصطلحاته أو السير على نهجه وأسلوبه» (1) وهذا الرأى الذى يذهب إلى تأثر النحو العربى فى مراحل تطوره بالثقافات الأجنبية قد اعترف به حتى بعض النحاة والمؤرخين القدامى ، لا فى بدايات نشأته.

ومن هنا ظهرت حركة عند بعض القدامى والمعاصرين من النحاة فى تهذيب النحو وتجريده من العناصر الدخيلة فيه والمسائل المتأثرة بالفلسفة والمنطق وإعادته إلى وجهه الأصيل ، مما يدل على وجود قواعد ومسائل أصيلة فى النحو غير متأثرة بالثقافات المستوردة والأجنبية.

مرحلة الوضع الزمنية :

وقد نسلم للمعارضين ونقول بأن النحو العربى ليس أصيلا فى وضعه ، بل هو مكتسب ، وقد اكتسب من الثقافات الأجنبية.

وحتى على هذا الفرض ، فإن مرحلة وضع النحو العربى لا تتأخر عن عصر الإمام – عليه السلام – ، ولا ينهار الرأى الذى يذهب إلى وضع الإمام – عليه السلام – وأبى الأسود للنحو العربى وذلک :

1 – تأثير الثقافة اليونانية : قلنا إنه لا يمكن أن يكون الاكتساب من الثقافة اليونانية ، وذلک لأننا ذكرنا أنه لا يمكن أن يكون الاكتساب من هذه الحضارة لأن اتصال المسلمين بها قد حدث فى فترة متأخرة ، والنحو العربى كان موجودا

1- 1. مدرسة البصرة النحوية : 101.

قبل زمن الاتصال وقبل نقل الكتب اليونانية وترجمتها ، فسيبويه والخليل وعيسى ابن عمر ينقلون عن نحاة قبلهم يعبرون عنهم ب «البادئين الأولين».

2 – تأثير الثقافة السريانية : إذا فلا بد أن يكون الاكتساب من غير الحضارة الإغريقية المتأخر وفودها للبلاد الإسلامية ، وكما يذهب إليه بعض المعاصرين أن النحو العربى متأثر بالنحو السريانى ، فالسريانيون دخلوا الإسلام فى خلافة عمر وخالطوا المسلمين مخالطة وثيقة آنذاك – وخصوصا فى العراق – ، «ولم يكن العلماء السريان هم السبيل الوحيد لهذا التأثر ، بل اشترك معهم وربما بزهم أولئک الموالى من السريان الذين استعربوا وأسهموا فى الدراسات النحوية والعربية إسهاما مباشرا» (1).

وكما مر أن (سيبوخت) قد شجع التعاون الثقافى بين المسلمين والسريان ، فمثل هذا الاتصال الثقافى الوطيد بين العرب والسريان منذ صدر الإسلام يفرض أن يطلع المسلمون على التجارب الفكرية والثقافية – ومنها النحو – لدى السريان ، ومن هنا تنشأ فكرة احتمال اكتساب النحو فى بدايته من السريان ، ونحن قد ناقشنا هذا الاحتمال.

3 – ولكن هذا الاحتمال – على تقدير تسليمه – لا يؤخر زمن الوضع عن تلک الفترة التى حددناها – أى زمن الإمام (عليه السلام) – إذ ليس هناک أى ضرورة للتأخير ما دام السريان كانوا منتشرين منذ خلافة عمر فى الأوساط الإسلامية ، ففى خلال هذه المدة إلى زمان خلافة الإمام – عليه السلام – ألا يحتمل أن تعرف المسلمون على الثقافة السريانية ومنها النحو؟

يقول العقاد فى هذا المجال : «ولكن الروايات العربية لا تنتهى إلى مصدر أرجح من هذا المصدر ، وغيرها من الروايات الأجنبية والفروض العلمية لا تمنع عقلا أن يكون الإمام – عليه السلام – أول من استنبط الأصول الأولى لعلم النحو العربى من مذاكرة العلماء بهذه الأصول بين أبناء الأمم التى تغشى الكوفة وحاضر

1– 1. فؤاد حنا ترزى ، فى أصول اللغة والنحو : 111.

العراق والشام وهم هناک غير قليل ، ولا سيما السريان الذين سبقوا إلى تدوين نحوهم ، وفيه مشابهة كبيرة لنحو اللغة العربية» (1).

فإذا كان يمكن الاتصال بالسريانيين فى عصر الإمام – عليه السلام – وأبى الأسود فلا يتأخر التدوين عن تلک الفترة على تقدير اكتساب أبى الأسود النحو منهم.

4 – بل يمكن لنا القول : إن النحو السريانى مكتسب من النحو العربى ، فقد ذكر المؤرخون أن يعقوب الرهاوى هو أول من وضع النحو السريانى ودونه «فهو أول من باشر وضع هذه القواعد للسريانيين» (2) وقد ذكر جرجى زيدان أن يعقوب الرهاوى قد توفى سنة 640 ، ولكن هذا غير صحيح ، إذ ذكر عبد الحميد حسن نقلا عن «اللمعة الشهية» أنه توفى سنة 708 ، كما ذكر ذلک أيضا دى پور وأحمد أمين وفؤاد حنا ترزى ، وقبل هذا التاريخ كان قد توفى أبو الأسود ، إذ أنه توفى سنة 688 ، وهو أول من وضع النحو العربى.

إذا فقد توفى الأسود قبل وفاة الرهاوى بعشرين سنة ، فهو أسبق زمنيا منه ، وأبو الأسود عاش 85 سنة كما ذكرناه فى ترجمته ، كما أنه لم يضع النحو فى أواخر عمره ، بل وضعه فى زمان خلافة الإمام – عليه السلام – ، فهو قد توفى سنة 69 ه ، وسوف نرى أنه قد وضع النحو فى حدود سنة 36 ه ، فيكون قد وضع النحو قبل وفاته ب 33 سنة ، مضافة إلى 20 سنة ، فيكون قد وضع النحو قبل وفاة الرهاوى ب 53 سنة ، فهل يمكن اكتساب النحو من السريانيين قبل وضع نحوهم وقبل تدوينه.

إذا فلماذا لا نفرض العكس ونقول : إن السريان قد اكتسبوا نحوهم من العرب – كما ذهب البعض إلى ذلک – وكما يذكر ذلک صاحب «اللمعة الشهية» (3)؟! ولماذا الإصرار على ضرورة الاكتساب؟! ولماذا نقول إنه ليس

1– 1. العبقريات الإسلامية : 970.

2– 2. مدرسة البصرة النحوية : 98.

3– 3. مدرسة البصرة النحوية : 99.

هناک اکتساب ، بل کل لغة ابتکرت نحوها بعد تجمع العوامل المحفزة علی ذلک؟!

وأنا لا أریـد أن أؤیـد نظریـة الأصالة وعدم الاکتساب بصورة مطلقة وشاملة ، بل أرید أن أقول : إنه لا یمکن اکتساب النحو العربی من النحو السریانی ، للأسباب التی ذکرناها.

إذا – وکما قلنا سابقا – فإن فکرة اکتساب النحو فی بـدایته (فریضـة) لا تثبتها أدلـة وروایات تاریخیـة علی العکس من (أصالته) التی تثبتها – بالإضافـة إلی الأدلـة التی یـذکرها المعاصـرون والقـدامی – روایات ونصوص تاریخیـة تؤکد هذا الرأی ، وأن الإمام – علیه السـلام – أو أبا الأسود قد وضع النحو العربی.

ولکن علی أی احتمال فلا یتأخر تاریخ بدایة النحو عن تلک المرحلة الزمنیة التی عاشها الإمام – علیه السلام – وأبو الأسود.

مع الاعتراض الثالث

ونناقش فیه الرأی الذی یذهب إلی «أن أقدم من نسبت إلیه آراء نحویة هو عبد الله بن إسحاق ، ولا یجد رأیا لأبی الأسود ، ولا لطبقتین بعده فی کتاب سیبویه أو ما بعده» (1) کما مر ذکره.

ومناقشتنا – کما هو منهجنا – علی خطوات :

1 – تأخر التدوین :

فقد تأخر التدوین والکتابة فی شتی المجالات الثقافیة – إلا فی المصحف الشریف – ولیس فی مجال النحو فحسب ، بحیث کانت المسائل تحفظ فی الذاکرة دون محاولة تدوینها وکتابتها – کما تذکر ذلک المصادر التاریخیة – ومن هنا نفسر اختلاف الروایات فی شکلها ومتنها – حتی بالنسبة للحدیث الواحد – ، وهذا الأمر

1– 1. إبراهیم مصطفی ، فی مقالة له فی مجلة الآداب ، نقلا عن مدرسة البصرة النحویة : 53.

نلاحظه حتى فى الأحاديث النبويـة الشـريفة ، فكيف فى الروايات التى لا تملك تلك القداسة والحافز الدينى التى يملكها الحديث النبوى كهذه الروايات – كما سيأتى البحث فى هذا الأمر – ، فلم تسجل أو تدون آراء أبى الأسود ، أو آراء الطبقة الثانية التى من بعده ، لعدم شيوع التدوين آنذاك ، وللاعتماد على الذاكرة والحفظ فى الصدور فحسب ، والتى تكون عادة عرضة للنسيان والاهمال.

2 – بدائية آراء أبى الأسود :

وإضافـة إلى تأخر التـدوين «فإن مسائل النحو ليست مسائل ثابتـة ولا تتغير ، وإنما هى مسائل يأخذها الخلف عن السـلف ، يزيدون عليها ويفرعون فيها بحسب الضـرورة الداعيـة والتلاميـذ المتعلمين ، وأظننا نشاهـد ذلك بعـد أن اسـتقرت مسائل النحو وثبتت قواعده ، ونشاهد تيسيرا وتعديلا لا يختلف حقيقة مع الأصل ، ولكنه يتفق مع العقلية ومع الحاجة الداعية» (1).

فعـدم ذكر رأى لأبى الأسود فى كتاب سـيبويه ليس لأجل عدم وجود رأى نحوى له ، بل لبعد الزمن وعدم تسـجيل آرائه كتابة ، بينما ذكرت آراء عبد الله بن أبى إسـحاق – مثلا – لأن الخليل كان قد تلقاها منه مباشرة ونقلها إلى تلميذه سيبويه ، وكذلك لتطور الآراء النحوية بحيث لا تتلاءم بعقليتها ومنهجيتها وطبيعتها البدائية العامة مع كتابتها وعرضها فى كتاب سيبويه – أو فى غيره من الكتب النحوية – بعد أن طورها ووسـعها تلامذة أبى الأسود ومن بعدهم وفرعوا فيها واعتمد على مناهج وأساليب وآراء تتلاءم وروح عصـرها ووعيه بحيث وصلت لسيبويه بالصورة الثانية المتطورة وليست بالشكل الذى وضعه أبو الأسود.

وحتى آراء عبد الله بن أبى إسـحاق النحوية – الذى يصـفه النحاة والمؤرخون «بأنه أول من بعج النحو ومد القياس والعلل» (2) – لم تذكر ولم يألفها النحاة

1– 1. مدرسة البصرة النحوية ، الدكتور عبد الرحمن السيد : 57.

2– 2. مراتب النحويين : 12.

بعـد ذلک «يقول محمد بن سـلام : سـمعت رجلا يسأل يونس عن ابن أبى إسـحاق وعلمه ، قال : هو والنحو سواء ، أى هو الغاية فيه ، قال : فأين علمه من علم الناس اليوم؟ قال : لو كان فى الناس اليوم من لا يعلم إلا علمه لضـحک به ولو كان فيهم أحد له ذهنه ونفاذه ، ونظر نظره كان أعلم الناس» (1) فإذا كان شأن آراء ابن أبى إسحاق كما ذكر فكيف يكون الحال فى آراء أبى الأسود وهو متقدم زمنيا عليه؟!

3 – الرواة المعاصرون لأبى الأسود :

ولكن كل ذلک ليس بشـئ أمام ذلک الحشـد الكبير من الروايات المثبتـة لهـذه النسـبة «وبعض الروايات لمؤرخين كانوا قريبى العهد إلى عصـر وضع النحو» (2) كما مر ذكرهم ، إضافـة إلى ما ذكره النحاة فى كتبهم وسـيبويه نفسه «من ذكر اصـطلاحات نحويـة وقواعـد عرفت بالنقل عن البادئين الأولين ، والناقلون هم من أوثق الثقات كالخليل بن أحمـد وابن العلاء ، فقـد درس هؤلاء على رجال الطبقة الثانية» (3) فإذا لم يكن البادئون الأولون أبا الأسود وتلاميـذه ، إذن فمن يكونون؟! مع العلم أنه لم تفصل – كما يـدل الرأى السابق – بين طبقـة الخليل وابن العلاء وبين طبقة أبى الأسود فترة زمنية واسـعة ، هذا كله بالإضافة للشواهد التى ذكرناها سابقا التى تدل على وجود كتاب لأبى الأسود فى النحو وتعرض بعض الكتب النحوية لآرائه ووضعه أمثال تقسيم الكلمة.

4 – سيبويه وأبى الأسود :

وبعد ذلک كله يقول كمال إبراهيم : «وهذا كتاب سيبويه – وهو بين

1– 1. أخبار النحويين البصريين : 20.

2– 2. كمال إبراهيم ، واضع النحو الأول ، مجلة البلاغ ، العدد 9 ص 27.

3– 3. كمال إبراهيم ، واضع النحو الأول ، مجلة البلاغ ، العدد 9 ص 27.

أيدينا – وسند الرواية فيه ، فإنه يروى عن السابقين ، فإذا روى عن بعضهم فقد يصل بالسند إلى أبى الأسود وينتهى عنده ، وهذا يدل على أنه كان الواضع الأول» (1) ، إذا فسيبويه أشار إلى أبى الأسود فى كتابه إما بالإيماء كتعبير السابقين والبادئين والأولين حيث يشعر هذا التعبير بقدمهم زمنيا لا أنهم مقاربون لعصره ، أو أشار إليه بالتصريح كما ذكره كمال إبراهيم.

مع الاعتراض الرابع

ونناقش فيه مشكلة اختلاف الروايات ، فى سبب الوضع ، وفى الشكل اللفظى للروايات ، وفى الواضع.

1 – الاختلاف فى سبب الوضع :

عرفنا سابقا مدى شيوع اللحن ، ومدى خطورته الدينية واللغوية ، وكان الإمام – عليه السلام – قد اطلع على بعض مضاعفات ومظاهر هذا الوباء على الألسنة ، كما أن أبا الأسود كان يلمس بين آونة وأخرى مدى انتشار اللحن بين المسلمين نظرا لثقافته اللغوية وإحساسه باللحن وتفكيره الدائم فى هذا المجال ، وكان يرى أمثالا وشواهد كثيرة للحن بين الناس ، وكان ينقل بعض هذه الشواهد والمؤشرات للإمام – عليه السلام – كما درسنا ذلك.

إذا فالسبب الذى دعا إلى وضع النحو هو (انتشار اللحن) ، ولا يمكن أن يكون اللحن منتشرا إلا إذا كانت هناك مؤشرات وشواهد عديدة تعبر عن هذا الانتشار ، أما إذا كان هناك شاهد واحد للحن – أو شاهدان – فلا تدفع مثل هذه الضئالة الإمام – عليه السلام – أو أبا الأسود لوضع النحو ، لأنه حينئذ لا يشكل حافزا قويا فاعلا لوضعه ، فإذا أدركنا ذلك عرفنا لماذا تعددت الأسباب لوضع النحو.

يقول عبد الرحمن السيد : «.. لأنه إذا كان السبب فى التفكير فى هذا

1– 1. كمال إبراهيم ، واضع النحو الأول ، مجلة البلاغ ، العدد 9 ص 27.

العلم خطأ واحـد فقـد نتسأل : لقـد سـبق هـذا الخطأ بأخطاء أخرى نبه إليها ، وعيب بها قائلوها ، فلم لم يـدفع واحـد منها إلى وضع هـذا العلم؟! ولم أهملت كلها؟! أو اكتفى فيها كلها بمجرد التصويب والتصحيح ، والحق أن النفس تميل إلى تعدد الأسباب والأخطاء ، وأن هذا التعـدد فى الخطأ والتنوع فيه هو الذى حفز الهمة وقوى الرغبة فى محاولة التخلص منه» (1) فكانت هناك أخطاء نحوية قليلة صدرت قبل هذه الفترة ، ولكنها لم تحفز على التفكير فى وضع النحو ، وذلك لقلتها وضالتها ، وإنما بدأ التفكير حينما اتسـعت ظاهرة اللحن – للعوامل التى ذكرناها سابقا ، والتى كانت تشجع على هذا الانتشار والاتساع – وخوفا من تزايد هذه الظاهرة فى المستقبل بحيث يصعب علاجها.

2 – الاختلاف فى متون النصوص :

كما نرى ذلك فى بعض الروايات الواردة فى هذا المجال ، ولكننا نلاحظه أن هذا الاختلاف لا يقتصر عليها فحسب ، بل نراه أيضا حتى فى الأحاديث النبوية الشريفة مع وجود حوافز أقوى وأكثر لحفظها وعدم إهمالها ونسيانها ، كل ذلك لأجل عدم وجود التدوين وتأخر الكتابة ، والاعتماد على الـذاكرة فى حفظها ، والنقل بالمعنى للأحاديث لا نقل اللفظ وهـذه الحالـة تفرض هذا الاختلاف فى المتن والشـكل – ولو بصورة جزئية – لا تؤدى إلى الاختلاف الكبير فى المعنى والمضمون.

3 – الاختلاف فى الواضع :

فإن بعض الروايات – كما رأينا – تـدل على أن أبا الأسود هو الذى وضع النحو ، بينما البعض الآخر منها تدل على وضـعه النحو بتوجيه من الإمام – عليه السلام – بعد أن وضع له بعض القواعد الأساسية ليسير على ضوئها ، إذا

1– 1. مدرسة البصرة النحوية : 50.

فكيف نجمع بين هذه الروايات المختلفة؟

1 – ولكن – وكما لا حظنا فى فصل سابق – فإن الروايات والأدلة لم تجمع على أبى الأسود فحسب ، بل إن أكثر الروايات ، بل ما يقارب الاجماع تنسب وضع النحو للإمام – عليه السلام – ، وأنه تلا بعض القواعد الرئيسية على أبى الأسود وأشار عليه أن يواصل البحث من خلالها ، فوسع فيها أبو الأسود وأضاف إليها قواعد وآراء أخرى اكتشفها من خلال بحوثه وتجاربه فى هذا المجال ، أو كما يقول عبد الرحمن السيد : «وهذه الروايات تكاد تجمع أيضا على أن أبا الأسود وضع النحو بإرشاد على – رضى الله عنه – وبعضها يروى ذلك على لسان أبى الأسود نفسه ، وقلة منها تجعل أبا الأسود هو مبتكر هذا العلم ومبدعه دون أن يطلب إليه ذلك أحد أو يوجهه فيه موجه» (1).

فإذا اعترف أبو الأسود نفسه بأخذه النحو من الإمام – عليه السلام – واعترف بهذه النسبة نفس القائلين بوضع أبى الأسود للنحو وهى أكثر بكثير من الروايات التى تنسب وضع النحو لأبى الأسود بصورة مستقلة ، بل ربما قام الاجماع على ذلك. هذه المرجحات وغيرها ترجح الرأى والروايات التى تدل على دور الإمام – عليه السلام – فى وضع النحو ، بينما الروايات التى تعتبر أبا الأسود مستقلا فى وضع النحو لا تملك مثل هذه المرجحات التى تملكها تلك الروايات التى تدل على دور الإمام – عليه السلام – فى وضع النحو.

2 – إننا لو تتبعنا «نهج البلاغة» وأحاديث الإمام – عليه السلام – فى مختلف المجالات ، ومن خلال سيرته الفكرية والحياتية – بغض النظر عن مقدرة الإمام المعصوم كما يؤمن بها الشيعة – لرأينا أن الإمام أوسع من أبى الأسود ثقافة واطلاعا على لغة العرب ، وأكثر تركيزا ووعيا فى شتى القضايا وأكثر فهما واهتماما لاحتياجات المسلمين ، وبالحفاظ على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، فعندما ننسب النحو لأبى الأسود فمن طريق أولى نسبته للإمام – عليه السلام – على أساس

1– 1. مدرسة البصرة النحوية : 49.

الخصـائص التى يتميز بهـا الإمام – عليه السـلام – فهو يملك أكثر المؤهلات التى تؤهله لوضع النحو ، وليس هناك مانع يمنعه عن ذلك والروايات الكثيرة وإجماع المؤرخين كلها تدل على وقوع هذه الحقيقة أيضا.

إذا فلاـ يمكن لنـا أن ننكر دور الإمـام – عليه السـلام – فى وضع النحو ، كما لا يمكن أن ننكر دور أبى الأسود ومشاركته فى ذلك ، فالرأى الصائب أن نقول : إن الإمام – عليه السـلام – وضع بعض القواعـد الرئيسـية فى النحو ، وفتح عيون أبى الأسود على هذا العلم ، ووجهه إلى الطريق وأكـد عليه مواصـلة البحث فيه ، فأضاف أبو الأسود – على ضوء ذلك – أبوابا وقواعد أخرى للنحو ، ووسع وطور ما وضـعه الإمام – عليه السلام –.

وعلى هـذا الأساس فإن عمليـة الوضع قـد شارك فيها الإمام – عليه السـلام – وأبو الأسود ، وكان لكل منهما دوره الفاعل الخلاق فى هـذا المجال ، وبـذلك يمكن الجمع والتوفيق بين هـذه الروايات المتعارضة صوريا ، فلا حاجة إلى طرح بعضـها والالتزام بالبعض الآخر ما دام الجمع ممكنـا اتباعـا للقواعـد والمقاييس المتبعـة فى مجال الروايات المتعارضـة ، حيث أن (الجمع مهما أمكن أولى من الطرح) ، فـذكر الإمام بعض القواعد العامة ، وواصل أبو الأسود المسـير فى تفريعاتها وتطويرها وإضافة أبواب لها بتوجيه من الإمام – عليه السلام – وتأكيد منه على ذلك ، لأنه تلميذه المتميز بالخبرة اللغوية ، والذهنية الوقادة ، كما ذكرنا عن خصائصه فيما سبق.

ولكن هناك من ينكر نسبة النحو للإمام – عليه السلام – على اعتبار أن الأخبار والروايات التى تثبت نسبة النحو للإمام – عليه السلام – هى من وضع الشيعة الذين يحاولون نسبة كل علم لأئمتهم – عليهم السلام – أو أصحابهم ، وأتباعهم ، فهى موضوعة لسبب مذهبى.

فيقول أحمد أمين : «وأخشى أن يكون ذلك من وضع بعض الشيعة

الذين أرادوا أن ينسبوا كل شئ إلى على وأتباعه» (1).

ويقول سعيد الأفغانى : «وفى النفس شئ من نسبة الأولية فى وضع النحو وسائر العلوم لعلى بن أبى طالب» (100).

وهناک غيرهما من ينكر هذه النسبة لهذا السبب المذهبى.

ونناقش هذا الرأى :

1 – إننا لو نسبنا تهمة الوضع للروايات التى تنسب وضع النحو للإمام – عليه السلام – لأمكن لنا أن ننسب نفس التهمة للروايات التى تسنده لأبى الأسود ، إذ كان أبو الأسود – باعتراف الجميع – من أقطاب الشيعة وكبارهم ، إذا فلنتهم هذه الروايات بالوضع أيضا ، بالإضافة إلى أن أبا الأسود أدنى درجة من الإمام – عليه السلام – علميا وفكريا وأدبيا ولغويا – وهما من عصر واحد – فتكون التهمة بالنسبة إليه أشد منها بالنسبة للإمام – عليه السلام – لما يملكه الإمام – عليه السلام – من المؤهلات التى تفوق مؤهلات أبى الأسود فى هذا المجال.

2 – إن الروايات التى تنسب وضع النحو للإمام – عليه السلام – أكثر رواتها ورجالها من غير الشيعة ، وأكثر المصادر التى ذكرتها غير شيعية ، بل أكثر من قال بنسبة النحو للإمام – عليه السلام – والتزم بهذا الرأى من غير الشيعة ، فلو كان فيها أقل ريب أو شبهة لحاول الكثير الطعن فيها أو أغفلها ، مع محاولة الكثير التكتم أو الطعن فى الروايات الشيعية ، فلا بد أن تكون هذه الفضيلة والنسبة قد بلغت حدا كبيرا من الشيوع والانتشار والواقعية بحيث لا يمكن للكثير إغفالها أو الطعن فيها ، وليس لهم إلا التسليم للأمر الواقع ، فذكرهم للروايات والآراء فى كتبهم دليل على عدم وجود مغمز فيها ، ودليل على وصولها إلى الحد الذى لا يقبل الطعن والزيف والوضع ، يقول محمد الطنطاوى بعد ذكر موجة العداء للشيعة : «فكيف يدعون

====

2. من تاريخ النحو : 11.

1– 1. ضحى الإسلام 2 / 285.

أمرا خطيرا كهذا يمضى على كر الزمان ، ويخلد فى بطون الأسفار ، وهم أحر الناس على الغض من شأن العلويين وشيعتهم ، ولا سيما فى مثل هذا الشأن ذى البال والأثر الخالد» (101) ومراده من الأمر هو نسبة وضع النحو للإمام – عليه السلام – ولأبى الأسود.

3 – إن الشيعة يدعون أن أكثر العلوم منسوبة لأئمة أهل البيت – عليهم السلام – وأتباعهم ، والحقائق التاريخية تثبت ذلک ولا يدعون ذلک جزافا بدون أدلة مقنعة وقوية ، إذ تدل الروايات الصحيحة والحقائق التاريخية التى يذعن بها حتى خصومهم على نسبة أكثر العلوم إليهم (102) فلا يوجد هناک مبرر لاستثناء النحو منها ، وهناک عوامل كثيرة أدت إلى نشأة أكثر العلوم على أيدى الشيعة ليس هنا مجال ذكرها ، ومنها أن الشيعة تفرغوا أكثر للأعمال الفكرية والثقافية وبذل جهودهم فى مثل هذه المجالات.

4 – وبالإضافة لذلک كله ، ما ذكرناه فى موضوع «الاختلاف فى الوضع» من كثرة الروايات والآراء ، ومن دلالة «نهج البلاغة» وغيرها على ذلک ، فمن الروايات ما ذكره الحافظ ابن كثير فى ذيل تفسيره «فضائل القرآن» ص 15 – طبع فى ذيل المجلد الرابع – : «قد توجد مصاحف على الوضع العثمانى يقال إنها بخط على – رضى الله عنه – وفى ذلک نظر ، قال فى بعضها (كتبه على بن أبى طالب) وهذا لحن من الكلام ، وعلى – رضى الله عنه – من أبعد الناس عن ذلک فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو – فيما رواه عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلى – وأنه قسم الكلام إلى : اسم وفعل وحرف ، وذكر أشياء أخر تممها أبو الأسود بعده ، ثم أخذ الناس عن أبى الأسود فوسعوه فصار علما مستقلا» وهو يؤكد ما ذكرناه من الجمع بين الروايات المختلفة فى هذا المجال ، وعن بدائية النحو الذى وضع.

====

1. نشأة النحو : 23.

2. لاحظ كتاب «تأسيس الشيعة لفنون الإسلام» ففيه الكثير من الأدلة على هذه الحقيقة.

وقـال ابن جنى فى الخصائص 2 / 8 – الطبعـة الحديثـة ، تحقيق محمـد على النجار – : «وروى من حـديث على – رضـى الله عنه – مع الأعرابى الذى أقرأه المقرئ (إن الله برئ من المشـركين ورسوله) حتى قال الأعرابى : برئت من رسول الله!! فأنكر ذلك على – عليه السـلام – ورسم لأبى الأسود من عمل النحو ما رسمه ما لا يجهل موضعه ...».

وغيرها من الروايات التى ذكرنا بعضـها فى هـذه الدراسـة ، وهناك كثير لم نـذكره – تراجع فى الكتب – كلها تؤكد على دور الإمام – عليه السلام – فى وضع النحو.

زمن الوضع ومكانه :

يبقى هنا زمن اكتساب أبى الأسود النحو من الإمام – عليه السلام ومكانه.

هنـاك روايـات عديـدة تصـرح بـأن أبا الأسود كان قـد أخفى النحو حين اكتسـبه من الإمام – عليه السـلام – بالإضافـة إلى أن «الكثير من المؤرخين يشير إلى أن حين أخذ العلم من الإمام على أو وضعه من نفسه لم يخرجه إلى أحد» (103).

ومن ذلك ما قاله أبو عبيدة معمر بن المثنى : «أخذ أبو الأسود عن على ابن أبى طالب – عليه السـلام – العربية فكان لا يخرج شـيئا ما أخذه عن على بن أبى طالب – عليه السلام – إلى أحد حتى بعث إليه زياد : اعمل شيئا تكون فيه إماما ينتفع الناس به» (104).

ونحن لا نستبعد هذا الرأى لأننا نعلم أن أبا الأسود اكتسب النحو من الإمام – عليه السلام – حين جاء الإمام – عليه السلام – إلى العراق – كما ذكرت ذلك بعض الروايات التى ذكرنا قسما منها فى فصول هذه الدراسة – ولا يمكن أن يكون مثل هذا الاكتساب قد حصل حين كانا فى المدينة ، إذ اتصلت بوضع النحو بعض

====

1. مجلة الأقلام ، السنة الرابعة ، العدد 6 ص 104.

2. أخبار النحويين البصريين : 12.

الحوادث ، كشيوع اللحن مثلا الذى كان منتشرا فى العراق بعد انتشار الأجانب فيه وتوسع البلاد الإسلامية واختلاطهم بالشعوب والثقافات الأخرى ، بالإضافة إلى أنه ليس هناك من مبرر وسبب يفرض التكتم على النحو وإخفائه خلال هذه المدة من حين اكتسابه من الإمام – عليه السلام – حين كان فى المدينة يتعلم ويدرس الثقافة الإسلامية على يد الإمام – عليه السلام – إلى حين ولاية زياد فى أيام معاوية.

فالرأى الراجع هو أن أبا الأسود اكتسب القواعد الأساسية للنحو من الإمام – عليه السلام – حين مجيئه إلى العراق ، وبعد أن لمس انتشار اللحن وأدرك أخطاره الكبيرة – فى المجال الدينى خاصة – ، ولكن هناك عوامل كثيرة أدت إلى إخفائه – سنذكر بعضها فى موضوع التنقيط – ولعل منها ظروف تلك المرحلة المثيرة الصاخبة التى أدت إلى عدم الاعلان عنه إلى أن تهدأ الأجواء ، لأن أبا الأسود كان مشاركا أيضا فى شتى المهام والنشاطات العسكرية والسياسية والاجتماعية فى تلك المرحلة – كما ذكرنا ذلك فى ترجمته – ولكن بعد شهادة الإمام – عليه السلام – فى محراب مسجد الكوفة ، وحين هدأ الجو لأبى الأسود ولم تعد الحوادث والمناصب تستغرق أوقاته حينذاك – كما ذكرنا فى ترجمته – تفرغ إلى البحث والدراسة وأظهر ما اكتسبه من الإمام – عليه السلام – بعد إلحاح الحاجة والضرورة على ذلك ، ولم يكتف بما اكتسبه من الإمام – عليه السلام – بل حاول التوسع فيه جهد طاقته وبما يملكه من فكر وثقافة.

وحين كان يجلس فى مسجد البصرة ويتردد عليه بعض طلاب الثقافة أو حين كان يجتمع مع الناس فى كل مكان كان يعرفهم حينذاك على هذه الفكرة الجديدة وعلى كيفية ولادتها.

مع الاعتراض الخامس

ونناقش فيه الرأى الذى يذهب إليه المعارضون بأن المراد من العربية أو

النحو – فی الروایات – هو تحریک المصحف الشریف بتنقیطه ولیس النحو بمعناه المصطلح.

وقبل أن ندخل فی مناقشتنا لهذا الرأی یجدر بنا أن نبحث حول عملیة تحریک المصحف الشریف بالتنقیط والتی قام بها أبو الأسود بإجماع القدماء.

فتذکر – فی الکتب والمصادر القدیمة والحدیثة – الطریقة التی ابتکرها أبو الأسود فی تحریک المصحف الشریف وهی فی واقعها الأساس للحرکات الإعرابیة التی تعتمد علی المعرفة النحویة واللغویة وتدل أیضا علی قوة الابداع والابتکار التی یملکها أبو الأسود وهو یؤکد أکثر إبداعه لعلم النحو، فیقول أبو العباس المبرد عن أبی الأسود: «أول من نقط المصاحف» (105)، ویقول السیرافی: «کان أبو الأسود لا یخرج شیئا مما أخذه عن علی بن أبی طالب – علیه السلام – إلی أحد حتی بعث إلیه زیاد وقال له: اعمل شیئا لتکون فیه إماما ینتفع به الناس وتعرب به کتاب الله، غیر أن أبا الأسود رفض حتی سمع قارئا یقرأ: (إن الله بریٔ من المشرکین ورسوله) فقال: ما ظننت أن أمر الناس یصل إلی هذا، فرجع إلی زیاد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمیر فلیبغنی کاتبا لقنا یفعل ما أقول، فأتی بکاتب من عبد القیس فلم یرضه، فأتی بآخر، وقال أبو العباس: أحسبه منهم، فقال له أبو الأسود: إذا رأیتنی فتحت فمی بالحرف فانقط نقطة بین یدی الحرف وإن کسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شیئا من ذلک غنة فاجعل مکان النقطة نقطتین، فهذه نقط أبی الأسود» (106) ولعل مراده من النقطتین هو التنوین وأن التنوین علامته نقطتان. ویمکن أن یکون مراد السیرافی من (الشیٔ) فی قوله: «کان أبو الأسود لا یخرج شیئا مما أخذه عن علی بن أبی طالب – علیه السلام –» هو تنقیط المصحف، ویمکن أن یکون النحو.

«ومن کتاب المطالع السعیدة لجلال الدین السیوطی قال: وأخرج ابن

====

1. الإصابة – للحافظ ابن حجر – 2 / 341، والمقنع فی رسم مصاحف الأمصار – للدانی – : 132، وطبقات النحویین : 5.

2. بغیة الوعاة – للسیوطی – : 374، الأغانی 12 / 269.

الأنبارى من طريق العتبى ، قال : كتب معاوية إلى زياد ، ويطلب عبيد الله ، فلما قدم عليه كلمه ، فوجده يلحن ، فرده إلى أبيه ، وكتب إليه كتابا يلومه فيه ، ويقول : أمثل عبيد الله يضيع؟! فبعث زياد إلى أبى الأسود ، فقال : يا أبا الأسود ، إن هذه الحمراء - وأراد بهم العجم لغلبة الحمرة على ألوانهم - قد أفسدت ألسن العرب ، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم ويعرب به كتاب الله ، فأبى ذلک أبو الأسود ، فوجه زياد رجلا ، فقال له : اقعد فى طريق أبى الأسود فإذا مربک فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فيه ، ففعل ذلک ، فلما مر به أبو الأسود رفع صوته يقرأ (إن الله برئ من المشركين ورسوله) فاستعظم ذلک أبو الأسود فقال : عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله ، ثم رجع من فوره إلى زياد ، فقال : قد جئتک إلى ما سألت ، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن ، فابعث إلى ثلاثين رجلا ، فأحضرهم زياد ، فاختار أبو الأسود عشرة ، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس ، فقال : خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد ، فإذا فتحت شفتى فانقط واحدة فوق الحرف ، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة إلى جانب الحروف ، فإذا كسرتهما فاجعل النقطة فى أسفل الحرف ، فإن اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين ، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلک» (107).

وهناک روايات وآراء أخرى تؤكد نسبة التنقيط لأبى الأسود ، وإن كان هناک بعض الاختلاف الضئيل فى متون هذه الروايات ، ولكن لو تأملنا فيها لرأينا عدم تعارضها واختلافها ، إذ يمكن الجمع بينها.

والملاحظ أن هذا العمل من أبى الأسود قد تم فى زمان زياد ومعاوية - كما تؤكده الروايات - وأن أبا الأسود كان عالما به قبل هذا الزمان ، وربما كان بتعليم وتوجيه من الإمام - عليه السلام - كما تحتمله عبارة السيرافى - وكما سنذكره بعد ذلک - ولكن بالرغم من علمه بذلک فى زمان سابق فإن أبا الأسود كان

====

1. نزهة الألباء : 9 ، وروضات الجنات 4 / 167.

يخفيه وكـان به ضـنينا ، ويمكن أن نحتمل أسـبابا كثيرة أدت إلى إخفائه وإلى تأخير إظهاره إلى زمان زياد ومعاويـة ، يمكن أن نحتمل منها الأسباب التالية :

فربما كان السـبب فى التأخير الظروف السياسـية والاجتماعية والحربية الصاخبة آنذاک فى الفترة التى عاشها أمير المؤمنين – عليه السلام – حيث لم تسمح له بنشر هذا العمل.

وربما كان السبب هو المنع الذى كان مفروضا على التدوين والكتابة عامة وخاصة بما يرتبط بالشريعة الإسلامية ، وبالأخص على أصحاب أمير المؤمنين – عليه السـلام – ومواليه وشـيعته ، خوفـا من كتابـة ونشـر بعض الكتابـات التى ترفع من شأن أهل البيت – عليهم السـلام – وتحط من أعـدائهم ومخالفيهم ، فالشـيعة كانوا مطاردين فى تصـرفاتهم وأقوالهم وكتاباتهم ، لذلک لم تسـمح السـلطة بأمثال هذه الأعمال منهم ، فربما لو كان أبو الأسود يبـدأ بهـذا العمل من نفسه لم يكن له مثل هذا الانتشار والتأثير ، وربما حاربته السـلطة الحاكمة ، ولكنه كان ينتظر الفرصة المناسبة التى يشعر بها المسؤولون والحكام أنفسهم بخطورة اللحن على الأمة وبإلحاح من الظروف والناس ليطلبوا منه أو من غيره القيام بهذا العمل.

وربما كان حجـة الـذين منعوا من التدوين والكتابة بصورة عامة ، وخاصة بما يرتبط بالشـريعة الإسـلامية ، هو الخوف من اختلاطها بالقرآن الكريم ، وبذلک لا يحافظ على أصالة القرآن الكريم وسلامته.

إذا فكيف بمثل هـذا العمل الذى يتعرض بصورة مباشـرة للقرآن الكريم ومحاولة تحريكه وتشـكيله وإضافة بعض الكتابات فيه ، مما يكون عامل المنع فيه أقوى ، وهذه الحجة وإن كان وراءها دوافع وأغراض سياسية ، ولكن قد تذرع بها البعض للمنع من التدوين والكتابة.

أو أن السـبب فى ذلک عدم انتشار اللحن فى القرآن الكريم وفى كلام العرب ، وإنما أخذ بالانتشار والذيوع بعد اختلاط العرب بغيرهم مما أدى إلى ظهور اللحن باتساع وإلى الشعور أكثر بخطورة المشكلة.

أو أن السبب هو احتياط بعض المسلمين وتورعهم عن إضافة بعض الكتابات فى المصحف الشريف ، لأنهم كانوا يشعرون بأنه يلزم الحفاظ على المصحف الشريف كما نزل على النبى – صلى الله عليه وآله – دون إضافة ، ومن هنا كان تجنبه تورعا عن القيام بمثل هذا العمل ، ولكن بعد أن أدرک أن الضرورة الإسلامية تحتم عليه القيام بهذا العمل ، قام به خير قيام ، وكما قال الدكتور شوقى ضيف : «كان ذلک عملا خطيرا حقا فقد أحاطوا لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه» (108) ويقول الدكتور مازن المبارک : «ومعنى وضع أبى الأسود لشكل المصحف أنه وضع الضوابط التى تمنع القارئ من الزلل أو اللحن فى القرآن ، وهل للنحو غاية أخرى أبرز من حفظ اللسان من الخطأ؟!» (109).

وهناک عوامل أخرى – ربما لا نعلمها – كانت السبب فى تأخير أبى الأسود إظهار هذا العمل ، وتشمل بعض هذه الأسباب النحو أيضا ، إذ تأخر أبو الأسود فى الاعلان عنه أيضا.

أما عن وجود هذا المصحف الذى شكله أبو الأسود ، فهل هو موجود أوضاع كما ضاع الكثير من كتب التراث؟

ذكر السيد محسن الأمين فى كتابه «أعيان الشيعة» أنه رأى فى خزانة الكتب الشريفة الرضوية مصحفا بخط الإمام أمير المؤمنين – عليه السلام – عليه مثل هذا الشكل والتنقيط ، وهذا يؤيد ما ذكرناه بأن أبا الأسود قد تلقى تحريک المصحف بالتنقيط من الإمام أمير المؤمنين – عليه السلام – كما تلقى النحو منه إلا أن نقول بأن تحريک هذا المصحف الشريف الذى كتبه الإمام – عليه السلام – بخطه قد أضيف إليه من قبل أبى الأسود أو غيره – بعد كتابته – كما يحتمل ذلک السيد الأمين.

يقول السيد محسن الأمين عن القرآن المنسوب إلى خط أمير المؤمنين

====

1. المدارس النحوية – للدكتور شوقى ضيف – : 17.

2. النحو العربى – مازن المبارک – : 30.

– عليه السلام – : «جزء من القرآن منسوب إلى خطه الشريف أيضا – أى أمير المؤمنين عليه السلام – من أول سورة هود إلى آخر سورة الكهف ، بشكل ما نسميه سفينة ويسميه الفرس بياضا ، أى أن أسفل كراريسه من جهة العرض لا من جهة الطول ، وكذلك باقى المصاحف التى رأيناها ، رأيناه فى خزانة الكتب الشريفة الرضوية فى 12 ربيع الثانى 1353 ، عند تشرفنا بزيارة مشهد الرضا – عليه السلام – ، مكتوب على الجلد الرقيق الذى لا يفترق كثيرا عن الكاغذ بخط كوفى غير منقط ، وعليه نقط بالحمرة مدورة هى علامات على الشكل ، والظاهر تأخرها عن كتابته ، فللكسرة نقطة تحت الحرف ، وللفتحة نقطة فوقه ، وللضمة نقطة أمامه ، وإذا كان فى وسط الكلمة توضع النقطة بجانبه ، وللتنوين نقطتان فوقه للمنصوب ، وتحته للمخفوض ، وأمامه للمرفوع ، أما الحرف الساكن فليس عليه علامة ، وقد كانت المصاحف أولا غير منقطة ، لا للإعجام ولا للشكل.

وأول من نقطها للشكل أبو الأسود الدؤلى فى إمارة زياد ، كان يقول للكتاب : إذا رأيتنى فتحت فمى بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، وإن ضممت فى فانقط نقطة بين يدى الحرف ، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف ، وذكره ابن النديم فى الفهرست وزاد ابن الأنبارى فى نزهة الألباء : فإن اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين ، وهذا بعينه تنقيط المصاحف التى رأيناها ، وهو يؤيد أنها بخطوطهم – عليهم السلام – ، وفى آخره سطرين هكذا : كتبه على بن أبى طالب

وجلده مذهب ، موضوع فى صندوق مذهب ، كلاهما فى غاية الإتقان ، مكتوب على جلده : وقف الشاه عباس الصفوى سنة 1008 ، عدد أوراقه 68 ، سطور كل صفحة 15 ، طوله 34 سانتيما ، عرضه 23 سانتيما ، قطره 3 سانتيمات ، وكتب الشيخ البهائى على ظهره بخط يده ما صورته : هذا الجزء من القرآن المجيد الذى هو بشريف خط سيد الأوصياء ، وحجة الله على أهل الأرض

والسماء ، نفس الرسول ، وزوج البتول ، وأبى السبطين ، وإمام الثقلين ، والمخصوص باختصاص إنما وليكم الله ، المعزز بإعزاز من كنت مولاه فعلى مولاه ...» (110).

ثم يذكر السيد الأمين أنه توجد نسخة أخرى من القرآن الكريم بخط منسوب للإمام أمير المؤمنين – عليه السلام – وهو «كالجزء السابق بجميع مميزاته سوى أن سوره غير سوره ، ونقط قليلة خضر من تحت وفوق ، وأقل منها زرق غير نقط الشكل الحمر لم نتحقق المراد منها ، وفى آخره فى سطرين هكذا : كتبه على بن أبى طالب»

وهكذا نرى بأن أبا الأسود كان قد تلقى علومه من الإمام أمير المؤمنين – عليه السلام – ، ولا عجب فى ذلك فإنه من تلامذته وأصحابه الموالين والمخلصين – كما ذكرناه فى ترجمته – ، ولعله كان لدين مصحف بخط الإمام – عليه السلام – مشكل بهذا الشكل ، وهو الذى أخذه من الإمام – عليه السلام – وهو الذى كان به ضنينا – كما فى قول السيرافى –.

وبعد هذا الذى ذكرناه حول عمل أبى الأسود فى تحريک المصحف الشريف بالتنقيط ، نعود لمناقشة هذا الاعتراض ، ومناقشته تكون على خطوات :

1 – فالملاحظ أن المعارضين الذين يعارضون نسبة النحو – بمعناه المصطلح – لأبى الأسود ، جميعهم يؤيدون نسبة التنقيط والتحريک إليه ، مع أن عملية تحريک المصحف الشريف بالتنقيط – وبالصورة التى ذكرت ، والتى رويت عن أبى الأسود نفسه – تعتمد على ملاحظة حركات الإعراب ، وهى عملية تحتاج إلى أن يكون صاحبها عالما ببعض الأفكار والمسائل النحوية ، إضافة إلى أنها عملية لا تقل تعقيدا وتركيزا عن عملية وضع بدايات النحو ، فالقادر على التحريک لا تعصب عليه عملية وضع النحو فى بداياته ، وهذه العملية يفسرها أبو الأسود كما فى الرواية «خذ المصحف ، وصبغا يخالف لون المداد ، فإذا فتحت شفتى فانقط واحدة فوق

====

1. أعيان الشيعة 1 / 90.

الحروف ، إذا ضـممتها فاجعل النقط إلى جانب الحرف ، وإذا كسـرتها فاجعل النقطة إلى أسـفله ، وإذا اتبعت شـيئا من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين» (111).

ونحن حينما نتأمل هذه الرواية جيدا – والتى يؤيدها حتى المعارضون لفكرة وضعه النحو – نرى أن هذه العملية التى قام بها أبو الأسود تدل على مدى ثقافة أبى الأسود النحوية واللغوية وعلى مدى تركيز ذهنيته وتطورها ، ونرى أيضا أن هذه الرواية تشـير إلى بعض المصطلحات ، كالحركات والكسـر والفتح والضم ، وهى مصـطلحات تدل على وجود قابلية الابداع والتركيز – ولو بصورة بدائية بسـيطة – عند بعض رجال ذلك العصـر ، وعلى تقـدير اكتساب هـذه العمليـة – عملية التحريك بالتنقيط – ومصـطلحاتها من السـريان آنذاك – كما يتبنى هذا الرأى أحمد حسن الزيات (112) – فإن ذلك لا يؤخر مرحلة وضعها عن زمان أبى الأسود وأنه الواضع لها.

فالمعـارضون يقولون : «بأن الأمر قـد اختلط على الرواة إذ كانوا يقصـدون بالنحو ضـبط الكلام على سبيل العرب وسـمتها فى القول ، فأبو الأسود نقط المصحف ، وهذا النقط هو النحو المقصود بكلام الرواة» (113).

2 – ولكن الملاحـظ من الروايات «أنها لم تكتف بأن أبا الأسود وضع النحو أو العربيـة فقط ، بل ذكرت أبوابا من النحو نسـبت إليه ، فكيف نأخذ شق الرواية ونترك شقها الآخر؟! الأولى أن تؤخذ جميعا أو تطرح جميعا» (114) فمن الأبواب التى ينسب وضعها إلى الإمام – عليه السلام – وبعضها تنسب لأبى الأسود : باب التعجب والإضافة والظاهر والمضمر وتقسيم الكلمة ... إلى آخره.

3 – إضافة إلى أن بعض الروايات تشـير إلى أن أبا الأسود وضع تشـكيل المصـحف الشريف بالنقط والنحو أو العربية ، فتفصل بينهما ، مما يدل على

====

1. إنباه الرواة : 5.

2. تاريخ الأدب العربى : 154.

3. نقلا عن مدرسة البصرة النحوية : 154.

4. مدرسة البصرة النحوية : 57.

اختلاف معنييهما ومما يدل على أنه كان هناک فرق بين مفهومى التنقيط وبين العربية والنحو فى أذهان الرواة والمؤرخين ، وأين حجر ينقل روايـة تؤكـد مثل هذا الفصل بين مفهومى التنقيط والنحو ، فقد نقل : «إن زيادا أمر أبا الأسود أن ينقط المصاحف فنقطها ، ورسم من النحو رسوما» (115) وهناک روايات وآراء أخرى تؤكد وتصرح بهذا المعنى ، ويقول أبو العباس المبرد : «أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلى» (116).

بالإضافة إلى أن المفهوم من كلمة النحو أو العربية غير المفهوم من كلمة التنقيط كما هو ظاهر ، فكيف يكون المعنى فى كليهما واحدا؟!

ويـذكر السـيد محسن الأمين : «وإعراب القرآن لا دخل له بوضع علم النحو ، الذى كان فى زمن أمير المؤمنين – عليه السـلام – وبأمره لا بأمر زياد ، ويجوز أن يكون أبو الأسود أظهر كتابه يومئذ ، وكان ألفه قبل ذلک ، أو رتب يومئذ ما كان تلقنه من أمير المؤمنين – عليه السـلام – وأضافه هو إليه فجعله كتابا» (117).

وأخيرا .. فالملاحـظ أن هنـاک علاقـة وثيقـة بين النحـو وإعراب القرآن ، فـالمتمكن من إعراب القرآن الكريم والـذى يقوم بمهمـة تحريک المصـحف الشـريف يـدل على أن له علمـا ومعرفـة بـالنحو وتركيزا فى التفكير ، ولكن على كـل حـال فـإن العمل بوضع النحو غير العمل بتحريک القرآن وتنقيطه كما يؤكد ذلک المؤرخون.

الخلاصة :

من خلال ما ذكرناه نسـتطيع التوصل للنتيجة التالية : إن الإمام – عليه السـلام – شعر بضرورة وضع القواعد التى تحفظ اللسان من الخطأ ، وخاصة فى قراءة القرآن الكريم بعد أن وجد اللحن شائعا على الألسنة ، وبما أنه خليفة

====

1. الإصابة – لابن حجر – 2 / 241.

2. الأغانى.

3. أعيان الشيعة 1 / 162.

المسلمين آنذاك كانت عليه مهمة الحفاظ على سلامة القرآن الكريم من اللحن ، وبما أن الأسود كان مرجعا للخلفاء والولاة فى القيام بمثل المهام التى تمس اللغة العربية – نتيجة لثرائه فى اللغة ولذكائه ومستواه الثقافى – فأعطى الإمام – عليه السلام – مهمة وضع هذه القواعد لأبى الأسود بعد أن مهد له الطريق بوضع بعض القواعد الأساسية ليسير على ضوئها ويواصل البحث من خلالها ، وقد سار أبو الأسود فى هذا الدرب الذى رسمه الإمام – عليه السلام – وواصل البحث فيه بصورة أشمل فاكتشف بعض المسائل والأبواب النحوية التى ترتبط وثيقا بشيوع اللحن ، أى أن المجال الذى يشيع فيه اللحن كان يدفع أبا الأسود للبحث والنظر فيه حتى يأخذ فكرة عامة عنه ، وبسيطة بدائية لا فكرة مفصلة متطورة كالتى نراها اليوم فى الكتب النحوية ، ولذلك قلنا : إن النحو الذى وضعه أبو الأسود كان بدائيا بسيطا ، ويقتصر على أبواب قليلة دعت إليها الحاجة وضرورة محاربة شيوع اللحن فيها خاصة.

والدليل على هذا الرأى : تواتر الروايات ، وتضافر الآراء ، وكثير من الرواة قريبو العهد بعصر الإمام – عليه السلام –.

وقد احتمل البعض اكتساب النحو من الحضارات الأجنبية ، ولم يتم مثل هذا الاتصال الوثيق بالثقافات الأجنبية إلا فى زمن متأخر من عصر الإمام – عليه السلام –.

ولا يمكن أن يكون الاكتساب من النحو اليونانى ، لأن النحو العربى كان موجودا قبل ترجمة الكتب اليونانية ، ولأنه يختلف فى طبيعته عن النحو اليونانى.

وكذلك لا يمكن أن يكون مكتسبا من النحو العبرى ، لأن مرحلة نشأته متأخرة عن النحو العربى.

إذا فلا بد أن يكون الاكتساب من النحو السريانى – على القول بأنه سبق النحو العربى فى وضعه – لوجود السريانيين فى المجتمع الإسلامى آنذاك ، ونتيجة لاحتكاك المثقفين من العرب بهم انتقل النحو منها.

ولكن هذا الاحتمال لا يؤخر بداية النحو عن تلك الفترة من عصر الإمام – عليه السلام – إذ أن السريانيين دخلوا الإسلام فى خلافة عمر ، وهم كانوا مقيمين داخل المجتمع الإسلامى ، فيحتمل – ما دام الأمر يقوم على الاحتمال والفروض دون الاعتماد على الروايات التى لا تشير إلى هذه الفكرة – أن اطلع الإمام – مع الغض عن فكرة علم الإمام المعصوم – أو اطلع أبو الأسود على ثقافة السريان وعلى نحوهم فاكتسب منهم بعض قواعدهم وآرائهم النحوية ، ولا يمنع مثل هذا الاتصال والاكتساب أى مانع.

لكن هذا الاحتمال الأخير إنما يعتمد على الفرض والاحتمال دون أن يكون له أى سند روائى ، وكذلك يعتمد على القول بأن النحو العربى مكتسب وليس أصيلا ، وهذا الفكرة الأخيرة ينفيها كثير من المحدثين من العرب والمستشرقين ، بالإضافة إلى أن التاريخ لا يشير أبدا إلى فرضية الاكتساب مع اختلاف طبيعة النحو السريانى عن النحو العربى ، كما ذكره البعض.

وعلى أى احتمال ، فإن بداية وضع النحو العربى لا تخرج من تلك الفترة – فترة عصر الإمام (عليه السلام) – سواء قلنا بأصالة النحو العربى فى بداياته كما هو الرأى الحق ، ورأى إجماع القدماء وبعض المعاصرين ، أو قلنا بأنه مكتسب من النحو السريانى كما هو رأى البعض الآخر من المعاصرين.

والحمد لله رب العالمين.

هاشم الهاشمى

الشيخ المفيد ..

دراسة فى كتبه الكلامية

الشيخ محمد على الحائرى الخرم آبادى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن على أعدائهم إلى يوم الدين.

وبعـد : فإن التحقيق فى حياة العظماء الذين صاروا سـببا لتحولات عظيمة فى عالم العلم والفكر ، لا بد أن يكون بعد التحقيق فى المجتمع الذى عاشوا فيه من الناحية السياسية والدينية والفكرية.

ونحن الآن فى قبال شخصـية لها أبعاد مختلفة ، كل بعد منها يحتاج إلى تحقيقات واسعة فى جهات شتى ، وشخصية المفيد – رحمه الله – تشبه محيطا مواجا لا يمكن الغوص فيه وسبر أعماقه بسهولة لكل أحد ، بل يحتاج إلى المحققين الكبار الذين يستطيعون أن يتحفونا بنفائس من جواهر هذا الخضم الزاخر.

الشـيخ المفيد – رحمه الله – متكلم ومحدث وفقيه وأصولى وفيلسوف ومؤرخ ، وبكلمة واحدة هو موسوعى الثقافة جامع لعلوم عصره ، وقد برز فى جميع المعارف الإسـلامية ، واشـتهر فى الآفاق ، إلى الحد الذى لا يقدر كبار علماء الأديان وأصحاب المذاهب والآراء مقاومته فى البحث والمناظرة ، وكان يتغلب عليهم ويفلجهم بالحجة الواضحة والبرهان الدامغ وهم أعلام الأديان وفحول العلماء

الشيخ محمدعلى الحائرى الخرّم آبادى

ص: 90

وأساطين المذاهب.

وهـذا أمر اعترف به جميع المؤرخين حتى المتعصبين منهم ، فلأجـل ذلـک يأملون موته ، وبزعمهم الباطل يطلبون من الله التخلص منه. فهذا الذهبى فى كتابه «العبر فى خبر من غير» يقول : «والشـيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادى الكرخى ، ويعرف أيضا : بابن المعلم ، عالم الشـيعة وإمام الرافضـة ، وصاحب التصانيف الكثيرة. قال ابن أبى طى فى تاريخه – تاريـخ الإماميـة – : هو شـيخ مشايخ الطائفة ، ولسان الإمامية ، ورئيس الكلام والفقه والجدل ، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة العظيمة ، فى الدولة البويهية.

قال – أى ابن أبى طى – : وكان كثير الصدقات ، عظيم الخشوع ، كثير الصلاة والصوم ، خشن اللباس. وقال غيره : كان عضد الدولة ربما زار الشـيخ المفيد. وكان شـيخا ربعة نحيفا أسـمر ، عاش ستا وسبعين سنة ، وله أكثر من مائتى مصنف ، كانت جنازته مشهورة ، وشيعه ثمانون ألفا من الرافضة والشيعة والخوارج ، وأراح الله منه [!] وكان موته فى رمضان رحمه الله» (1).

ويـذكر ابن كثير فى تاريخه أن : «عبيـد الله بن عبد الله بن حسـين أبو القاسم الخفاف ، المعروف بابن النقيب ، كان من أئمة السـنة ، وحين بلغه موت ابن المعلم فقيه الشيعة سجد لله شكرا ، وجلس للتهنئة ، وقال : ما أبالى أى وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم» (2).

نعم ، هكذا يتمنون موت من تربى فى حجر مدرسة أهل بيت الوحى والرسالة عليهم السلام؟!

فبعـد أن مضـى من انبثاق الإسـلام أكثر من ثلاثة قرون ، ما تفتأ السـلطة الحاكمة والأيادى الخبيثة المتصـلة بها لحظة واحدة عن الضـغط والمكر والغدر واللئامة فى حق أهل بيت النبوة ، وهدم مذهبهم ، ومحو الآثار والمعارف الإسلامية

1- 1. العبر فى خبر من غير 3 / 15 و 114 ، طبع دائرة المطبوعات والنشر فى الكويت 1961.

2- 2. البداية والنهاية فى التاريخ – لابن كثير – 12 / 18 ، طبع مطبعة السعادة المصرية.

التى صدرت من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

فبنو أمية ، فعلوا ما فعلوا فى حق على وأولاده الكرام - عليهم السلام - ، وآل العباس - أيضا - بلغوا فى ظلم آل الله واضطهادهم ما لم يسبقهم إليه سابق حتى قيل فى ذلک :

تالله ما فعلت أمية فيهم

معشار ما فعلت بنو العباس

ففى مجتمع بهذه الخصوصية ، والآفاق السوداء ، أقام المفيد - رحمه الله - علم الانتصار لسيد المظلومين أمير المؤمنين على وأولاده المعصومين - عليهم السلام - ، وتحمل فى هذا السبيل جميع المصائب والمكاره من الطعن واللعن والطرد والتبعيد.

حارب المفيد - رحمه الله - بسيف اللسان والقلم ، فقال وأفاد وكتب ، حتى خضع له أكابر عظماء العصر من المتكلمين والفقهاء والمحدثين وغيرهم.

وقد قبلت الأوساط العلمية الإسلامية ما أسسه فى المعارف الإسلامية مما استقاه من أهل بيت الوحى والسفارة.

ولم ترق هذه العظمة لبعض المتعصبين الذين ليس لهم أى شأن من شؤون الإنسانية ، فوجهوا إليه شتى التهم التى كانوا متخصصين فى اختراعها متفننين فى ابتداعها.

فهذا الخطيب البغدادى بلغ الغاية فى خباثة اللسان فى الطعن على شيخنا المعظم ، قال فى تاريخه : «محمد بن محمد بن النعمان ، أبو عبد الله ، المعروف بابن العلم ، شيخ الرافضة ، والمتعلم على مذاهبهم ، صنف كتبا كثيرة فى ضلالاتهم والذب عن اعتقاداتهم ومقالاتهم ، والطعن على السلف الماضين من الصحابة والتابعين وعامة الفقهاء المجتهدين ، وكان أحد أئمة الضلال ، هلک به خلق من الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه ، ومات فى يوم الخميس ثانى شهر رمضان من سنة ثلاث عشر وأربعمائة» (1).

1- 1. تاريخ بغداد - للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى - 3 / 231 ، مطبعة السعادة المصرية ، عام 1349 ه.

نعم ، لا نتعجب من ذلک ، لأن الخفاش لا يقدر على أن يتحمل ضوء الشمس الساطع.

لقـد صـرف الشـيخ المفيـد – رحمه الله – عمره الشـريف فى سبيل الحق والحقيقـة ، وكان حاصل هذه الجهود المبذولة زهاء مائتى كتاب ورسالة ، حررها فى الموضوعات المختلفة.

والتحقيق حول آثار هذا المفكر الإسـلامى الشـيعى الكبير المؤسـس ، الذى تخرجت من مدرسته شخصيات إسلامية عظيمة ، يفتخر بهم التاريخ والأمة الإسـلامية ، كالشـيخ الطوسى ، والقاضى الكراجكى ، والشريف السيد المرتضى علم الهدى وغيرهم ... التحقيق حول هذه الآثار يجب أن يتم بيد رجال ذوى همم عالية ، كى يؤدوا للشيخ المفيد – رحمه الله – بعض حقوقه.

ويكفى فى الدلالة على عظمة شخصيته – رحمه الله – التوقيع المبارک الصادر من الناحية المقدسة لمولانا صاحب الأمر بقية الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

التوقيع المبارک

«للأخ السديد ، والولى الرشـيد ، الشـيخ المفيد أبى عبد الله محمد بن محمد ابن النعمان – أدام الله إعزازه – ، من مسـتودع العهد المأخوذ على العباد.

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : سـلام عليک أيها الولى المخلص فى الدين ، المخصوص فينا باليقين ، فإنا نحمد إليک الله الذى لا إله إلا هو ، ونسأله الصـلاة على سـيدنا ومولانا نبينا محمد وآله الطاهرين ، ونعلمک أدام الله توفيقک لنصرة الحق وأجزل مثوبتک على نطقک عنا بالصدق ...».

وبالتدقيق فى مفاد ما ورد من الناحية المقدسة وكلماتها وعباراتها ، تتبين لنا عناية صاحب الأمر – عليه السـلام – المخصوصة ، بالنسبة إلى الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه.

وفقدان الشيخ المفيد – رحمه الله – مصيبة عظيمة لأهل البيت – عليهم السلام – ولمحبيهم وشيعتهم ، فإنه :

.....

يوم على آل الرسول عظيم

اهتم الشيخ المفيد – رحمه الله – فى تآليفه القيمة اهتماما بالغا بإحياء شخصية أهل البيت – عليهم السلام – ، ونشر فضائلهم ومناقبهم ، وقد خصص زهاء أربعين أثرا من آثاره الهامة بتلك الذوات المقدسة ، خاصة فى موضع إمامة سيد المظلومين أمير المؤمنين على – عليه السلام –.

نذكر هنا ثبتا منها فى هذا النطاق ، بإذن الله تعالى :

(1)

الافصاح فى إمامة أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

الذريعة 2 / 258 رقم 1051 ، الفهرست – للطوسى – : 158 (1) ، رجال النجاشى : 399 (2). تاريخ التراث العربى 2 / 278 (3) ، أعيان الشيعة 9 / 423 (4) ، معجم المؤلفين 11 / 306 (5) الأعلام – للزركلى – 7 / 21 (6) ، معجم رجال الحديث 17 / 202.

1– 1. الفهرست ، للطوسى ، طبع المكتبة المرتضوية ، النجف الأشرف ، وكل ما ننقل عن هذا الكتاب فمن هذه الطبعة.

2– 2. رجال النجاشى ، الطبعة الحروفية الجديدة ، مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين فى الحوزة العلمية – قم 1407 ه ، وكل ما ننقل عن هذا الكتاب فمن هذه الطبعة.

3– 3. تاريخ التراث العربى ، لسزگين ، تعريب : محمود فهمى حجازى وفهمى أبو الفضل ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978 ، وكل ما ننقل عن هذا الكتاب فمن هذه الطبعة.

4– 4. أعيان الشيعة ، للسيد محسن الأمين ، طبع دار التعارف للمطبوعات / بيروت 1403 ه – 1983 م ، وكل ما ننقل عن هذا الكتاب فنم هذه الطبعة.

5– 5. معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، مطبعة الترقى / دمشق 1380 ه – 1960 م ، وكل ما ننقل / عن هذا الكتاب فمن هذه الطبعة.

6– 6. الأعلام ، للزركلى ، طبع دار العلم للملايين / بيروت – لبنان ، وكل ما ننقل عن هذا الكتاب فمن هذه الطبعة.

نسخة منه فی مکتبة المجلس النیابی الإیرانی فی طهران ، رقم 10547 غیر المفهرس.

نسخة فی مکتبة الإمام الحکیم العامة ، فی النجف الأشرف ، مذکورة فی فهرسها 1 / 66.

وعرف العلامة الرازی فی الذریعة ست نسخ أخری رآها فراجع.

طبع فی النجف الأشرف ، المطبعة الحیدریة ، سنة 1368 ، فی 136 صفحة ، وفی إیران بالأوفسیت ، ضمن کتاب «عدة رسائل للشیخ المفید - رحمه الله -» ، منشورات مکتبة المفید - قم ، من صفحة 1 - 163.

(2)

الإرشاد فی معرفة حجج الله علی العباد

فی تواریخ الأئمة الطاهرین الاثنی عشر - علیهم السلام - والنصوص علیهم ومعجزاتهم وطرف من أخبارهم وغیر ذلک.

الذریعة 1 / 509 رقم 2506 ، الفهرست - للطوسی - : 158 ، رجال النجاشی : 399 ، بحار الأنوار 1 / 7 ، أعیان الشیعة 9 / 423 ، معجم رجال الحدیث 17 / 202 ، ریحانه الأدب 5 / 363 ، تاریخ التراث العربی 2 / 278 ، الأعلام - للزرکلی - 7 / 21.

وعرف سزگین 11 نسخة منها فراجع.

وطبع فی طهران علی الحجر سنة 1295 و 1298 و 1303 و 1317 و 1320 و 1377 و 1377 أیضا ، وفی تبریز سنة 1285 و 1308 ه ، وفی أصفهان علی الحروف سنة 1364 ه ، وفی النجف الأشرف بالمطبعة الحیدریة.

وترجمه إلی الفارسیة المولی محمد مسیح الکاشانی - المتوفی قبل 1125 ه - بعنوان «التحفة السلیمانیة» وطبع فی إیران سنة 1303 ه کما فی الذریعة.

(3)

أقسام المولى فى اللسان

رسالة فى تحقيق أقسام المولى فى اللسان العربى وبيان معانيه العشرة ، والمراد منه فى قوله – صلى الله عليه وآله وسلم – فى حديث الغدير : «من كنت مولاه فعلى مولاه».

الذريعة 2 / 272 ، رجال النجاشى : 401 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، ريحانة الأدب 5 / 363 ، معجم رجال الحديث 17 / 204.

نسختان منها فى مكتبة المجلس النيابى الإيرانى ، فى طهران ، مذكورتان فى فهرسها 7 / 17 [21 / 8] وأيضا – 7 / 272 ضمن مجموعة.

ورأيت ثلاث نسخ منها فى مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم ، مذكورة فى فهرسها 1 / 93 ضمن المجموعة (78) ، وفى ص 269 ضمن المجموعة (243) ، وفى ص 285 ضمن المجموعة (255).

طبعت فى النجف الأشرف ، من منشورات مكتبة دار الكتب التجارية ، مع المسائل الجارودية ، ورسالة فى النص على أمير المؤمنين بالخلافة ، والثقلان ، من صفحة 20 – 28 ، وفى إيران ضمن «عدة رسائل للشيخ المفيد» ، نشر مكتبة المفيد – قم ، من صفحة 186 – 193.

(4)

الإيضاح فى الإمامة

بدأ فيه برد شبهات العامة وأدلتهم على إثبات الخلافة ، ثم ذكر أدلة إمامة المعصومين عليهم السلام.

الذريعة 2 / 490 رقم 1925 ، الفهرست – للطوسى – : 158 ، رجال النجاشى : 399 ، أعيان الشيعة 9 / 423. معجم رجال الحديث 17 / 202 ، ريحانة

الأدب 5 / 363 ، تاريخ التراث العربى 2 / 278 ، معجم المؤلفين 11 / 306.

وقد صرح الشيخ المفيد – قدس سره – فى كتاب «الإيضاح» فى الفصل الأخير من كتابه «الفصول العشرة فى الغيبة» فقال : «ورسمت منه جملة مقنعة فى آخر كتابى المعروف – بالإيضاح – ، فمن أحب الوقوف على ذلک فليلتمسه» (1).

توجد منه نسخة فى مكتبة السيد محمد مهدى ، فى ضلع فيض آباد الهند ، فى (المارى – 3) كما فى فهرسها (2).

(5)

إيمان أبى طالب

استدل فيه على إيمان أبى طالب ، وولائه ونصرته ومحبته لرسول الله – صلى الله عليه وآله – بدافع العقيدة والإسلام لا بدافع العصبية القبلية.

الذريعة 2 / 513 رقم 2016 ، رجال النجاشى : 399 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 203 ، ريحانة الأدب 5 / 363 ، تاريخ التراث العربى 2 / 278 ، الأعلام – للزركلى – 7 / 21 ، وذكره العلامة المجلسى من مصادر البحار فى 1 / 7.

نسختان منه فى مكتبة المجلس النيابى الإيرانى فى طهران ، مذكورة فى فهرسها 7 / 27 [3 / 8] و 7 / 272 ضمن مجموعة.

ونسخة فى مكتبة الإمام الحكيم ، فى النجف الأشرف ، مذكورة فى فهرسها 1 / 82 [433 م].

ونسخة فى مكتبة ملک ، فى طهران ، ضمن المجموعة 6151 رقم 4.

طبع فى العراق ضمن مجموعة «نفائس المخطوطات» سنة 1372 ه ، وضمن «عدة رسائل للشيخ المفيد» من الصفحة 298 إلى 317 من منشورات

1– 1. الفصول العشرة فى الغيبة ، المطبوع ضمن «عدة رسائل للشيخ المفيد» ، ص 381 ، إيران – قم ، مكتبة المفيد.
2– 2. الذريعة 2 / 490.

مكتبة المفيد / إيران – قم.

(6)

تفضيل الأئمة – عليهم السلام – على الملائكة

حول المفاضلة بين الأئمة الهداة المهديين من آل محمد – عليهم السلام – والملائكة ، والقول بأن الأئمة المعصومين – عليهم السلام – أفضل منهم.

الذريعة 4 / 358 رقم 1557 ، رجال النجاشى : 401 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 204 ، ريحانة الأدب 5 / 364.

(7)

الجمل

أو «الجمل : النصرة فى حرب البصرة».

أو «النصرة لسيد العترة فى أحكام البغاة عليه بالبصرة».

استوفى الكلام فيها – رحمه الله – عن فتنة الجمل بالبصرة ومقالات الناس فيها وحكم المتولين للقتال بها.

وذكر الشيخ والنجاشى كل واحد من العنوانين كتابا مستقلا.

الذريعة 24 / 177 رقم 919 ، الفهرست – للطوسى – : 158 ، رجال النجاشى : 402 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 205 ، ريحانة الأدب 5 / ... ، تاريخ التراث العربى 2 / 279 ، معجم المؤلفين 11 / 306.

عرف الشيخ الطهرانى – رحمه الله – فى الذريعة نسختان منها : الأولى عند السيد أبو القاسم الأصفهانى المحرر ، والثانية فى مكتبة آل كاشف الغطاء.

ونسخة منها فى مكتبة المجلس النيابى الإيرانى ، فى طهران ، رقم 10593.

ونسخة فى مكتبة الإمام الرضا – عليه السلام – فى مشهد ، رقم 7870.

طبع فى المطبعة الحيدرية فى النجف الأشرف أولا ، وطبع ثانية فى سنة

1368 ه فی 218 صفحة ، وثالثة بالأوفسیت فی قم ، من منشورات مکتبة الداوری.

(8)

تفضیل أمیر المؤمنین علی سائر الصحابة

أو «علی سائر البشر».

أو «علی جمیع الأنبیاء غیر محمد - صلی الله علیه وآله وسلم -».

الذریعة 4 / 358 رقم 1561 ، رجال النجاشی : 401 ، أعیان الشیعة 9 / 423 ، ریحانة الأدب 5 / 364 ، معجم رجال الحدیث 17 / 205.

نسخة منه فی مکتبة کلیة الآداب فی جامعة أصفهان ، مذکورة فی «نسخه های خطی» لدانش پژو 5 / 304 مجموعه 40 رقم 2.

نسختان فی مکتبة المجلس النیابی الإیرانی ، فی طهران ، مذکورة فی فهرسها 7 / 50 و 7 / 272 ضمن مجموعة.

رأیت أربع نسخ منها فی مکتبة آیة الله المرعشی العامة فی قم ، مذکورة فی فهرسها 1 / 94 ضمن مجموعة رقم (78) ، وصفحة 268 ضمن مجموعة رقم (243) ، وصفحة 286 ضمن مجموعة رقم (255) ، وفی 3 / 334 ضمن مجموعة رقم (1161).

(9)

مسألة فی النص الجلی

أو «رسالة فی النص علی أمیر المؤمنین بالخلافة».

وهی صورة مناظرة دارت بین شیخنا المفید مع القاضی أبی بکر محمد ابن الطیب بن محمد بن جعفر البصری الباقلانی.

الذریعة 20 / 397 رقم 3646 ، رجال النجاشی : 401 ، أعیان الشیعة

9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 204 ، تاريخ التراث العربى 2 / 278.

نسختان منه فى مكتبة المجلس النيابى الإيرانى بطهران ، مذكورة فى فهرسها 7 / 65 [25 / 8] و 7 / 272 ضمن مجموعة.

ورأيت ثلاث نسخ منها فى مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم ، مذكورة فى فهرسها 1 / 96 ضمن مجموعة (78) ، وفى صفحة 268 ضمن مجموعة (243) ، وفى صفحة 286 ضمن مجموعة (255).

نشره الشيخ محمد حسن آل ياسين فى مجموعة «نفائس المخطوطات» فى بغداد ، وفى النجف الأشرف مع رسالة «الثقلان» وغيرها من منشورات مكتبة دار الكتب التجارية ، وفى إيران ضمن «عدة رسائل للشيخ المفيد» من منشورات مكتبة المفيد – قم.

(10)

كتاب فى

إمامة أمير المؤمنين – عليه السلام – من القرآن

الذريعة 2 / 341 رقم 1358 ، رجال النجاشى : 400 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 204 ، ريحانة الأدب 5 / 363.

(11)

المسألة المقنعة فى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام

الذريعة 20 / 394 رقم 3634 ، رجال النجاشى : 402 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 205 ، ريحانة الأدب 5 / 364.

* * *

(12)

كتاب : فى قوله – صلى الله عليه وآله – :

«أنت منى بمنزلة هارون من موسى»

رجال النجاشى : 401 ، أعيان الشيعة 9 / ... ، معجم رجال الحديث 17 / 205.

(13)

مسألة : فى قوله – صلى الله عليه وآله – :

«إنى مخلف فيكم الثقلين»

يبحث فى هـذه الرسالـة حول مـا قاله رسول الله – صـلى الله عليه وآله – : «إنى مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسـكتم بهما لن تضـلوا وهما كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض» ، ودلالته على إمامة على أمير المؤمنين وأولاده المعصومين من ولد فاطمة الزهراء – سلام الله عليها – وفى ولد الحسين بعد أخيه الحسن – عليهما السلام –.

وهـذا الحديث بلغ حد التواتر فى النقل ، فقد أخرجه أعاظم علماء المذاهب قديما وحديثا فى كتبهم من الصـحاح ، والسـنن ، والمسانيد ، والتفاسير ، والسير والتواريخ ، واللغة ، وغيرها.

الذريعة 20 / 394 رقم 3629 ، رجال النجاشى : 401 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 205.

طبعته مكتبـة دار الكتب التجاريـة فى النجف الأشـرف مع المسائل الجارودية ورسالة فى النص على أمير المؤمنين وغيرها ، وطبعته مكتبة المفيد فى قم بالأوفسيت ضمن «عدة رسائل للشيخ المفيد» صفحة 176 – 182.

* * *

(14)

الرد على ابن رشيد فى الإمامة

الذريعة 10 / 178 رقم 369 ، رجال النجاشى : 402 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 205.

(15)

الرد على ابن اخشيد فى الإمامة

الذريعة 10 / 176 رقم 362 ، رجال النجاشى : 402 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 205.

(16)

الرد على الخالدى فى الإمامة

الذريعة 10 / 194 رقم 488 ، رجال النجاشى : 401 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / ...

(17)

الرد على الكرابيسى فى الإمامة

يمكن أن يكون الكرابيسى فى الإمامة يمكن أن يكون الكرابيسى هذا هو : أبو على الحسين بن على بن يزيد المهلبى الكرابيسى ، ذكره النديم فى الفهرست ، وقال : «وله من الكتب : كتاب (المدلسين) فى الحديث ، كتاب (الإمامة) وفيه غمز على على - عليه السلام -» (1).

الذريعة 10 / 220 رقم 634 ، النجاشى : 401 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 204.

1- 1. الفهرست - للنديم - طبع طهران 1391 ه : 230.

(18)

النقض على ابن عباد فى الإمامة

الذريعة 24 / 288 رقم 1483 ، رجال النجاشى : 399 ، الفهرست - للطوسى - : 158 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 203 ، ريحانة الأدب 5 / 364.

(19)

النقض على على بن عيسى الرمانى فى الإمامة

للشيخ المفيد - رحمه الله - مواقف مختلفة معه ، ذكر بعضها فى «الفصول المختارة» وذكرت أيضا فى كتب التراجم فراجع.

الذريعة 24 / 289 رقم 1494 ، الفهرست - للطوسى - : 158 ، رجال النجاشى : 399 ، أعيان الشيعة 9 / 424 ، ريحانة الأدب 5 / 364 ، معجم رجال الحديث 17 / 203.

(20)

النقض على غلام البحرانى فى الإمامة

الذريعة 24 / 289 رقم 1491 ، رجال النجاشى : 401 ، أعيان الشيعة 9 / ... ، معجم رجال الحديث 17 / 204.

(21)

النقض على النصيبى فى الإمامة

الذريعة 24 / 291 رقم 1509 ، رجال النجاشى : 408 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 204.

(22)

النقض على كتاب الأصم فى الإمامة

الذريعة 24 / 290 رقم 1501 ، رجال النجاشى : 400 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 204.

(23)

النقض على جعفر بن حرب فى الإمامة

الذريعة 24 / 286 رقم 1469 ، رجال النجاشى : 400 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 203.

(24)

رسالة إلى الأمير أبى عبد الله ، وأبى طاهر بن ناصر الدولة (نصير الدولة)

فى مجلس جرى فى الإمامة

الذريعة 5 / 198 رقم 916 ، رجال النجاشى : 402 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 205.

(25)

كتاب : فى تأويل قوله تعالى : (فاسألوا أهل الذكر)

لأن الشيعة تعتقد بأن المقصود من «أهل الذكر» فى هذه الآية الكريمة هم الأئمة المعصومين من أهل بيت الوحى والسفارة عليهم السلام.

رجال النجاشى : 400 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 204.

* * *

أو «التواريخ الشرعية».

رسالـة مختصـرة حول الأيام المباركـة والأعياد المذهبية ، ومواليد أئمة أهل البيت – عليهم السـلام – ووفياتهم ، والأعمال الواردة فى تلك الأيام عن طرق الأئمة الهداة المهديين.

الذريعة 20 / 375 رقم 3503 ، رجال النجاشى : 401 ، أعيان الشيعة 9 / 424 ، بحار الأنوار 1 / 7 ، ريحانة الأدب 5 / 364 ، معجم رجال الحديث 17 / 204 ، تاريخ التراث العربى 2 / 279 ، الأعلام – للزركلى – 7 / 21.

نسـخة منها فى مكتبـة جستربيتى ، فى دبلن بإيرلنـدة ، ذكرتها مجلـة «المورد» العراقية ج 7 ، العدد الأول ، صـحفة 205 ، ضـمن : ذخائر التراث العربى فى مكتبة جستربيتى ، ضمن المجموعة رقم 4358.

نسخة منها فى مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم ، مذكورة فى فهرسها 3 / 73 ضمن المجموعة رقم (882).

ونسـخة بخط زين الدين على بن فضل ، تلميذ ابن فهد الحلى ، موجودة فى مكتبة السـيد الصدر فى الكاظمية ، ذكرها الشـيخ الطهرانى فى الذريعة.

نسخة فى مكتبة مدرسة سپهسالار الجديدة ، فى طهران ، ضمن المجموعة رقم 388.

نسخة فى مكتبة الإمام الرضا – عليه السلام – فى مشهد ، رقم 2327.

نسخة فى المكتبة المركزية لجامعة طهران ، ضمن مجموعة ، ذكرت فى فهرسها 1 / 4089.

طبعت فى تبريز سنة 1313 ه مع «توضيح المقاصد – للشيخ البهائى – ،

ص: 105

وتقويم المحسنين – للفيض الكاشانى –».

وطبعت أيضا فى مصر سنة 1313 ، مع «شرح القصيدة البائية الحميرية» كما طبعت فى طهران سنة 1315 ه ، ضمن مجموعة «ثمان رسائل».

ونشرته مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم مع عدة رسائل أخرى ضمن كتاب «مجموعة نفيسة».

(27)

رسالة فى تحقيق الخبر المنسوب إلى النبى : نحن معاشر الأنبياء لا نورث

من القضايا المشهورة أن السلطة الحاكمة وبعض المسلمين لم يراعوا حرمة سيدة نساء العالمين الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء – عليها السلام – ، وقابلوها بالاعتداء والكبت ، ولم يحفظوا فيها كرامتها ولا كرامة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن تلك المظالم ، منعها من فدك ، نحلة أبيها رسول الله – صلى الله عليه وآله – ، واستدلوا لذلك بالخبر المنسوب إلى النبى – صلى الله عليه وآله – : «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» واستدل الشيخ المفيد – رحمه الله – فى هذه الرسالة بالبرهان القاطع فى رد استدلال السلطة الحاكمة بهذا الخبر على فرض صحة نسبته.

الذريعة 20 / 394 رقم 3631 ، رجال النجاشى : 402 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 205.

نسختان منها فى مكتبة المجلس النيابى الإيرانى ، فى طهران ، مذكورة فى فهرسها 7 / 272 ضمن مجموعة ، وفى صفحة 105 [23 / 8].

ورأيت نسختين منها فى مكتبة آية الله المرعشى العامة ، مذكورة فى فهرسها 1 / 94 ضمن مجموعة رقم (78) ، وصفحة 286 ضمن مجموعة رقم (255).

طبعته مكتبة دار الكتب التجارية فى النجف الأشرف مع المسائل الجارودية وغيرها ، وطبعت فى إيران ضمن «عدة رسائل للشيخ المفيد» من

منشورات مكتبة المفيد – قم.

(28)

المسائل الجارودية

أو «مسائل الزيدية فى تعيين الخلافة والإمامة فى ولد الحسين بن على عليه السلام».

الذريعة 20 / 351 رقم 3368 ، رجال النجاشى : 401 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / ...

نسخة منها فى مكتبة الطهرانى بسامراء وأخرى بمكتبة الحلى بالنجف ذكرهما الشيخ الطهرانى فى الذريعة.

وثلاث نسخ منها فى مكتبة آية الله المرعشى العامة – قم ، مذكورة فى فهرسها 1 / 91 ضمن مجموعة رقم (78) ، وصفحة 267 ضمن مجموعة رقم (243) ، وصفحة 285 ضمن مجموعة رقم (255).

ونسختان منها فى مكتبة المجلس النيابى الإيرانى ، فى طهران ، مذكورة فى فهرسها 7 / 64 [15 / 8] ، وصفحة 271 ضمن مجموعة.

طبعته فى النجف الأشرف مكتبة دار الكتب التجارية مع رسائل أخرى للشيخ المفيد – قدس سره – ، وفى إيران ضمن «عدة رسائل للشيخ المفيد» من منشورات مكتبة المفيد – قم.

(29)

العيون والمحاسن

الموجود منه الآن ما اختاره الشريف المرتضى – رحمه الله – بعنوان «الفصول المختارة من العيون والمحاسن». إلا أن صاحب الذريعة قطع بأن «العيون والمحاسن» موجود وهو كتاب «الإختصاص» فقال : «فهذا الكتاب هو عين

العيون والمحاسن المصرح به فی النجاشی وغیره واشتهر بالإختصاص» (1).

إلا أن «العیون والمحاسن» الذی لخصه الشریف المرتضی ، یشتمل علی مناظرات الشیخ المفید - فی مباحث الإمامة - مع المخالفین ورد آرائهم ، وهذا یتفاوت من حیث الأسلوب والموضوع مع کتاب «الإختصاص» ، فراجع. ویؤید ما ذکرنا ما ذکره العلامة المجلسی - قدس سره - فی مآخذ البحار بأن «کتاب العیون والمحاسن وکتاب الإختصاص» کتابین مستقلین.

الذریعة 16 / 244 ، رجال النجاشی : 399 ، الفهرست - للطوسی - : 158 ، بحار الأنوار 1 / 7 ، أعیان الشیعة 9 / 423 ، ریحانة الأدب 5 / 364 ، معجم رجال الحدیث 17 / 202 ، معجم المؤلفین 11 / 306 ، تاریخ التراث العربی 2 / 278.

عرف الشیخ الطهرانی فی الذریعة ، وسزگین فی تاریخ التراث العربی نسخا من «الفصول المختارة» فراجع.

طبع فی العراق فی جزءین ، وأعادت طبعه بالأوفسیت مکتبة الداوری فی قم.

وزعم سزگین بأنه طبع ثانیا بعنوان آخر فقال : «وطبع مرة ثانیة بعنوان : الفصول العشرة» (2) ، ولا یصح هذا الزعم ، لأن کتاب «الفصول العشرة» المطبوع هو کتاب «المسائل العشرة فی الغیبة» التی ذکرها المفید فی عشرة فصول. یأتی الکلام عنه فی الرقم (31).

ترجمه إلی الفارسیة فی أواخر القرن 11 العلامة آغا جمال الدین بن آغا حسین المحقق الخوانساری بطلب من أحد أرکان الدولة الصفویة ، وطبع فی طهران سنة 1380 ه.

* * *

1- 1. الذریعة : 1 / 360.

2- 2. تاریخ التراث العربی 3 / 278.

(30)

رسالة «معنى المولى»

وهى مناظرة للشـيخ المفيد – رحمه الله – مع رجل من البهشـمية فى معنى المولى فى قوله – صلى الله عليه وآله – : «من كنت مولاه فهذا على مولاه» ، وهذه غير رسالة «أقسام المولى» آنفة الذكر.

ذكرها الشـيخ آغا بزرک الطهرانى فى الذريعة 2 / 272 تحت الرقم 1101 وقـال : «وله مناظرة مع رجل بهشـمى فى معنى المولى أيضا ، رأيتهما ضمن مجموعة من مسائل الشيخ المفيد فى مكتبة الشيخ الحجة ميرزا محمد الطهرانى بسامراء» كما ذكرها فى 20 / 396.

رأيت ثلاث نسـخ منها فى مكتبة آية الله المرعشـى العامة فى قم ، مذكورة فى فهرسـها 1 / 91 ضمن مجموعة رقم (78) ، وصفحة 268 ضمن مجموعة رقم (243) ، وصفحة 285 ضمن مجموعة رقم (255).

نسختان منها فى مكتبة المجلس النيابى الإيرانى فى طهران ، مذكورة فى فهرسها 7 / 29 ، وفى صفحة 271 ضمن مجموعة.

(31)

الفصول العشرة فى الغيبة

أو «المسائل العشرة فى الغيبة»

هى المسائل العشـرة التى ذكرها الشـيخ المفيد فى عشـرة فصول ، فى رد الشـبهات حول غيبة الإمام المنتظر – عليه السلام – ، فلذا يقال له «المسائل العشرة».

الذريعة 16 / 241 الرقم 957 و 20 / 358 ، رجال النجاشى : 399 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 203.

وعرف فى الذريعة منها نسختين فراجع.

ص: 109

رأيت منها نسـختين فى مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم ، مذكورة فى فهرسها 1 / 92 ضمن مجموعة رقم (78) ، وصفحة 268 ضمن مجموعة رقم (243).

ونسختان منها فى مكتبة المجلس النيابى الإيرانى ، فى طهران ، مذكورة فى فهرسها 7 / 272 ضمن مجموعة ، وفى صفحة 346.

طبع لأول مرة فى النجف الأشـرف بالمطبعة الحيدرية سـنة 1370 ه ، وثانيا ضـمن مجموعـة بعنوان «خمس رسائل فى إثبات الحجة» من منشورات مكتبـة دار الكتب التجارية سـنة 1370 ه ، وأعادت طبعه بالأوفسـيت مكتبـة المفيد فى قم فى إيران ضـمن «عدة رسائل للشـيخ المفيد».

(32)

كتاب الجوابات فى خروج المهدى - عليه السلام -

فى هـذا الكتاب جوابات عن أسـئلة قـدمت للشـيخ المفيد ، أوله بعد الخطبة : «سأل سائل من الشـيخ المفيد - رضـى الله عنه - فقال : ما الدليل على وجود الإمام صاحب الغيبة - عليه السلام؟».

الذريعة 5 / 195 الرقم 899 ، رجال النجاشى : 401 ، أعيان الشيعة 9 / 423 ، معجم رجال الحديث 17 / 204.

نسخة منه فى مكتبة الطهرانى بسامراء ، مستنسخة عن المجموعة العتيقة فى مكتبة آل شيخ أسد الله بالكاظمية ، ذكرت فى الذريعة.

نسـختان منه فى مكتبة آية الله المرعشـى العامة فى قم ، رأيت أولاهما وهى مذكورة فى فهرسـها 1 / 96 ضمن مجموعة رقم (78) ، وفى صفحة 286 ضمن مجموعة رقم (255).

طبعته مكتبة دار الكتب التجارية سـنة 1370 ه فى النجف الأشـرف ضـمن مجموعـة بعنوان «خمس رسائل فى إثبات الحجة» ، وفى إيران ضمن «عدة رسائل للشيخ المفيد».

(33)

كتاب الغيبة

ذكر النجاشى غير كتاب «الفصول العشرة» و «جوابات فى خروج المهدى - عليه السلام -» كتبا أخر فى غيبة الحجة ، هى :

1 - كتاب مختصر فى الغيبة ، صفحة 399.

2 - جوابات الفارقيين فى الغيبة ، صفحة 400.

3 - كتاب النقض على الطلحى فى الغيبة ، صفحة 400.

4 - كتاب فى الغيبة ، صفحة 401.

إلا أن ما بأيدينا الآن مما كتبه الشيخ المفيد - قدس سره - فى الغيبة - غير التى ذكرناها تحت الرقم (31 و 32) - ثلاث رسائل ، مطبوعة فى النجف الأشرف ضمن مجموعة بعنوان «خمس رسائل فى إثبات الحجة» من منشورات مكتبة دار الكتب التجارية 1370 ه ، هى الرسالة الثانية والثالثة والرابعة.

1 - الرسالة الثانية : فى شرح الحديث النبوى : «من مات وهو لا يعرف إمام زمانه».

أولها : «الحمد لله وصلاته على عباده الذين اصطفى ، إن سأل سائل فقال : أخبرونى عما روى عن النبى - صلى الله عليه وآله - أنه قال : من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، هل هو ثابت صحيح أم هو معتل سقيم؟ الجواب - وبالله التوفيق والثقة - ...».

رأيت نسخة منها فى مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم ، مذكورة فى فهرسها 1 / 94 ضمن مجموعة رقم (78).

طبعته مكتبة المفيد فى قم أيضا ضمن «عدة رسائل للشيخ المفيد» من صفحة 384 - 388.

2 - الرسالة الثالثة : إجابة عن سؤال حول ما ورد عن الإمام الصادق

ص: 111

– عليه السلام – : «لو اجتمع على الإمام عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا لوجب عليه الخروج بالسيف».

أولها : «قال الشيخ المفيد – رضى الله عنه – : حضرت مجلس رئيس من الرؤساء فجرى كلام فى الإمامة فانتهى إلى القول فى الغيبة ، فقال صاحب المجلس : أليست الشيعة تروى عن جعفر بن محمد – عليه السلام – ... إلى آخره».

رأيت نسخة منها فى مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم ، مذكورة فى فهرسها 1 / 95 ضمن مجموعة رقم (78).

طبعته مكتبة المفيد فى قم أيضا ضمن «عدة رسائل للشيخ المفيد» من صفحة 390 – 394.

3 – الرسالة الرابعة : فى سبب استتار الحجة – عليه السلام –.

أولها : «سأل بعض المخالفين فقال : ما السبب الموجب لاستتار إمام الزمان وغيبته التى قد طالت مدتها؟».

رأيت نسخة منها فى مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم ، مذكورة فى فهرسها 1 / 95 ضمن مجموعة رقم (78).

هذا وذكر الشيخ الطهرانى فى الذريعة لهذه الرسائل الثلاث نسخا رآها فى مكتبة الطهرانى بسامراء ، واحتمل بأن الرسالة الثالثة – من تبويبنا هذا – أن تكون هى «كتاب النقض على الطلحى فى الغيبة» فراجع الذريعة 16 / 81.

وطبعته فى قم مكتبة المفيد أيضا ضمن «عدة رسائل للشيخ المفيد» من صفحة 395 – 398.

والله ولى التوفيق

الفصل الرابع

نقد وتمحيص

قـد ذكرنا أهم ما ورد فى كتب أهل السـنة مما هو نص أو ظاهر فى نقص القرآن وتحريفه .. ثم عقبناه بما قاله أكابرهم فى توجيهه وتأويله أو رده وتزييفه ...

لقد استمعنا القول من هؤلاء وهؤلاء فأيهما الأحسن حتى نتبعه؟

1 - الآثار فى خطأ القرآن

إن هـذه الآثار تفيد أن أولئک الأصـحاب نسـبوا «اللحن» و «الخطأ» و «الغلط» إلى القرآن .. وهذه جرأة على الله تعالى ، وإثبات نقص له ولكتابه ، وفى ذلک خروج عن الإسلام بلا كلام.

أمـا ما كان من هـذه الآثار فى الصـحاح فأصـحابها والقائلون بصـحة جميع أحاديثها ملزمون بها ، فإما الالتزام بما دلت عليه ، وإما التأويل اللائق والحمل على بعض الوجوه المحتملة.

وكذا الكلام بالنسبة إلى ما روى من هذا القبيل بأسانيد صحاح عندهم

فى خارج الصحاح.

وأما الذين ردوا هذه الأحاديث وهم كثيرون جدا ، فقد اختلفت كلماتهم فى كيفية الرد ، لأن منهم من يضعف الرواية أو يستبعدها تنزيها للصحابى عن التفوه بمثل هذا الكلام ، حتى أن بعضهم قال : «ومن روى عن ابن عباس ... فهو طاعن فى الإسلام ، ملحد فى الدين ، وابن عباس برئ من هذا القول» (1). ومنهم من يقول : «هذا القول فيه نظر» أو : «لا يخفى ركاكة هذا القول» ونحو ذلك ... وظاهر هؤلاء تصحيح الحديث اعتمادا على رجاله ، ثم الرد على الصحابة أنفسهم.

وعلى كل حال .. فإن هذه الفئة من العلماء متفقة على أن هذه الأحاديث لا يجوز تصديقها .. قال الزمخشرى بتفسير : «أفلم ييئس الذين آمنوا ...» (2) : «ومعنى أفلم ييئس : أفلم يعلم ... ويدل عليه : أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا : أفلم يتبين ، وهو تفسير أفلم ييئس. وقيل : إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السينات.

وهذا ونحوه مما لا يصدق فى كتاب الله ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتى الإمام ، وكان متقلبا فى أيدى أولئك الأعلام المحتاطين فى دين الله ، المهيمنين عليه ، لا يغفلون عن جلائله ودقائقه ، خصوصا عن القانون الذى إليه المرجع ، والقاعدة التى عليها البناء؟!! وهذه - والله - فرية ما فيها مرية» (3).

فهذا موقف القائلين ببطلان هذه الآثار.

أما الفئة الأولى الدائر أمرهم بين الالتزام بمداليل الآثار وبين التأويل المقبول لدى الأنظار ، فقد اختار جمع منهم طريق التأويل ... قال الحافظ ابن حجر

1- 1. البحر المحيط 6 : 445.

2- 2. سورة الرعد : 31.

3- 3. الكشاف 2 : 531.

العسقلانی : «الطعن فی الروایات الصحیحة بغیر مستند لا یقبل ، بل الروایات صحیحة والتأویل محتمل» (1) وقال أیضا فی الآیة : «أفلم ییأس» : «وروی الطبری وعبد بن حمید - بإسناد صحیح کلهم من رجال البخاری - عن ابن عباس : أنه کان یقرؤها : أفلم یتبین. ویقول : کتبها الکاتب وهو ناعس. ومن طریق ابن جریح ، قال : زعم ابن کثیر وغیره أنها القراءة الأولی. وهذه القراءة جاءت عن علی وابن عباس وعکرمة وابن أبی ملیکة وعلی بن بدیمة وشهر بن حوشب وعلی ابن الحسین وابنه زید وحفیده جعفر بن محمد فی آخرین قرؤوا کلهم : أفلم یتبین.

وأما ما أسنده الطبری عن ابن عباس فقد اشتد إنکار جماعة ممن لا علم له بالرجال صحته ، وبالغ الزمخشری فی ذلک کعادته - إلی أن قال : - وهی والله فریة ما فیها مریة ، وتبعه جماعة بعده والله المستعان ، وقد جاء عن ابن عباس نحو ذلک فی قوله تعالی : (وقضی ربک ألا تعبدوا إلا إیاه) قال : (ووصی) التزقت الواو فی الصاد. أخرجه سعید بن منصور بإسناد جید عنه.

وهذه الأشیاء - وإن کان غیرها المعتمد - لکن تکذیب المنقول بعد صحته لیس من دأب أهل التحصیل ، فلینظر فی تأویله بما یلیق به» (2).

وظاهر کلمات ابن حجر فی الموردین هو العجز عن الإتیان بتأویل یساعده اللفظ ویرضاه «أهل التحصیل» ...

نعم ذکر فی قوله تعالی : «یا أیها الذین آمنوا لا تدخلوا بیوتا غیر بیوتکم ...» (3) : «أخرج سعید بن منصور والطبری والبیهقی فی الشعب بسند صحیح : أن ابن عباس کان یقرأ : (حتی تستأذنوا) ویقول : أخطأ الکاتب ، وکان یقرأ علی قراءة أبی بن کعب ومن طریق مغیرة بن مقسم ، عن إبراهیم النخعی ، قال : فی مصحف ابن مسعود (حتی تستأذنوا). وأخرج سعید

1- 1. فتح الباری وعنه فی الإتقان 1 : 270.

2- 2. فتح الباری 8 : 301.

3- 3. سورة النور : 27.

ابن منصور من طريق مغيرة ، عن إبراهيم : فى مصحف عبد الله : (حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا). وأخرجه إسماعيل بن إسحاق فى أحكام القرآن عن ابن عباس واستشكله. وكذا طعن فى صحته جماعة ممن بعده.

وأجيب بأن ابن عباس بناها على قراءته التى تلقاها عن أبى بن كعب. وأما اتفاق الناس على قراءتها بالسين فلموافقة خط المصحف الذى وقع الاتفاق على عدم الخروج عما يوافقه. وكان قراءة أبى من الأحرف التى تركت القراءة بها - كما تقدم تقريره فى فضائل القرآن -. وقال البيهقى : يحتمل أن يكون ذلك كان فى القراءة الأول ثم نسخت تلاوته. يعنى : ولم يطلع ابن عباس على ذلك» (1).

أقول : وفى هذا الجواب نظر من وجوه :

أولا : إن هذا الجواب - إن تم - فهو توجيه لقراءة ابن عباس ، لا لقوله فى كتابة المصحف : «أخطأ الكاتب».

وثانيا : كون هذه القراءة «من الأحرف التى تركت القراءة بها» يبتنى على ما رووه من أنه «نزل القرآن على سبعة أحرف» هذا المبنى الذى اختلفوا فى معناه وتطبيقه اختلافا شديدا ، وذكروا له وجوها عديدة لا يرجع شئ منها إلى محصل (2).

1- 1. فتح البارى 11 : 6.

2 - 2. يمكن الاطلاع على ما ذكروه بمراجعة مقدمات التفاسير ، وكتب علوم القرآن ، وفتح البارى فى شرح البخارى 9 / 22 - 30 وغيرها. وقد وقع القوم بالتزامهم بصحة أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف فى مأزق كبير جدا وكان عليهم الالتزام بلوازمه الفاسدة التى منها القول بتحريف القرآن وضياع حروف نزل عليها من السماء ... ولو أردنا الدخول فى هذا البحث لطال بنا المقام ، وقد تقدم بعض ما يتعلق به فيما سبق ، ويكفى أن نقول بأن المروى صحيحا عن أئمة أهل البيت عليهم السلام : «إن القرآن واحد نزل من عند واحد ، ولكن الاختلاف يجئ من قبل الرواة» وفى آخر : «كذبوا أعداء الله ، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد» [الكافى 2 : 461 باب النوادر / حديث 12 و 13].

وثالثا : ما احتمله البيهقى يبتنى على القول بنسخ التلاوة ، وسيأتى البحث عنه مفصلا.

ورابعا : قول ابن حجر : «يعنى : ولم يطلع ابن عباس» غريب جدا ، إذ كيف يخفى على مثل ابن عباس نسخ تلاوة شئ من القرآن وهو حبر هذه الأمة وإمام الأئمة فى علوم القرآن؟!.

هذا بالنسبة إلى ما رووه عن ابن عباس ونصوا على صحته ، ثم عجزوا عن تأويله «التأويل اللائق».

وأجابوا عما رووه عن عثمان بجوابين ، ذكرهما السيوطى - بعد أن قال : «هذه الآثار مشكلة جدا» - وقد نقلنا عبارته سابقا. وقال الشهاب الخفاجى - بعد كلام الكشاف : «ولا يلتفت ...» - : «وقيل عليه : لا كلام فى نقل النظم تواترا ، فلا يجوز اللحن فيه أصلا ، وهل يمكن أن يقع فى الخط لحن بأن يكتب المقيمون بصورة المقيمين بناء على عدم تواتر صورة الكتابة؟ وما روى عن عثمان وعائشة أنهما قالا : إن فى المصحف لحنا وستقيمه العرب بألسنتها - على تقدير صحة الرواية - يحمل على اللحن فى الخط. لكن الحق : رد هذه الرواية وإليه أشار - أى الكشاف - بقوله : إن السابقين ...

أقول : هذا إشارة إلى ما نقله الشاطبى فى الرائية وبينه شراحه وعلماء الرسم العثمانى بسند متصل إلى عثمان أنه لما فرغ من المصحف ... قال السخاوى : وهو ضعيف ، والإسناد فيه اضطراب وانقطاع ... وتأول قوم (اللحن) فى كلامه على تقدير صحته عنه بأن المراد الرمز والإيماء.

تنبيه : قد نخلنا القول وتتبعنا كلامهم ما بين معسول ومغسول فآل ذلك إلى أن قول عثمان فيه مذهبان ، أحدهما : أن المراد باللحن ما خالف الظاهر ، وهو موافق له حقيقة ليشمل الوجوه تقديرا واحتمالا. وهذا ما ذهب إليه الدانى وتابعه كثيرون. والرواية فيه صحيحة.

والثانى : ما ذهب إليه ابن الأنبارى من أن (اللحن) على ظاهره ، وأن

الرواية غير صحيحة» (1).

وكأن المتأولين التفتوا إلى كون تأويلاتهم مزيفة ، فالتجؤوا إلى القول بأن تلك الآثار «محرفة» ... فقد جاء فى الإتقان عن ابن أشتة : أنه روى الحديث بإسناده عن عثمان وليس فيه لفظ «اللحن» بل إنه لما نظر فى المصحف قال : «أحسنتم وأجملتم ، أرى شيئا سنقيمه بألسنتنا». قال : «فهذا الأثر لا إشكال فيه وبه يتضح معنى ما تقدم ... ولعل من روى تلك الآثار السابقة عنه حرفها ولم يتقن اللفظ الذى صدر عن عثمان ، فلزم ما لزم من الإشكال. فهذا أقوى ما يجاب عن ذلك».

قال السيوطى بعد إيراد الأجوبة عن حديث عثمان : «وبعد ، فهذه الأجوبة لا يصح منها شئ من حديث عائشة. أما الجواب بالتضعيف فلأن إسناده صحيح كما ترى ...» (2).

أقول : هذه عمدة ما ورد فى هذا الباب مما التزموا بصحته ، وقد عرفت أن لا تأويل صحيح له عندهم ، فهم متورطون فى أمر خطره عظيم ، إما الطعن فى القرآن ، وإما الطعن فى هؤلاء الصحابة الأعيان!!.

ولا ريب فى أن نسبة «الخطأ» إلى «الصحابة» أولى منه إلى «القرآن» وسيأتى - فى الفصل الخامس - بعض التحقيق فى حال الصحابة علما وعدالة ، هذا أولا.

وثانيا : إن القول بعدم جواز تكذيب المنقول بعد صحته - كما هو مذهب الحافظ ابن حجر العسقلانى - غير صحيح ، إذ الحديث إذا خالف الكتاب أو السنة القطعية أو الضرورى من الدين أو المجمع عليه بين المسلمين يطرح وإن كان فى الكتب المسماة بالصحاح ... كما سيأتى - فى الفصل الخامس - ذكر نماذج من ذلك ...

1- 1. عناية القاضى 3 : 201.

2- 2. الإتقان 2 : 320 - 326.

ترجمة عكرمة مولى ابن عباس

والـذى يهون الخطب فى هـذا المقـام : أن كثيرا من هـذه الآثار فى سـندها «عكرمـة مولى ابن عباس» وخاصـة الحـديث عن عثمان : «إن المصاحف لما نسـخت عرضت عليه فوجـد فيها حروفا من اللحن فقال : اتركوها ...» والحـديث عن ابن عباس فى الآية : «أفلم ييئس ...» حيث قال : «أظن الكاتب كتبها وهو ناعس».

«وعكرمة» من أظهر مصاديق «الزنادقة» و «أعداء الإسـلام» الذين نسب إليهم اختلاق مثل هذه الآثار فى كلام جماعة من العلماء الكبار ، كالحكيم الترمذى ، وأبى حيان الأندلسى ، وصاحب «المنار» ...

1 - لقد كان هذا الرجل طاعنا فى الإسلام ، مستهترا بالدين والمسلمين ، من أعلام الضلالة ودعاة السوء.

فقد نقلوا عنه قوله : إنما أنزل الله متشابه القرآن ليضل به.

وأنه قال فى وقت الموسم : وددت أنى اليوم بالموسم وبيدى حربة فأعترض بها من شهد الموسم يمينا وشمالا.

وأنه وقف على باب مسجد النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وقال : ما فيه إلا كافر.

وأنه قدم البصـرة فأتاه أيوب وسـليمان التميمى ويونس ، فبينما هو يحدثهم سـمع صوت غناء ، فقال عكرمة : اسـكتوا فنستمع. ثم قال : قاتله الله ، لقد أجاد.

وعن أبى بكر بن أبى خيثمـة : رأيت فى كتاب على بن المـدينى : سـمعت يحيى بن سـعيد يقول : حـدثونى - والله - عن أيوب أنه ذكر : أن عكرمة لا يحسن الصلاة. قال أيوب ، أو كان يصلى؟!.

وعن سماك ، قال : رأيت فى يد عكرمة خاتما من الذهب.

وعن رشدين بن كريب : رأيت عكرمة قد أقيم قائما فى لعب النرد.

2 – إنه كان يرى رأى الخوارج :

إنما أخذ أهل إفريقية رأى الصفرية – وهم من غلاة الخوارج – من عكرمة وذكروا أنه نحل ذلك الرأى إلى ابن عباس.

وعن يحيى بن معين : إنما لم يذكر مالك بن أنس عكرمة ، لأن عكرمة كان ينتحل رأى الصفرية.

وقال الذهبى : قد تكلم الناس فى عكرمة ، لأنه كان يرى رأى الخوارج.

ثم إنه نسب تارة إلى «الأباضية» وأخرى إلى «الصفرية» وثالثة إلى «نجدة الحرورى» وكأنه كان كلما جاء فرقة جعل نفسه منهم طمعا فى دنياهم ... قالوا : وقد طلبه والى المدينة فتغيب عند داود بن الحصين حتى مات عنده.

3 – إنه كان كذابا :

كذب على ابن عباس ، وقد أوثقه على بن عبد الله بن العباس على باب كنيف الدار فقيل له : أتفعلون هذا بمولاكم؟ قال : إن هذا يكذب على أبى.

وعن سعيد بن المسيب أنه قال لمولاه : يا برد ، إياك أن تكذب على كما يكذب عكرمة على ابن عباس.

وعن القاسم : إن عكرمة كذاب ، يحدث غدوة ويخالفه عشية.

وقال ابن عمر لنافع : إتق الله – ويحك يا نافع – لا تكذب على كما كذب عكرمة على ابن عباس.

وعن ابن سيرين ويحيى بن معين ومالك بن أنس : كذاب.

وعن ابن ذويب : رأيت عكرمة مولى ابن عباس وكان غير ثقة.

وقال طاووس : لو أن عبد ابن عباس اتقى الله وأمسك عن بعض حديثه لشدت إليه المطايا.

وقد اشتهر تكذيب الناس إياه وطعنهم فيه حتى أنه كان يقول : «هؤلاء يكذبونى من خلفى ، أفلا يكذبونى فى وجهى» (1).

1– (11) حاول ابن حجر العسقلانى [مقدمة فتح البارى : 427] توجيه هذا الكلام ، ولكن لا ينفعه ذلك ،

4 – عكوفه على أبواب الأمراء للدنيا :

قال موسى بن يسار : رأيت عكرمة جائيا من سمرقند وهو على حمار تحته جوالقان – أو خرجان – حرير أجازه بذلك عامل سمرقند ومعه غلام. قال : وسمعت عكرمة بسمرقند وقيل له : ما جاء بك إلى هذه البلاد؟ قال : الحاجة.

وقال عبد المؤمن بن خالد الحنفى : قدم علينا عكرمة خراسان فقلت له : ما أقدمك إلى بلادنا؟ قال : قدمت آخذ من دنانير ولا تكم ودراهم.

وقال عبد العزيز بن أبى رواد : قلت لعكرمة : تركت الحرمين وجئت إلى خراسان! قال : أسعى على بناتى.

وقال أبو نعيم : قدم على الوالى بأصبهان فأجازه بثلاثة آلاف درهم.

وقال عمران بن حدير : رأيت عكرمة وعمامته منخرقة فقلت : ألا أعطيك عمامتى؟ فقال : إنا لا نقبل إلا من الأمراء.

أبو طالب : سمعت أحمد بن حنبل يقول : كان عكرمة من أعلم الناس ولكنه كان يرى رأى الصفرية ولم يدع موضعا إلا خرج إليه ، خراسان والشام واليمن ومصر وإفريقية ، وكان يأتى الأمراء فيطلب جوائزهم ، وأتى الجند إلى طاووس فأعطاه ناقة.

ومن الطبيعى أن يستجيب هكذا رجل لرغبات الولاة والأمراء فيضع كل ما تقتضيه السياسة ويدعم الحكومات الجائرة ...

5 – ترك الناس جنازته :

ومن الطبيعى أيضا سقوط هكذا إنسان فى المجتمع الإسلامى ، فلا تبقى قيمة لا له ولا لأحاديثه ، حتى إذا مات فلا تشيع جنازته ولا يصلى عليه ... كما ذكر المؤرخون فى ترجمة عكرمة ... وأضافوا أنه قد اتفق موت عكرمة وكثير عزة الشاعر الشيعى فى يوم واحد فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة. قيل :

====

فحال عكرمة تشبه حال أبى هريرة الذى قال للناس : أتزعمون أنى أكذب على الله ورسوله وأحرق نفسى بالنار ...؟!

فما حمله أحد واكتروا له أربعة رجال من السودان.

6 – القدح فيه وتكذيبه :

ولهـذه الأمور وغيرها كـذب عكرمة كبار الأئمة الأعلام – الذين طالما اكتفى علماء الجرح والتعديل بطعن واحد منهم – منهم : ابن عمر ، ومجاهد ، وعطاء ، وابن سـيرين ، ومالك بن أنس ، والشافعى – حيث حكى كلام مالك وقرره – وسعيد بن المسيب ، والقاسم ، ويحيى بن سعيد.

وحرم مالك الرواية عنه ، وأعرض عنه مسلم ، وقال محمد بن سعد : ليس يحتج بحديثه ، وقال غيره : غير ثقة (1).

ومع هـذا كله .. فإن البخارى يروى عنه!! ولكن لا عجب .. إذ «كل يعمل على شاكلته» بل العجب من ابن حجر ، حيث ينبرى للـدفاع عن «عكرمة» – والمقصود هو الدفاع عن صـحيح البخارى – فى مقدمة شرحه ، ... فكيف يدافع عمن تجرأ على الله واستهزأ بشعائره واستخف بأحكامه وطعن فى القرآن واسـتحل دماء المسـلمين ...؟! وكيف يـدافع عمن كذبه الأئمة الثقات حتى ضـربوا بكذبه المثل لاشـتهاره بهذه الصفة؟! وكيف يدافع عمن امتنع الناس من حمل جنازته والصلاة عليها؟!.

خلاصة البحث

ويتلخص البحث فى هذه الناحية فى النقاط التالية :

1 – إن الآثار المشتملة على وقوع «الخطأ» فى القرآن الكريم باطلة وإن كانت مخرجة فى الصحاح وفى غيرها بأسانيد صحيحة .. وفاقا لمن قال بهذا من أعلام المحققين من أهل السنة كما عرفت .. ووجود الأحاديث الباطلة فى الصحاح

---

1 – 1. المصادر المنقول عنها ترجمة عكرمة هى : تهذيب الكمال للمزى ، تهذيب التهذيب 7 : 263 – 273 ، طبقات ابن سعد 5 : 287 ، وفيات الأعيان 1 : 319 ، ميزان الاعتدال 3 : 93 ، المغنى فى الضعفاء 2 : 84 ، سير أعلام النبلاء 5 : 9 ، الضعفاء الكبير 3 : 373.

الستة أمر ثابت وعدد الأحاديث من هذا القبيل فيها ليس بقليل .. كما ستعرف.

2 – إن التأويلات التى ذكرت من قبل القائلين بصحة هذه الآثار لا تحل المشكلة كما عرفت ، ولذا اضطر بعضهم إلى القول بأنها محرفة ، والتزم بالإشكال بعض آخر ومنه قول ابن قتيبة : «ليست تخلو من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب أو تكون غلطا من الكاتب كما ذكرت عائشة ، فإن كانت على مذاهب النحو والنحويين فليس هاهنا لحن والحمد لله ، وإن كانت على خطأ فى الكتاب فليس على الله ولا على رسوله جناية الكاتب فى الخط» (1).

3 – إن مصادرة كتاب «الفرقان» – إن كانت لأجل إثبات «اللحن» فى الكتاب – لا تحل المشكلة بشكل من الأشكال ، فإن صاحب هذا الكتاب ينقل الآثار المتضمنة لهذا المعنى عن الكتب المعتبرة والتى أخرجت فيها تلك الآثار بأسانيد صحيحة على شرط الشيخين ، ثم يؤكدها بقوله : «ليس ما قدمناه من لحن الكتاب فى المصحف بضائره أو بمشكك فى حفظ الله تعالى له ، بل إن ما قاله ابن عباس وعائشة وغيرهما من فضلاء الصحابة وأجلاء التابعين أدعى لحفظه وعدم تغييره وتبديله. ومما لا شك فيه أن كتاب المصحف من البشر يجوز عليهم ما يجوز على سائرهم من السهو والغفلة والنسيان. والعصمة لله وحده ... ومثل لحن الكتاب كلحن المطابع ...» (2).

وعلى هذا الأساس يدعو هذا المؤلف إلى تغيير الرسم العثمانى وجعل الألفاظ كما ينطق بها اللسان وتسمعها الآذان ، بل ينقل عن العز بن عبد السلام أنه قال بعدم جواز كتابة المصحف بالرسم الأول ... (3).

أقول : إن مسألة الرسم والخط هى أيضا من المشاكل المترتبة على القول بصحة هذه الآثار عن الصحابة والالتزام بصدورها عنهم – فإن لم تكن مترتبة عليه

1– 1. مشكل القرآن : 40.

2– 2. الفرقان : 41 – 46.

3– 3. الفرقان : 58.

فلا أقل من أن يكون القول بصحة تلك الآثار سندا ومتنا مؤيدا لمن يدعو إلى تغيير الرسم والكتابة - ونحن هنا لا نتعرض لهذه المسألة ، بل نقول بـأن اسـتدلال مؤلف كتـاب «الفرقـان» أو استشـهاده بهـذه الآثـار تام ، وأنه لا يلام على إيراده تلك الآثار فى كتابه ، بل اللوم على من يرويها ويصحح أسانيدها ويخرجها فى كتابه ... وأن طريق الجواب هو ردها وإبطالها على ما ذكرناه بالتفصيل ...

2 - أحاديث جمع القرآن

لقد وعده الله سبحانه نبيه بحفظ القرآن وبيانه ، وضمن له عدم ضياعه ونسيانه.

وكان النبى - صلى الله عليه وآله - كلما نزل من القرآن شئ أمر بكتابته ويقول فى مفرقات الآيات : ضعوا هذه فى سورة كذا ... (1).

وكان - صلى الله عليه وآله وسلم - يعرضه على جبرئيل فى شهر رمضان فى كل عام مرة ، وعرضه عليه عام وفاته مرتين ... (2).

وحفظه فى حياته جماعة من أصحابه ، وكل قطعة كان يحفظها جماعة كبيرة أقلهم بالغون حد التواتر .. هذا هو الحق والأمر الواقع ...

وقد أوردنا أحاديث القوم فى قضية جمع القرآن ووجدناها متناقضة وعقبناها بذكر ما قيل أو يمكن أن يقال فى معناها ووجه الجمع فيما بينها .. فهل ترتفع المشكلة بهذا الأسلوب؟

لا بد قبل الورود فى البحث من أن نقول :

لقد كان أمير المؤمنين على - عليه السلام - أعلم الناس بكتاب الله - عزوجل - عند المخالف والمؤالف ، وهو القائل : «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت

1- 1. مسند أحمد 1 : 57 ، الترمذى 11 : 225 ، أبو داود 1 : 290 ، المستدرک 2 : 230.

2- 2. صحيح البخارى 1 : 101 وغيره.

فيما نزلت وأين نزلت» (1) والقائل : «سلونى عن كتاب الله ، فإنه ليس آية إلا وقد عرفت أبليل نزلت أم بنهار ، فى سهل أو جبل» (2).

وهو الذى قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فى حقه : «على أعلم الناس بالكتاب والسنة» (3).

وقال : «على مع القرآن والقرآن مع على» (4).

وناهيک بحديث : «أنا مدينة العلم وعلى بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها» (5).

وعلى – عليه السلام – أستاذ ابن عباس فى التفسير ، وقد ذكر القوم أن «أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس» (6).

فلماذا لم يعده أنس بن مالک – ولا غيره – من حفاظ القرآن ، ومن الذين أمر الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – بتعلمه منهم والرجوع إليهم فيه ، فيما رواه البخارى فى صحيحه؟!

ثم إنه – عليه السلام – رتب القرآن الكريم ودونه بعيد وفاة النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – من القراطيس التى كان مكتوبا عليها ، فكان له مصحف تام مرتب يختص به كما كان لعدة من الصحابة فى الأيام اللاحقة ، وهذا من الأمور المسلمة تاريخيا عند جميع المسلمين (7) ومن جلائل فضائل سيدنا أمير المؤمنين .. فلماذا لم يستفيدوا منه؟!.

1– 1. حلية الأولياء 1 : 67 ، أنساب الأشراف 1 : 99.

2– 2. أنساب الأشراف 1 : 99 ، الإستيعاب 3 : 1107.

3– 3. المعيار والموازنة : 102.

4– 4. المستدرک 3 : 124 ، الصواعق : 76 و 77 ، كفاية الطالب : 254.

5– 5. من الأحاديث المتواترة بين المسلمين.

6– 6. الإتقان.

7– 7. أنظر : فتح البارى 9 : 9 ، الإستيعاب – ترجمة أبى بكر – ، الصواعق : 78 ، الإتقان 1 : 99 ، حلية الأولياء 1 : 67 ، التسهيل لعلوم التنزيل 1 : 4 ، المصنف لابن أبى شيبة 1 : 545 ، طبقات ابن سعد 2 : 338.

ولعل إعراض القوم عن مصحف على هو السبب فى قدح ابن حجر العسقلانى (1) ومن تبعه كالآلوسى (2) فى الخبر الحاكى له .. مع أن هذا الأمر من الأمور الثابتة الضرورية المستغنية عن أبى خبر مسند .. لكن هؤلاء يحاولون توجيه ما فعله القوم أو تركوه كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا ..!! ثم إنه لماذا لم يدعوا الإمام - عليه السلام - ولم يشاركوه فى جمع القرآن؟! فإنا لا نجد ذكرا له فيمن عهد إليهم أمر جمع القرآن فى شئ من أخبار القضية ، لا فى عهد أبى بكر ولا فى عهد عثمان .. فلماذا؟! ألا إن هذه أمور توجب الحيرة وتستوقف الفكر!!

وبعد : فإن التحقيق - كما عليه أهله من عامة المسلمين - أن القرآن قد كتب كله فى عهد النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - وجمع فى الصدور والسطور معا من قبل جماعة من أصحابه - صلى الله عليه وآله وسلم - غير أن الجامعين له - أى : الحافظين فى صدورهم - أكثر ممن كتبه ، كما أن من كتبه بتمامه فكان ذا مصحف يختص به أقل ممن كان عنده سور من القرآن كتبها واحتفظ بها لنفسه .. فهل كان الجامعون له بتمامه أربعة كما عن أنس بن مالك (3) وعبد الله بن عمرو (4) أو خمسة كما عن محمد بن كعب القرظى (5) أو ستة كما عن الشعبى (6) أو تسعة كما عن النديم (7)؟!

إن الجامعين للقرآن أكثر من هذه الأعداد .. وأما حديث الحصر فى الأربعة وأن كلهم من الأنصار - كما عن أنس بن مالك - فنحن نستنكره تبعا لجماعة من الأئمة .. كما ذكر الحافظ السيوطى .. ولا نتكلف تأويله ولا ننظر فى

1- 1. فتح البارى 9 : 9.

2- 2. روح المعانى 1 : 21.

3- 3. صحيح البخارى 6 : 102.

4- 4. صحيح البخارى 6 : 102 ، صحيح مسلم 7 : 149.

5- 5. الإتقان 1 : 72 ، منتخب كنز العمال 2 : 47.

6- 6. الإتقان 1 : 72 ، البرهان 1 : 241.

7- 7. الفهرست : 30.

سنده ..

كلمة حول أنس بن مالك

بل الكلام فى أنس بن مالك نفسه .. لأنا قـد وجـدناه رجلا كاذبا كاتما للحق ، آبيا عن الشـهادة به فى قضـية مناشـدة أمير المؤمنين بحديث الغدير .. فإن أنس ابن مالك كان فى الناس الذين نشدهم أمير المؤمنين - عليه السـلام - وطلب منهم الشـهادة بما سمعوا من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسـلم - يوم غدير خم .. فقام القوم فشهدوا إلا ثلاثة منهم لم يقوموا فدعا عليهم فأصابتهم دعوته ، منهم أنس بن مالك .. إذ قال له الإمام : «يا أنس ، ما يمنعك أن تقوم فتشـهد ولقد حضـرتها؟ فقال : يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت ، فقال : اللهم إن كان كاذبا فارمه بيضاء لا تواريها العمامة ، فكان عليه البرص» (1).

ووجدناه كاذبا منافقا فى قضـية حديث الطائر .. فإن النبى - صـلى الله عليه وآله - لما أهدى إليه طائر مشوى ليأكل منه وقال : «اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك وإلى يأكل معى من هـذا الطائر» كان يترقب دخول على - عليه السـلام - عليه ، وكان أنس كلما جاء على ليدخل رده قائلا : «إن رسول الله - صـلى الله عليه وآله وسـلم - على حاجة» حتى كانت المرة الأخيرة ، فرفع على يده فوكز فى صدر أنس ثم دخل .. فلما نظر إليه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قام قائما فضمه إليه وقال : ما أبطأ بک يا على؟! قال : يا رسول الله ، قد جئت ثلاثا كل ذلک يردنى أنس ، قال أنس : فرأيت الغضب فى وجه رسول الله وقال : يا أنس ، ما حملک على رده؟! قلت : يا رسول الله سـمعتک تـدعو ، فأحببت أن تكون الدعوة فى الأنصار ، قال : «لست بأول رجل أحب قومه ، أبى الله يا أنس إلا أن يكون ابن أبى طالب» (2).

1- 1. أنظر : خلاصة عبقات الأنوار؟ قسم حديث الغدير ، والغدير 1 : 191 - 195.

2- (33) حديث الطير من الأحاديث المتواترة ، تجده فى جل كتب الحديث والفضائل ، وله طرق كثيرة جدا

إنه يكذب غير مرة ، ويمنع أحب الناس إلى الله ورسوله من الدخول ، ويتسبب فى تأخير استجابة دعوة الرسول – صلى الله عليه وآله – ، و... كما يحصر حفاظ القرآن فى أربعة من الأنصار .. حبا لهم ..!!.

إن الباعث له على ما فعل فى قصة الطائر «بغض الأمير» ... هذه الحقيقة التى كشف عنها بكتمان الشهادة بحديث الغدير ...

وعلى كل حال فإن القرآن كان مجموعا على عهد الرسول – صلى الله عليه وآله – ، وإن الجامعين له – حفظا وكتابة – على عهده كثيرون ...

وإذا كان القرآن مكتوبا على عهد النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – وكان الأصحاب يؤلفونه بأمره – كما يقول زيد بن ثابت – (1) فلا وزن لما رووه عن زيد أنه قال : «قبض رسول الله ولم يكن القرآن جمع فى شئ» (2) لأن «التأليف» هو «الجمع» قال ابن حجر : «تأليف القرآن : أى جمع آيات السورة الواحدة أو جمع السور مرتبة فى المصحف» (3).

وعلى هذا الأساس يجب رفض ما رووه من الأحاديث فى أن «أول من جمع القرآن أبو بكر» أو «عمر» أو غيرهما من الأصحاب بأمرهما ... لأن الجمع فى المصحف قد حصل قبل أبى بكر ... فلا وجه لقبول هذه الأحاديث – حتى لو كانت صحيحة سندا – كى نلتجئ إلى حمل «فكان [عمر] أول من جمعه فى المصحف» (4) مثلا ـ على أن المراد : «أشار على أبى بكر أن يجمعه» (5) جمعا بينه وبين ما دل على أن «الأول» هو «أبو بكر».

وكذا نرفض ما أخرجه البخارى عن زيد بن ثابت أنه قال : «أرسل إلى

====

6. فتح البارى 9 : 10.

1- حتى أفرده بعضهم بالتأليف ... وكلها تشتمل على صنيع أنس بن مالك ...

2- 2. المستدرک 2 : 662.

3- 3. الإتقان 1 : 202.

4- 4. فتح البارى 9 : 8.

5- 5. الإتقان 1 : 204.

أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة ...» (1) لوجوه منها :

أولا : إن القرآن كان مجموعا مؤلفا على عهد النبى - صلى الله عليه وآله - أو بعيد وفاته بأمر منه ، وإذ قد فعل رسول الله - صلى الله عليه وآله - ذلک كيف يقول زيد لأبى بكر : «كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وآله -»؟!

وثانيا : قوله : «فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال» يناقضه ما دل على كونه مؤلفا ومدونا على عهد النبى - صلى الله عليه وآله - وقد رواه هو ... بل رووا أن جبريل عرض القرآن على النبى - صلى الله عليه وآله - فى عام وفاته مرتين ، بل ذكر ابن قتيبة أنه كان آخر عرض قام به رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - للقرآن على مصحف زيد بن ثابت نفسه (2).

وثالثا : قوله : «حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى ، لم أجدها مع أحد غيره» مما اضطرب القوم فى معناه ، كما اختلفوا فى اسم الرجل الذى وجد عنده ذلک (3).

وكذا نرفض ما أخرجه ابن أبى داود : «إن أبا بكر قال لعمر ولزيد : اقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين من كتاب الله فاكتباه» قال ابن حجر : «رجاله ثقات مع انقطاعه». فإنه بغض النظر عما فى سنده تدفعه الضرورة ، فلا حاجة إلى الوجوه التى ذكرها ابن حجر لتوجيهه حيث قال : «كأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلک المكتوب كتب بين يدى رسول الله - صلى الله عليه وآله - ، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلک من الوجوه التى نزل بها القرآن ، وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين

1- 1. صحيح البخارى 6 : 225.

2- 2. المعارف : 260.

3- 3. فتح البارى 9 : 12 ، إرشاد السارى 7 : 448 ، المرشد الوجيز : 43 ، البرهان 1 : 236 ، مناهل العرفان 1 : 266.

ما كتب بين يدى النبى – صلى الله عليه وآله – لا من مجرد الحفظ» (1) مع أن بعض تلك الوجوه غير قابل للتصديق به أبدا.

ولهذا الحديث – فى الدلالة على كتابة القرآن بشهادة شاهدين – نظائر فى كتبهم نذكر بعضها مع إسقاط أسانيدها :

1 – لما قتل أهل اليمامة أمر أبو بكر عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت فقال : اجلسا على باب المسجد فلا يأتينكما أحد بشئ من القرآن تنكرانه يشهد عليه رجلان إلا أثبتماه ، وذلك لأنه قتل باليمامة ناس من أصحاب رسول الله قد جمعوا القرآن» (2).

2 – «أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام فى الناس فقال : من كان تلقى من رسول الله – صلى الله عليه وآله – شيئا من القرآن فليأتنا به ، وكانوا كتبوا ذلك فى الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان ، فقتل وهو يجمع ذلك إليه ، فقام عثمان فقال : من كان عنده من كتاب الله شئ فليأتنا به ، وكان لا يقبل من ذلك شيئا حتى يشهد عليه شهيدان ، فجاء خزيمة بن ثابت فقال : إنى قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما ، قالوا : وما هما؟ قال : تلقيت من رسول الله : لقد جاء كم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم .. إلى آخر السورة. فقال عثمان : وأنا أشهد أنهما من عند الله ، فأين ترى أن نجعلهما؟ قال : اختم بهما آخر ما نزل من القرآن ، فختمت بهما براءة» (3).

3 – «كان عمر لا يثبت آية فى المصحف حتى يشهد رجلان ، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين : لقد جاء كم رسول من أنفسكم .. إلى آخرها ، فقال عمر : لا أسألك عليها بينة أبدا ، كذلك كان رسول الله» (4).

4 – خزيمة بن ثابت : «جئت بهذه الآية : لقد جاءكم ... إلى عمر بن

1– 1. فتح البارى 9 : 11.

2– 2. منتخب كنز العمال 2 : 45.

3– 3. منتخب كنز العمال 2 : 45.

4– 4. منتخب كنز العمال 2 : 45 – 46.

الخطاب وإلى زيد بن ثابت ، فقال زيد : من يشهد معک؟ قلت : لا والله ما أدرى. فقال عمر : أنا أشهد معه على ذلک» (1).

5 – زيـد بن ثابت : «لما كتبنا المصاحف فقـدت آية كنت أسـمعها من رسول الله – صـلى الله عليه وآله وسـلم – فوجدتها عند خزيمة بن ثابت : من المؤمنين رجال صدقوا ... وكان خزيمة يدعى ذا الشـهادتين ، أجاز رسول الله – صـلى الله عليه وآله – شـهادته بشهادة رجلين» (2).

6 – «أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيـد ، وكان الناس يأتون زيـد بن ثابت فكان لا يكتب إلا بشـهادة عـدلين ، وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبى خزيمة بن ثابت ، فقال : اكتبوها فإن رسول الله – صـلى الله عليه وآله – جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب. وإن عمر أتى بآية الرجم فلم نكتبها لأنه كان وحده» (3).

ومما يزيد بطلان هذه الأحاديث وضوحا وجود التكاذب فيما بينها ، وبيان ذلک :

إن الحديث الثانى صـريح فى أن الجمع كان فى زمن عمر والآتى بالآيتين خزيمة بن ثابت والشاهد معه عثمان. لكن فى الثالث «جاء رجل من الأنصار» وقال عمر : «لا أسألک عليها بينـة أبـدا كذلک كان رسول الله». وفى الرابع : «فقال زيد : من يشـهد معک؟» قال خزيمة : «لا والله مـا أدرى ، فقـال عمر : أنا أشـهد معه». وفى السادس : أن الجمع كان فى زمن أبى بكر والكاتب زيـد «فكان لا يكتب آيـة إلا بشـهادة عدلين» وأن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت ، فقال : «اكتبوها فإن رسول الله جعل شهادته بشهادة رجلين».

وأيضـا : وجود التكـاذب بينهـا وبين الحـديث التالى : «إنهم جمعوا القرآن فى المصاحف فى خلافـة أبى بكر ، وكان رجال يكتبون ويملى عليهم أبى ، فلما انتهوا

1– 1. منتخب كنز العمال 2 : 46.

2– 2. منتخب كنز العمال 2 : 49 و 52.

3– 3. الإتقان 1 : 101.

إلى هـذه الآيـة من سورة براءة : ثم انصـرفوا صـرف الله ... فظنوا أن هذا آخر ما نزل من القرآن ، فقال أبى بن كعب أقرأنى بعدها آيتين : لقد جاءكم رسول ...» (1).

وهكذا ترتفع جميع الشبهات حول القرآن الكريم بعد سقوط الأحاديث التى هى المناشئ الأصلية لها ...

ويبقى الكلام حول ما صنعه عثمان .. فهل جمع القرآن من جديد؟ وكيف؟ وبواسطة من؟

لقـد اختلفت أحاديث القوم وكلمات علمائهم فى هذا المقام أيضا ، وقد أشـرنا إلى بعض ذلك فيما تقدم .. ولما كان الصـحيح كون القرآن مكتوبا على عهـد الرسول - صـلى الله عليه وآله - ومجموعا مـدونا قبل عهـد عثمان بزمن طويل ، بل لا دور لمن تقدم عليه فى جمعه ... فالصـحيح أن الذى فعله عثمان على عهده لم يكن إلا جمع المسلمين على قراءة واحدة ، وهى القراءة المشهورة المتعارفة بينهم ، المتواترة عن النبى - صـلى الله عليه وآله - .. ومنعهم عن القراءات الأخرى المبنية على أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، أما هذا العمل فلم ينتقده عليه أحد من المسلمين ، لأن مصاحف الصحابة والتابعين كانت مختلفة حتى أن بعض العلماء ألف فى اختلافها كتابا خاصا ، وكان لكل من الصـحابة أتباع فى البلاد يقرؤون على قراءته ، ومن الطبيعى أن يؤدى الاختلاف فى قراءة القرآن إلى ما لا تحمـد عقباه ... بل أعلن بعض الأصـحاب تأييـده لمـا قام به عثمان ، ورووا عن أمير المؤمنين - عليه السـلام - أنه قال : «لا تقولوا فى عثمان إلا خيرا ، فوالله ما فعل الـذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منا. قال : ما تقولون فى هـذه القراءة ، فقد بلغنى أن بعضـهم يقول : إن قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفرا. قلنا : فما ترى؟ قال : أرى أن يجمع الناس على مصـحف واحد ، فلا يكون فرقة ولا اختلاف. قلنا : فنعم ما رأيت (2) وعنه أنه قال : «لو وليت لفعلت مثل الذى

1- 1. مجمع الزوائد 7 : 35.

2- 2. فتح البارى 9 : 15.

فعل» (1).

ما كان بين عثمان وابن مسعود

نعم ، انتقد على عثمان أخذه المصاحف من أصحابها بالقوة وإحراقه لها ، وقد رووا عن ابن مسعود الامتناع من تسليم مصحفه .. والانتقاد الشديد لتقديم زيد بن ثابت عليه ...

قلت : أما امتناعه عن تسليم مصحفه فهو من الأمور الثابتة التى لا تقبل الخدش ، ولا حاجة إلى ذكر أخباره ومصادره ، وأما اعتراضه على تقديم زيد بن ثابت ففيه روايات صحيحة عندهم ... فقد روى الحافظ ابن عبد البر ، عن الأعمش ، عن شقيق ، قال : «لما أمر عثمان فى المصاحف بما أمر قام عبد الله بن مسعود خطيبا فقال : أيأمرونى أن أقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت؟! والذى نفسى بيده لقد أخذت من فى رسول الله - صلى الله عليه وآله - سبعين سورة وأن زيد بن ثابت لذو ذؤابة يلعب به الغلمان ، والله ما نزل من القرآن شئ إلا وأنا أعلم فى أى شئ نزل ، وما أحد أعلم بكتاب الله منى ، ولو أعلم أحدا تبلغنيه الإبل أعلم بكتاب الله منى لأتيته. ثم استحيى مما قال فقال : وما أنا بخيركم ، قال شقيق : فقعدت فى الحلق فيها أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله - فما سمعت أحدا أنكر ذلك عليه ولا رد ما قال» (2).

فهذا الحديث يكشف عن مدى تألم ابن مسعود وتضجره وشدة اعتراضه وانتقاده لتقديم زيد بن ثابت عليه ... ومثله أحاديث وآثار أخرى.

وهذا الموضع أيضا من المواضع المشكلة ... ولذا اضطراب القوم فيه اضطرابا شديدا ، أما البخارى فقد أخرج الحديث محرفا وتصرف فيه تسترا على عثمان وزيد ، فرواه عن الأعمش ، عن شقيق ، قال : «خطبنا عبد الله فقال : والله

1- 1. إرشاد السارى 7 : 448 ، البرهان 1 : 240 وغيرهما.

2- 2. الإستيعاب 3 : 993.

لقد أخذت من فی رسول الله – صـلی الله علیه وآله – بضـعا وسـبعین سورة ، والله لقد علم أصحاب النبی – صلی الله علیه وآله – أنی من أعلمهم بکتاب الله وما أنا بخیرهم. قال شقیق : فجلست فی الحلق أسمع ما یقولون ، فما سمعت رادا یقول غیر ذلک» (1).

وأما ابن أبی داود فقد ترجم باب رضی ابن مسعود بعد ذلک بما صنع عثمان ، لکن لم یورد ما یصرح بمطابقة ما ترجم به (2).

وقال بعضهم : ما رووا عن ابن مسعود من الطعن فی زید بن ثابت کله موضوع (3).

وأما ما کان من عثمان بالنسـبة إلی ابن مسـعود فمشـهور فی التاریخ ، فقد ضـربه حتی کسـر بعض أضـلاعه ، ومنعه عطاءه ، ووقعت بینهما منافرة شدیدة حتی عهد ابن مسـعود إلی عمار أن لا یصـلی عثمان علیه ، وعاده عثمان فی مرض الموت فقال له : ما تشتکی؟ فقال : ذنوبی. فقال : فما تشتهی؟ قال : رحمة ربی. قال : أدعو لک طبیبا؟ قال : الطبیب أمرضنی. قال : أفلا آمر لک بعطائک؟ قال : منعتنیه وأنا محتاج إلیه وتعطینیه وأنا مسـتغن عنه؟ قال : یکون لولدک. قال : رزقهم علی الله تعالی. قال : استغفر لی یا أبا عبد الرحمن. قال : أسأل الله أن یأخذ لی منک حقی» (4).

کلمة فی زید بن ثابت

قلت : ما رواه الأعمش عن شقیق أخرجه مسلم والنسائی وأبو عوانة وابن أبی داود ... وسواء کان صحیحا أو موضوعا .. فإن أمر جمیع ما ورد حول القرآن

1- 1. صحیح البخاری بشرح ابن حجر 9 : 390.

2- 2. فتح الباری 9 : 40.

3- 3. مباحث فی علوم القرآن ، لصبحی الصالح : 82.

4- 4. أسد الغابة 3 : 259 ، تاریخ ابن کثیر 7 : 163 ، الخمیس 2 : 268 ، السیرة الحلبیة 2 : 78 ، شرح النهج 1 : 236 نقلا من هامش نهج الحق : 295.

مشتملا على دور لزيد بن ثابت فيه مريب .. لأن هذا الرجل الذى كان حين قدوم رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – المدينة ابن إحدى عشرة سنة (1) قد جعلوه من مؤلفى القرآن على عهد الرسول .. وأنه على قراءته عارض جبريل القرآن مع النبى عام وفاته – صلى الله عليه وآله – .. وأنه الذى جمع القرآن على عهد أبى بكر بأمره .. وأنه الذى جمع القرآن على عهد عثمان بأمره .. وأن القرآن الموجود على حرف زيد ...!!

فإن صح هذا كله فهى «شنشنة أعرفها من أخزم» ، ولكن محمد بن كعب القرظى لم يذكر زيدا فيمن جمع القرآن على عهد النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – (2).

وأما على عهد أبى بكر فقد عرفت بطلان أحاديث الجمع على عهده ، على أن أبا بكر لم يصفه إلا ب «إنک رجل شاب عاقل لا نتهمک» وما كان فيه شئ يتقدم به على ابن عباس وابن مسعود وأبى بن كعب وأضرابهم من حفاظ القرآن وقرائه والعلماء فيه ... مضافا إلى أن قوما من أهل السنة عارضوا بهذا الحديث حديث أنس بن مالک أن زيد بن ثابت أحد الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله – صلى الله عليه وآله – قالوا : «فلو كان زيد قد جمع القرآن على عهد رسول الله – صلى الله عليه وآله – لأملاه من صدره وما احتاج إلى ما ذكر» (3).

وأما حديث معارضة القرآن على قراءته – كما عن ابن قتيبة – فقد تكذبه رواية وكيع وجماعة معه ، عن الأعمش عن أبى ظبيان ، قال : قال لى عبد الله بن عباس : أى القراءتين تقرأ؟ قلت : القراءة الأولى قراءة ابن أم عبد ، فقال : أجل هى الآخرة ، إن رسول الله – صلى الله عليه وآله – كان يعرض القرآن على جبرئيل فى كل عام مرة ، فلما كان العام الذى قبض فيه رسول الله – صلى الله عليه وآله

1- 1. الإستيعاب 2 : 536.

2- 2. الإتقان 1 : 272 ، منتخب كنز العمال 2 : 370.

3- 3. الإستيعاب 2 : 538.

وسلم – عرضه عليه مرتين ، فحضر ذلک عبد الله فعلم ما نسخ من ذلک وما بدل» (1).

خلاصة البحث

ويتلخص البحث فی هذه الناحية فی النقاط التالية :

1 – إن القرآن الكريم كان مكتوبا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وآله – ، وكان حفاظه وقراؤه يفوق عددهم حد التواتر بكثير.

2 – إن أمير المؤمنين – عليه السلام – جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله – صلى الله عليه وآله – ثم رتبه ودونه بعد وفاته على ترتيب نزوله وذكر فيه الناسخ والمنسوخ وبعض التفسير والتأويل.

3 – إن الخلفاء الثلاثة لا دور لهم فی جمع القرآن ولا فی كتابه ولا فی حفظه ، لا على عهد الرسول – صلى الله عليه وآله – ولا فی عهد حكومتهم.

4 – إن الذی فعله عثمان هو ترتيب سور القرآن كما هو موجود الآن ، من غير زيادة فيه ولا نقصان ، وحمل الناس على قراءة هذا المصحف ونبذ القراءات الأخرى التی كان البعض عليها تبعا لأصحابها.

كلمة لا بد منها :

وهی أنه لو أطاع المسلمون نبيهم – صلى الله عليه وآله – وامتثلوا أمره بالرجوع إلى أهل بيته من بعده والتمسک بهم والتعلم منهم – كما فی حديث الثقلين المتواتر وغيره – لأخذوا القرآن وعلومه من عين صافية ، ولكن هل علم الذی قال : «حسبنا كتاب الله» ثم منع عن كتابة السنة وسعى وراء عزل أهل البيت عن قيادة الأمة ، وحرمها من العلوم المودعة عندهم – عليهم السلام – بأن القرآن سيمزق على المدى البعيد على يد «الوليد» ، فلا يبقى كتاب ولا سنة ولا عترة؟!

1– 1. الإستيعاب 3 : 992.

إنه قد يصعب على بعض الناس القبول بترتب كل هذه الآثار ، بل تغير مصير أمة بكاملها على كلمة واحدة قالها قائلها!!

3 – أحاديث نقصان القرآن

وأما أخبار نقصان القرآن .. فقد ذكرنا رد من ردها مطلقا ، وتأويلات من صححها ، وأشرنا إلى أن المعروف بين المتأولين هو الحمل على نسخ التلاوة .. لكنا نبحث عن هذه الآثار على التفصيل الآتى :

إن ما كان من هذه الآثار ضعيف سندا فهو خارج عن دائرة البحث ... وقد عرفت مما تقدم أن هذا حال بعض ما يدل على النقصان.

وأما التى صحت سندا فهى أخبار آحاد ، ولا كلام ولا ريب فى عدم ثبوت القرآن بخبر الواحد.

ثم إن ما أمكن حمله منها على التفسير وبيان شأن النزول ونحو ذلک فلا داعى للرد والتكذيب له – كما لم يجز الأخذ بظاهره الدال على النقصان – فإن عدة من الأصحاب كانوا قد كتبوا القرآن وكان بين مصاحفهم الاختلاف فى ترتيب السور وقراءة الآيات وما شاكل ذلک. وإن بعضهم قد أضاف إلى الآيات ما سمعه من النبى – صلى الله عليه وآله – من التفسير والتوضيح لها ، ومن هذا القبيل جل ما فى أجزاء الآيات ، كآية ولاية النبى ، وآية المحافظة على الصلوات ، وآية المتعة ، وآية يا أيها الرسول بلغ .. وأمثالها ...

وإن لم يمكن – أو لم يتم – الحمل على بعض الوجوه كما هو الحال فيما ورد حول سور وآيات كاملة أسقطت من القرآن .. فإما الحمل على نسخ التلاوة وإما الرد والتكذيب ...

تحقيق فى النسخ

لكن الحمل على نسخ التلاوة دون الحكم أو هما معا غير تام لوجوه :

الأول : إنه لا أصل للقسمين المذكورين من النسخ ... وتوضيح ذلک : أنهم قالوا بأن النسخ فی القرآن علی ثلاثة أضرب ، أحدها : ما نسخ لفظه وبقی حکمه. والثانی : ما نسخ لفظه وحکمه معا. والثالث : ما نسخ حکمه دون لفظه. وقد مثلوا للضرب الأول بآیة الرجم ، ففی الصحیح عن عمر : إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل علیه الکتاب ، فکان مما أنزل علیه آیة الرجم فقرأتها وعقلتها ووعیتها. قال ابن حزم : «فأما قول من لا یری الرجم أصلا فقول مرغوب عنه ، لأنه خلاف الثابت عن رسول الله - صلی الله علیه وآله - ، وقد کان نزل به قرآن ، ولکنه نسخ لفظه وبقی حکمه» (1).

وعلی ذلک حمل أبو شامة (2) وکذا الطحاوی ، قال : «لکن عمر لم یقف علی النسخ فقال ما قال ، ووقف علی ذلک غیره من الأصحاب ، فکان من علم شیئا أولی ممن لم یعلمه ، وکان علم أبی بکر وعثمان وعلی بخروج آیة الرجم من القرآن ونسخها منه أولی من ذهاب ذلک علی عمر» (3).

قال السیوطی : «وأمثلة هذا الضرب کثیرة» ثم حمل علیه قول ابن عمر : «لا یقولن ..» وما روی عن عائشة فی سورة الأحزاب ، وما روی عن أبی وغیره من سورتی الخلع والحفد (4).

وفی «المحلی» بعد أن روی قول أبی فی عدد آیات سورة الأحزاب : «هذا إسناد صحیح کالشمس لا مغمز فیه» قال : «ولو لم ینسخ لفظها لأقرأها أبی بن کعب زرا بلا شک ، ولکنه أخبره بأنها کانت تعدل سورة البقرة ولم یقل له : إنها تعدل الآن ، فصح نسخ لفظها» (5).

ومثلوا للثانی بآیة الرضاع عن عائشة : «کان مما أنزل من القرآن عشر

1- 1. المحلی 11 : 234.

2- 2. المرشد الوجیز : 42 - 43.

3- 3. مشکل الآثار 3 : 5 - 6.

4- 4. الإتقان 2 : 81.

5- 5. المحلی 11 : 234.

رضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخن بخمس رضعات يحرمن ، فتوفى رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وهن مما يقرأ من القرآن. رواه الشيخان. وقد تكلموا فى قولها : (وهن مما يقرأ) فإن ظاهره بقاء التلاوة بعد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وليس كذلک .. [وقد تقدم بعض الكلام فيه] ... قال مكى : هذا المثال فيه المنسوخ غير متلو ، والناسخ أيضا غير متلو ولا أعلم له نثيرا» (1).

وقال الآلوسى : «أسقط زمن الصديق ما لم يتواتر وما نسخت تلاوته ، وكان يقرؤه من لم يبلغه النسخ وما لم يكن فى العرضة الأخيرة. ولم يأل جهدا فى تحقيق ذلک ، إلا أنه لم ينتشر نوره فى الآفاق إلا زمن ذى النورين. فلهذا نسبه إليه» ثم ذكر طائفة من الآثار الدالة على نقصان القرآن عن أحمد والحاكم وغيرهما فقال : «ومثله كثير ، وعليه يحمل ما رواه أبو عبيد عن ابن عمر ، قال : لا يقولن ... والروايات فى هذا الباب أكثر من أن تحصى ، إلا أنها محمولة على ما ذكرناه» (2).

وفى آية الرضاع قال : «والجواب : أن جميع ذلک منسوخ كما صرح بذلک ابن عباس فيما مر ، ويدل على نسخ ما فى خبر عائشة أنه لو لم يكن منسوخا لزم ضياع بعض القرآن الذى لم ينسخ ، وإن الله تعالى قد تكفل بحفظه ، وما فى الرواية لا ينافى النسخ ...» (3).

ووافق الزرقانى على حمل هذه الأحاديث على النسخ لورود ذلک فى الأحاديث (4).

لكن جماعة من علمائهم المتقدمين والمتأخرين ينكرون القسمين المذكورين من النسخ ، ففى الإتقان بعد أن ذكر الضرب الثالث – ما نسخ تلاوته

1- 1. الإتقان 2 : 70.

2- 2. روح المعانى 1 : 24.

3- 3. روح المعانى 1 : 228.

4- 4. مناهل العرفان 2 : 215.

دون حكمه – وأمثلته : «تنبيه : حكى القاضى أبو بكر فى الإنتصار عن قوم إنكار هذا الضرب ، لأن الأخبار فيه أخبار آحاد ، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها.

وقال أبو بكر الرازى : نسخ الرسم والتلاوة إنما يكون بأن ينسيهم الله إياه ويرفعه من أوهامهم ويأمرهم بالإعراض عن تلاوة وكتبه فى المصحف ، فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التى ذكرها فى كتابه فى قوله : (إن هذا لفى الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى) ولا يعرف اليوم منها شئ.

ثم لا يخلو ذلك من أن يكون فى زمان النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – حتى إذا توفى لا يكون متلوا فى القرآن أو يموت وهو متلو بالرسم ثم ينسيه الله الناس ويرفعه من أذهانهم ، وغير جائز نسخ شئ من القرآن بعد وفاة النبى – صلى الله عليه وآله» (1) ثم أورد كلام الزركشى الآتى ذكره.

وقال الشوكانى : «منع قوم من نسخ اللفظ مع بقاء حكمه ، وبه جزم شمس الدين السرخسى ، لأن الحكم لا يثبت بدون دليله» (2).

وحكى الزرقانى عن جماعة فى منسوخ التلاوة دون الحكم : إنه مستحيل عقلا ، وعن آخرين منع وقوعه شرعا (3).

ولم يصحح الرافعى القول بنسخ التلاوة وأبطل كل ما حمل على ذلك وقال : «ولا يتوهمن أحد أن نسبة بعض القول إلى الصحابة نص فى أن ذلك المقول صحيح البتة ، فإن الصحابة غير معصومين ، وقد جاءت روايات صحيحة بما أخطأ فيه بعضهم من فهم أشياء من القرآن على عهد رسول الله – صلى الله عليه وآله – وذلك العهد هو ما هو. ثم بما وهل عنه بعضهم مما تحدثوا من أحاديثه الشريفة ، فأخطأوا فى فهم ما سمعوا ، ونقلنا فى باب الرواية من تاريخ آداب

1- 1. الإتقان 2 : 85 ، وانظر : البرهان 2 : 39 – 40.

2- 2. إرشاد الفحول : 189 – 190 ، وتقدم نص عبارة السرخسى عن أصوله 2 : 78.

3- 3. مناهل العرفان 2 : 112.

العرب أن بعضـهم كان يرد على بعض فيما يشـبه لهم أنه الصواب خوف أن يكونوا قـد وهموا ... على أن تلك الروايات القليلة [فيما زعموه كـان قرآنا وبطلت تلاوته] (1) إن صـحت أسانيـدها أو لـم تصـح فهى على ضـعفها وقلتهـا ممـا لا حفل به ما دام إلى جانبها إجماع الأمة وتظاهر الروايات الصحيحة وتواتر النقل والأداء على التوثيق» (2).

وقـال صـبحى الصالـح : «والولوع باكتشاف النسـخ فى آيات الكتاب أوقع القوم فى أخطاء منهجيـة كان خليقا بهم أن يتجنبوها لئلا يحملها الجاهلون حملا على كتاب الله ... لـم يكن خفيا على أحـد منهم أن الآيـة القرآنيـة لا تثبت إلا بالتواتر ، وأن أخبار الآحاد ظنيـة لا قطعية ، وجعلوا النسـخ فى القرآن - مع ذلک - على ثلاثـة أضـرب : نسـخ الحكم دون التلاوة ، ونسخ التلاوة دون الحكم ، ونسخ الحكم والتلاوة جميعا.

وليكثروا إن شـاؤوا من شواهـد الضـرب الأول ، فإنهم فيه لا يمسون النص القرآنى من قريب ولا بعيـد ، إذ الآيـة لـم تنسـخ تلاوتها بل رفع حكمها لأسـرار تربوية وتشـريعية يعلمها الله ، أما الجرأة العجيبة ففى الضـربين الثانى والثالث ، اللذين نسـخت فيهما بزعمهم تلاوة آيات معينة ، إما مع نسخ أحكامها وإما دون نسخ أحكامها.

والناظر فى صـنيعهم هذا سـرعان ما يكتشف فيه خطأ مركبا ، فتقسـيم المسائل إلى أضـرب إنما يصـلح إذا كان لكل ضرب شواهد كثيرة أو كافية على الأقل ليتيسـر اسـتنباط قاعدة منها ، وما لعشاق النسخ إلا شاهد أو اثنان على كل من هذين الضـربين [أما الضرب الذى نسخت تلاوته دون حكمه فشاهده المشهور ما قبل من أنه كان فى سورة النور : الشيخ والشيخة ... أنظر : تفسير ابن كثير

1- 1. ما بين القوسين ذكره فى الهامش. قلت : ما ذكره فى الجواب عن هذه الأحاديث هو الحق لكن وصفها بالقلة فى غير محله فهى كثيرة بل أكثر من أن تحصى كما تقدم فى عبارة الآلوسى.
2- 2. إعجاز القرآن : 44.

3 : 261 ، ومما يدل على اضطراب الرواية : أن فى صحيح ابن حبان ما يفيد أن هذه الآية التى زعموا نسخ تلاوتها كانت فى سورة الأحزاب لا فى سورة النور ، وأما الضرب الذى نسخت تلاوته وحكمه معا فشاهده المشهور فى كتب الناسخ والمنسوخ ما ورد عن عائشة أنها قالت : كان فيما أنزل من القرآن ...] (1) وجميع ما ذكروه منها أخبار آحاد ، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها.

وبهذا الرأى السديد أخذ ابن ظفر فى كتابه الينبوع ، إذ أنكر عد هذا مما نسخت تلاوته ، قال : لأن خبر الواحد لا يثبت القرآن» (2).

وقال مصطفى زيد وهو ينكر نسخ التلاوة دون الحكم : «وأما الآثار التى يحتجون بها ... فمعظمها مروى عن عمر وعائشة ، ونحن نستبعد صدور مثل هذه الآثار عنهما ، بالرغم من ورودهما فى الكتب الصحاح ... وفى بعض هذه الروايات جاءت العبارات التى لا تتفق ومكانة عمر ولا عائشة ، مما يجعلنا نطمئن إلى اختلاقها ودسها على المسلمين» (3).

هذا وستأتى كلمات بعض أعلامهم فى خصوص بعض الآثار.

وكذا أنكر المحققون من الإمامية القسمين المذكورين من النسخ ..

فقد قال السيد المرتضى : «ومثال نسخ التلاوة دون الحكم غير مقطوع به لأنه من خبر الآحاد ، وهو ما روى أن من جملة القرآن : الشيخ والشيخة والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ، فنسخت تلاوة ذلك. ومثال نسخ الحكم والتلاوة معا موجود فى أخبار الآحاد وهو ما روى عن عائشة ...» (4) وقد تبعه على ذلك غيره (5).

الثانى : وعلى فرض تمامية الكبرى فإنه لا دليل على أن هذه الآيات التى

1- 1. ما بين القوسين مذكور فى الهامش.

2- 2. مباحث فى علوم القرآن : 265 - 266.

3- 3. النسخ فى القرآن 1 : 283.

4- 4. الذريعة إلى أصول الشريعة 1 : 428.

5- 5. البيان فى تفسير القرآن : 303.

حكتها الآثار المـذكورة منسوخة ، إذ لم ينقل نسـخها ، ولم يرد فى حديث عن النبى – صـلى الله عليه وآله – فى واحد منها أنها منسوخة ، ولقد كان المفروض أن يبلغ – صلى الله عليه وآله – الأمة بالنسخ كما بلغ بالنزول.

فقـد ورد فى الحـديث أنه قال لأبى : «إن الله أمرنى أن أقرأ عليک القرآن» فقرأ عليه (آية الرغبة) ، فلو كانت منسوخة – كما يزعمون – لأخبره بـذلک ولنهاه عن تلاوتها ، ولكنه لم يفعل – إذ لو فعل لنقل – ولـذا بقى أبى – كما فى حديث آخر عن أبى ذر – يقرأ الآية بعد رسول الله – صلى الله عليه وآله – معتقدا بكونها من آى القرآن العظيم.

ونازع عمر أبيا فى قراءته (آية الحمية) وغلظ له ، فخصـمه أبى بقوله : «لقد علمت أنى كنت أدخل على النبى – صـلى الله عليه وآله وسلم – ويقرؤنى وأنت بالباب ، فإن أحببت أن اقرئ الناس على ما أقرأنى وإلا لم اقرئ حرفا ما حييت» ، فقال له عمر : «بل أقرئ الناس».

وهذا يدل على أن أبيا قد تعلم الآية هكذا من النبى – صـلى الله عليه وآله – وجعل يقرئ الناس على ما أقرأه ، ولو كان ثمة ناسخ لعلمه أبى أو أخبره الرسول – صلى الله عليه وآله – فكف عن تلک القراءة .. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن قول عمر فى جوابه : «بل أقرئ الناس» يدل على عدم وجود ناسخ للآية أصلا ، وإلا لذكره له فى الجواب.

الثالث : عدم إمكان حمل الآيات المذكورة على منسوخ التلاوة على فرض صحة القول به :

فآية الرجم قد سـمعها جماعة – كما تفيد الأحاديث المتقدمة – من رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – مصرحين بأنها من آى القرآن الكريم على حقيقة التنزيل.

وقـد رأينـا – فيمـا تقـدم – إصـرار عمر بن الخطـاب على أنهـا من القرآن ، وحمله الصـحابة بالأسـاليب المختلفـة على كتابتها وإثباتها فى المصحف كما أنزلت. وقوله :

«والذی نفسی بیده لولا أن یقول الناس : زاد عمر فی کتاب الله لکتبتها ...» وکل ذلک صریح فی أنها کانت من القرآن ومما لم ینسخ ، وإلا لما أصر عمر علی ذلک ، ولما جاز له کتابتها فی المصحف الشریف.

ومن هنا قال الزرکشی : «إن ظاهر قوله : لولا أن یقول الناس ... أن کتابتها جائزة وإنما منعه قول الناس ، والجائز فی نفسه قد یقوم من خارج ما یمنعه ، وإذا کانت جائزة لزم أن تکون ثابتة ، لأن هذا شأن المکتوب.

وقد یقال : لو کانت التلاوة باقیة لبادر عمر - رضی الله عنه - ولم یعرج علی مقال الناس ، لأن مقال الناس لا یصلح مانعا.

وبالجملة فهذه الملازمة مشکلة ، ولعله کان یعتقد أنه خبر واحد والقرآن لا یثبت به وإن ثبت الحکم ...» (1).

ومن هنا أیضا : أنکر ابن ظفر (2) فی کتابه «الینبوع» عد آیة الرجم مما زعم أنه منسوخ التلاوة وقال : «لأن خبر الواحد لا یثبت القرآن» (3).

ومثله أبو جعفر النحاس (4) حیث قال : «وإسناد الحدیث صحیح ، إلا أنه لیس حکمه حکم القرآن الذی نقله الجماعة عن الجماعة ، ولکنه سنة ثابتة ...» (5).

ورأینا أن أبیا وابن مسعود قد أثبتا فی مصحفهما آیة «لو کان لابن آدم وادیان ..» وأضاف أبو موسی الأشعری : إنه کان یحفظ سورة من القرآن فنسیها إلا هذه الآیة.

1- 1. البرهان 2 : 39 - 40 ، الإتقان 2 : 26.

2- 2. وهو : محمد بن عبد الله بن ظفر المکی ، له : ینبوع الحیاة فی تفسیر القرآن ، توفی سنة 565. وفیات الأعیان 1 : 2. الوافی بالوفیات 1 : 141 وغیرهما.

3- 3. البرهان 2 : 39 - 40 ، الإتقان 2 : 26.

4- 4. وهو : أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ، المتوفی سنة 338. وفیات الأعیان 1 : 4. النجوم الزاهرة 3 : 300.

5- 5. الناسخ والمنسوخ : 8.

ولو لم تكن الآية من القرآن حقيقة - بحسب تلك الأحاديث - لما أثبتاها ، ولما قال أبو موسى ذلک.

وقد جعل الشوكانى هذه الآية مثالا للقسم الخامس من الأقسام الستة حسب تقسيمه للنسخ ، وهو : «ما نسخ رسمه لا كلمه ولا يعلم الناسخ له».

و «السادس : ناسخ صار منسوخا وليس بينهما لفظ متلو».

ثم قال : «قال ابن السمعانى : وعندى أن القسمين الأخيرين - أى الخامس والسادس - تكلف ، وليس يتحقق فيهما النسخ» (1).

ورأينا قول أبى بن كعب لزر بن حبيش فى سورة الأحزاب : «قد رأيتها ، وإنها لتعادل سورة البقرة ، ولقد قرأنا فيها : الشيخ والشيخة ... فرفع ما رفع».

فهل كان أبى يقصد من قوله : «فرفع ما رفع» ما نسخت تلاوته؟!

ورأينا قول عبد الرحمن بن عوف لعمر بن الخطاب حين سأله عن آية الجهاد : «أسقطت فيما أسقط من القرآن» فسكت عمر ، الأمر الذى يدل على قبوله ذلک.

فهل يعبر عما نسخت تلاوته ب «أسقطت فيما أسقط من القرآن»؟! ورأينا قول عائشة بأن آية الرضاع كانت مما يقرأ من القرآن بعد وفاة النبى - صلى الله عليه وآله - وأنها كانت فى رقعة تحت سريرها ... فهل كانت تعنى ما نسخت تلاوته؟ ومتى كان النسخ؟

وهنا قال أبو جعفر النحاس : «فتنازع العلماء هذا الحديث لما فيه من الإشكال ، فمنهم من تركه وهو مالک بن أنس - وهو راوى الحديث - ، ولم يروه عن عبد الله سواه ، وقال : رضعة واحدة تحرم ، وأخذ بظاهر القرآن ، قال الله تعالى : (وأخواتكم من الرضاعة) ، وممن تركه : أحمد بن حنبل وأبو ثور ، قالا : يحرم ثلاث رضعات لقول النبى - صلى الله عليه وآله - : (لا تحرم المصة ولا المصتان).

قال أبو جعفر : وفى هذا الحديث لفظة شديدة الإشكال وهو قولها (فتوفى

1- 1. إرشاد الفحول : 189 - 190.

رسول الله – صـلى الله عليه وآله – وهن مما نقرأ فى القرآن) فقال بعض أجلـة أصـحاب الحـديث : قـد روى هذا الحديث رجلان جليلان أثبت من عبـد الله بن أبى بكر فلم يـذكرا هـذا فيهـا ، وهمـا : القاسم بن محمـد بن أبى بكر الصـديق – رضـى الله عنه – ويحيى بن سـعيد الأنصارى.

وممن قال بهذا الحديث وأنه لا يحرم إلا بخمس رضعات : الشافعى.

وأما القول فى تأويل : (وهن مما نقرأ فى القرآن) فقـد ذكرنا رد من رده ، ومن صـححه قال : الـذى نقرأ من القرآن : (وأخواتكم من الرضاعة) وأما قول من قال : إن هذا كان يقرأ بعد وفاة رسول الله – صـلى الله عليه وآله – فعظيم ، لأنه لو كان مما يقرأ لكانت عائشة – رضى الله عنها – قـد نبهت عليه ، ولكان قـد نقل إلينا فى المصاحف التى نقلها الجماعـة الـذين لا يجوز عليهم الغلط ، وقد قال الله تعالى : (إنا نحن نزلنا الـذكر وإنـا له لحـافظون) وقال : (إن علينا جمعه وقرآنه) ، ولو كان بقى منه شئ لم ينقل إلينا لجاز أن يكون مما لم ينقل ناسـخا لما نقل ، فيبطل العمل بما نقل ، ونعوذ بالله من هذا فإنه كفر» (1).

الرابع : أن القول بنسـخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف ونقصان القرآن : «وبيان ذلک : أن نسـخ التلاوة هذا إما أن يكون قد وقع من رسول الله – صلى الله عليه وآله – ، وإما أن يكون ممن تصدى للزعامة من بعده.

فإن أراد القائلون بالنسـخ وقوعه من رسول الله – صـلى الله عليه وآله – فهو أمر يحتاج إلى الإثبات ، وقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسـخ الكتاب بخبر الواحـد ، وقد صـرح بذلک جماعة فى كتب الأصول وغيرها ، بل قطع الشافعى وأكثر أصـحابه وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسـخ الكتاب بالسـنة المتواترة ، وإليه ذهب أحمـد بن حنبل فى إحـدى الروايتين عنه ، بل إن جماعة ممن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسـنة المتواترة منع وقوعه ، وعلى ذلک فكيف تصح نسبة النسخ إلى النبى – صلى الله عليه وآله – بأخبار هؤلاء الرواة؟!

1- 1. الناسخ والمنسوخ : 10 – 11.

مع أن نسبة النسخ إلى النبى – صلى الله عليه وآله – تنافى جملة من الروايات التى تضمنت أن الاسقاط قد وقع بعده.

وإن أرادوا أن النسخ قد وقع من الذين تصدوا للزعامة بعد النبى – صلى الله عليه وآله – فهو عين القول بالتحريف.

وعلى ذلک ، فيمكن أن يدعى أن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السنة ، لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة ، سواء أنسخ الحكم أو لم ينسخ ، بل تردد الأصوليون منهم فى جواز تلاوة الجنب ما نسخت تلاوته ، وفى جواز أن يمسه المحدث ، واختار بعضهم عدم الجواز.

نعم ذهبت طائفة من المعتزلة إلى عدم جواز نسخ التلاوة» (1).

بل قال السيد الطباطبائى – قدس سره : «إن القول بذلک أقبح وأشنع من القول بالتحريف» (2).

وقال المحقق الأوردبادى – قدس سره – : «وقد تطرف بعض المفسرين ، فذكروا فى باب النسخ أشياء غير معقولة ...

ومنها : ما ذكره بعضهم من باب نسخ التلاوة : آية الرجم ...

وهذه أيضا من الأفائک الملصقة بقداسة القرآن الكريم من تلفيقات المتوسعين ...

وهناک جمل تضمنتها بطون غير واحد من الكتب التى لا تخلو عن مساهلة فى النقل فزعم الزاعمون أنها آيات منسوخة التلاوة أو هى والحكم ، نجل بلاغة القرآن عما يماثلها ، وهى تذودها عن ساحة البراعة ، لعدم حصولها على مكانة القرآن من الحصافة والرصافة ، فمن ذلک ما روى عن أبى موسى ... ومنها : ما روى عن أبى : قال : كنا نقرأ : لا ترغبوا ...

وإن الحقيقة لتربأ بروعة الكتاب الكريم عن أمثال هذه السفاسف

1- 1. البيان فى تفسير القرآن : 224.

2- 2. الميزان فى تفسير القرآن.

القصـية عن عظمته ، أنا لا أدرى كيف اسـتساغوا أن يعدوها من آى القرآن وبينهما بعد المشـرقين ، وهى لا تشبه الجمل الفصيحة من كلم العرب ومحاوراتهم فضلا عن أساليب القرآن الذهبية؟!

نعم ، هى هنات قصد مختلقوها توهين أساس الدين والنيل من قداسة القرآن المبين ، ويشـهد على ذلک أنها غير منقولة عن مثل مولانا أمير المؤمنين - عليه السلام - الذى هو لدة القرآن وعدله.

وإنى لا أحسب أنه يعزب عن أى متضلع فى الفضيلة حال هذه الجمل وسقوطها حتى تصل النوبة فى دفعها إلى أنها من أخبار الآحاد التى لا تفيد علما ولا عملا ، ولا يعمل بها فى الأصول القطعية التى من أهمها القرآن - كما قيل ذلک - ...» (1).

وقال الشـيخ محمد رضا المظفر بعد كلام له : «وبهذا التعبير يشـمل النسخ : نسخ تلاوة القرآن الكريم على القول به ، باعتبار أن القرآن من المجعولات الشرعية التى ينشئها الشارع بما هو شارع وإن كان لنا كلام فى دعوى نسخ التلاوة من القرآن ليس هذا موضع تفصيله.

ولكن بالاختصار نقول : إن نسخ التلاوة فى الحقيقة يرجع إلى القول بالتحريف ، لعدم ثبوت نسخ التلاوة بالدليل القطعى ، سواء كان نسـخا لأصل التلاوة أو نسـخا لها ، ولما تضـمنته من حكم معا ، وإن كان فى القرآن الكريم ما يشعر بوقوع نسخ التلاوة ، كقوله تعالى : (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر) وقوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسـها نأت بخير منها أو مثلها) ولكن ليسـتا صريحتين بوقوع ذلک ، ولا ظاهرتين ، وإنما أكثر ما تدل الآيتان على إمكان وقوعه» (2).

هذا كله فيما يتعلق بالآيات والسور التى زعموا سقوطها من القرآن ...

1- 1. بحوث فى علوم القرآن - مخطوط -.

2- 2. أصول الفقه 2 : 53.

وأما مشكلة إنكار ابن مسعود الفاتحة والمعوذتين ، فقط اضطربوا فى حلها اضطرابا شديدا كما رأيت ، فأما دعوى أن ما روى عنه فى هذا المعنى موضوع وأنه افتراء عليه فغير مسموعة ، لأن هذا الرأى عن ابن مسعود ثابت وبه روايات صحيحة كما قال ابن حجر ... وأما ما ذكروا فى توجيهه فلا يغنى ، إذ أحسن ما ذكروا هو : أنه لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن ، إنما أنكر إثباتهما فى المصحف ، لأنه كانت السنة عنده أن لا يثبت إلا ما أمر النبى - صلى الله عليه وآله - بإثباته ، ولم يبلغه أمره به ، وهذا تأويل منه وليس جحدا لكونهما قرآنا (1).

ولو كان لمثل هذا الكلام مجال فى حق مثل ابن مسعود لما جنح الرازى وابن حزم والنووى إلى تكذيب أصل النقل للخلاص من هذه العقدة كما عبر الرازى ...

ولماذا كل هذا الاضطراب؟ ألأن ابن مسعود من الصحابة؟!. إن الجواب الصحيح أن نقول بتخطئة ابن مسعود وضلالته فى هذه المسألة ... وإلى ذلك أشار ابن قتيبة بقوله : «لا نقول إنه أصاب فى ذلك وأخطأ المهاجرون والأنصار».

وأما قضية سورتى الحفد والخلع ... فنحن لم نراجع سند الرواية ، فإن كان ضعيفا فلا بحث ، وإن كان معتبرا ... فإن تم التأويل الذى أوردناه عن بعضهم فهو ... وإلا فلا مناص من تكذيب أصل النقل ...

قضية ابن شنبوذ

وهنا سؤال يتعلق بقضية ابن شنبوذ البغدادى ...

فهذا الرجل - وهو أبو الحسن محمد بن أحمد ، المعروف بابن شنبوذ البغدادى ، المتوفى سنة 328 - مقرئ مشهور ، ترجم له الخطيب وقال : «روى عن خلق كثير من شيوخ الشام ومصر ، وكان قد تخير لنفسه حروفا من شواذ القراءات

1- 1. الإتقان 1 : 270 - 272 ، شرح الشفاء - للقارى - 4 : 558. نسيم الرياض 4 : 558.

تخالف الاجماع يقرأ بها ، فصنف أبو بكر ابن الأنبارى وغيره كتبا فى الرد عليه.

وقال إسماعيل الخطبى فى كتاب التاريخ : اشتهر ببغداد أمر رجل يعرف بابن شنبوذ ، يقرئ الناس ويقرأ فى المحراب بحروف يخالف فيها المصحف مما يروى عن عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما مما كان يقرأ به قبل جمع المصحف الذى جمع عثمان بن عفان ، ويتتبع الشواذ فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وأنكره الناس ، فوجه السلطان فقبض عليه ... وأحضر القضاة والفقهاء والقراء ... وأشاروا بعقوبته ومعاملته بما يضطره إلى الرجوع ، فأمر بتجريده وإقامته بين الهبازين وضربه بالدرة على قفاه ، فضرب نحو العشرة ضربا شديدا ، فلم يصبر واستغاث وأذعن بالرجوع والتوبة فخلى عنه وأعيدت عليه ثيابه واستتيب ، وكتب عليه كتاب بتوبته وأخذ فيه خطه بالتوبة» (1).

نكتفى بهذا القدر من قضية هذا الرجل وما لاقاه من السلطان بأمر الفقهاء والقضاة ..!! ونتسأل : أهكذا يفعل بمن تبع الصحابة فى إصرارهم على قراءاتهم حسبما يروى أهل السنة عنهم فى أصح أسفارهم؟!

كلمة لا بد منها :

وهنا كلمة قصيرة لا بد منها وهى : أن شيئا من هذه السفاسف التى رواها القوم عن صحابتهم - الذين يعتقدون بهم بأصح أسانيدهم ، فاضطروا إلى حملها على النسخ ظنا منهم بأنه طريق الجمع بين صيانة القرآن عن التحريف وصيانة الصحاح ورجالها وسائر علمائهم ومحدثيهم عن رواية الأباطيل ... - غير منقول عن مولانا وسيدنا الإمام أمير المؤمنين - عليه السلام - ولا عن أبنائه الأئمة الأطهار ، وغير وارد فى شئ من كتب شيعتهم الأبرار.

1- 1. تاريخ بغداد 1 : 280 ، وفيات الأعيان 3 : 326 ، وقد ذكر ابن شامة القصة فى المرشد الوجيز : 187 وكأنه يستنكر ما قوبل به الرجل ..!!.

خلاصة البحث :

ويتلخص البحث فى هذه الناحية فى النقاط التالية :

1 – إن من أخبار نقصان القرآن ما لا اعتبار به سندا فهو خارج عن البحث.

2 – إن الآثار الواردة فى هذا الباب بسند صحيح أخبار آحاد والخبر الواحد لا يثبت به القرآن.

3 – إن بعض هذه الآثار الصحيحة سندا صالح للحمل على التفسير وبيان شأن النزول ونحو ذلک ، فلا داعى لإبطاله.

4 – إن حمل ما لا يقبل الحمل على بعض الوجوه المذكورة على نسخ التلاوة ساقط ، للوجوه الأربعة المذكورة ، والتى منها : أن القول بنسخ التلاوة هو القول بالتحريف ، بل أقبح منه.

5 – إن إنكار ابن مسعود الفاتحة والمعوذتين خطأ وضلالة منه ، وتكذيب الخبر الحاكى لذلک باطل ، كما أن تأويل فعله ساقط.

6 – إن ما سمى ب «سورتى الحفد والخلع» ليس من القرآن قطعا وإن رواه القوم عن جمع من الصحابة من غير أهل البيت – عليهم السلام – ، قال العلامة الحلى : «روى غير واحد من الصحابة سورتين ... فقال عثمان : اجعلوهما فى القنوت ولم يثبتهما فى المصحف ، وكان عمر يقنت بذلک ، ولم ينقل ذلک من طريق أهل البيت ، فلو قنت بذلک جاز لاشتمالهما على الدعاء» (1).

7 – إن ضرب ابن شنبوذ وقع فى غير محله – كمصادرة كتاب «الفرقان» – من حيث أن الذنب للصحابة ورواة الآثار الواردة عنهم أو الموضوعة عليهم حول الآيات.

1– 1. تذكرة الفقهاء 1 : 128.

ثم رأينا الحافظ ابن الجزرى يلمح إلى ما استنتجناه حيث ترجم لابن شنبوذ وشرح محنته وذكر أنها كانت كيدا من معاصره ابن مجاهد الذى كان يحسده وينافسه ، وإلا فإن الإقراء بما خالف الرسم ليس مما يستوجب ذلك ، بل نقل عن الحافظ الذهبى ذهاب بعض العلماء قديما وحديثا إلى جوازه .. قال ابن الجزرى : «وكان قد وقع بينه وبين أبى بكر بن مجاهد على عادة الأقران ، حتى كان ابن شنبوذ لا يقرئ من يقرأ على ابن مجاهد وكان يقول : هذا العطشى - يعنى ابن مجاهد - لم تغبر قدماه فى هذا العلم ، ثم إنه كان يرى جواز القراءة بالشاذ وهو ما خالف رسم المصحف الإمام ، قال الذهبى الحافظ : مع أن الخلاف فى جواز ذلك معروف بين العلماء قديما وحديثا. قال : وما رأينا أحدا أنكر الإقراء بمثل قراءة يعقوب وأبى جعفر ، وإنما أنكر من أنكر القراءة بما ليس بين الدفتين. والرجل كان ثقة فى نفسه صالحا دينا متبحرا فى هذا الشأن ، لكنه كان يحط على ابن مجاهد ...» (1).

8 - إن ما لا يقبل الحمل على بعض الوجوه يجب رده ورفضه ، فإن أذعن القوم بكونه مختلقا مدسوسا فى الصحاح سقطت كتبهم الصحاح عن الاعتبار وإلا توجه الرد والتكذيب إلى الصحابى المروى عنه كما هو الحال بالنسبة إلى ابن مسعود فى قضية الفاتحة والمعوذتين وهو قول سيدنا أبى عبد الله - عليه السلام - : «أخطأ ابن مسعود - أو قال : كذب ابن مسعود - وهما من القرآن ...» (2).

وهكذا يظهر أن القول بعدالة الصحابة أجمعين ، والقول بصحة أحاديث الصحاح - وخاصة الصحيحين - مشهور أن لا أصل لهما. وسيأتى مزيد بيان لذلك - فى الفصل الخامس والأخير - إن شاء الله تعالى.

للبحث صلة ...

1- 1. غاية النهاية فى طبقات القراء 2 : 52.

2- 2. وسائل الشيعة 4 : 786.

من التراث الأدبى المنسى فى الأحساء

الشيخ كاظم الصحاف

الشيخ جعفر الهلالى

الشيخ كاظم بن الشيخ على بن الشيخ محمد بن الشيخ حسين الصحاف الأحسائى ، وهو شاعر آخر من شعراء الأحساء المنسيين.

ولادته :

ولد الشاعر المذكور فى الكويت سنة 1313 ه (1).

نشأته ودراسته :

نشأ المترجم له فى الكويت على يد أخيه الشيخ حسين الذى مر ذكره فى الحلقة السابقة المنشورة فى العدد السابق من نشرة «تراثنا» ويظهر أن أباه توفى وهو صغير ، فكان ملازما لأخيه الشيخ حسين ، وقد سافر به أخوه إلى النجف الأشرف ، وكان أول تحصيله على يد أخيه ، وبعد وفاة أخيه انقطع إلى الدرس والتحصيل على يد جماعة من العلماء منهم الشيخ سلمان السلمان الأحسائى ، فقد أخذ عنه المنطق والمعانى والبيان ومعالم الأصول ، كما أنه أخذ بعض دروسه فى

الشيخ جعفر الهلالى

ص: 153

---

1 - 1. ذكر السيد هاشم الشخص فى كتابه عن علماء وأدباء الأحساء ، أن المترجم له ولد سنة 1312 ه ، وعلى ما أتذكر أن ما أثبته من تاريخ ولادته كنت قد أخذته من المترجم له عند التقائى به فى الأحساء.

الفقه على يـد السـيد محمـد بن السـيد حسن الصـافى ، كما درس أيضا على يـد الشـيخ منصور المرهون القطيفى ، وحضـر دروس حجة الإسلام والمسلمين السيد ناصر الأحسائى فى الفقه ، ودرس الحكمة على يد الميرزا موسى الحائرى.

وجـاء فى كتـاب «نفائس الأثر» (1) عن كتـاب «تـذكرة الأشـراف فى آل الصـحاف» عن المـترجم له نفسه ، أنه بعـد أن ارتقى فى معـارفه وتحصـيله العلمى اعتمـد عليه الميرزا موسـى الحائرى فأرسـله إلى مدينـة سوق الشـيوخ فى العراق ليقوم هناك بالأمور الشـرعية والحقوق الحسبية ، فمكث هناك مدة ثم عاد إلى الكويت - مسـقط رأسه - وقام بصـلاة الجماعة فى مسـجد الصـحاف بأمر الميرزا موسى الحائرى وولده الميرزا على ، لكنه لم يقم فيها طويلا - أيضا - فغادرها إلى الأحساء بلد آبائه ومحط أغلب أسرته وموطنه الأصلى ، ونزل بعد وصوله إليها فى ضـيافة حجة الإسـلام والمسـلمين الشيخ موسى أبو خميس أحد أكبر علماء الأحساء آنذاك ، وقد درس أيضا على يده بعض علوم الحكمة ، كما سعى الشيخ أبو خميس فى زواج المترجم له فتزوج هناك واستقرت به الحال فى الهفوف عاصمة الأحساء.

وكان بالإضافة إلى فضـيلته العلمية خطيبا حسـينيا مارس الخطابة حتى آخر حياته ، وينقل عن المترجم له أن لديه وكالة فى الأمور الشرعية والحسبية من الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، كما أن له وكالة فى الموضوع نفسه من الشيخ حبيب آل قرين الأحسائى (2) نزيل البصرة.

أدبه وشعره :

زاول المترجم له نظم الشـعر وكان مكثرا فيه وشـعره بين الجيد والمتوسط ، وبدأ يضـعف فى آخر حياته ، وقد ساهم فى كثير من المناسبات الدينية فمدح بعض

1- 1. نفائس الأثر ... للسـيد هاشم الشخص - آنف الذكر - ترجم فيه لمجموعة كبيرة من علماء وأدباء الأحساء ، وهو لا يزال قيد التأليف ، وسبق أن تحدثنا عنه فى إحدى الحلقات السابقة.

2- (3) الشـيخ حبيب آل قرين ، كان أحد المراجع الأعلام فى التقليد ، سـكن البصرة فى منطقة «گردلان» عبر نهر شط العرب ، وكان من الأتقياء وقد اعترف له بالمنزلة العلمية الإمام الراحل كاشف الغطاء

علماء عصره ، ونظم فى العقائد والردود وغالبية شعره فى أهل البيت عليهم السلام.

آثاره :

خلف المترجم له مجموعة من الآثار الأدبية والعلمية ، لا تزال كلها مخطوطة ويخشى عليها من الضياع والتلف ، وهى كالآتى :

1 – روضة الرحمن فى أحاديث رمضان.

2 – البيان فى أحوال بدء الإنسان.

3 – النمط الأوسط والحجة على من فرط أو أفرط ، وهو كتاب يشتمل على الأصول الخمسة.

4 – السبيكة الذهبية فى معرفة مذهب الجعفرية.

5 – الجوهرة البديعة ، فى معرفة أصل الشيعة وأصولها ، أقام فيها الأدلة العقلية والنقلية من كتب علماء أهل السنة.

6 – لوح الفوائد ونور المقاصد ، يحتوى على أسرار علمية وفوائد بدنية.

7 – الحق والصواب بين السؤال والجواب ، فى الأصول الخمسة.

8 – الفصول فى الأصول ، منظومة شعرية تبحث فى الأصول الخمسة أيضا ، موجودة عندنا ، وهى مما سننشره هنا من شعر المترجم له.

9 – الدليل الحاسم على فتح الطلاسم ، وهى قصيدة رد بها الشاعر على قصيدة إيليا أبى ماضى ، قرأ على الشاعر بعض فصولها عند زيارتى له فى مدينة الأحساء ، وهى قصيدة رائعة مشبعة بالأدلة التى نقض بها أوهام أبى ماضى ، ولكن للأسف الشديد لم يتيسر لى فى تلك الفترة نسخها ، وقد توفى الشاعر بعد فترة ونرجو أن نوفق للحصول عليها من بعض ورثته ، ويخشى عليها من الضياع.

====

عند زيارته – أى كاشف الغطاء – للبصرة ونزل دار أحد علمائها ، وقد زاره الشيخ حبيب ، فعند خروجهم من الدار قدمه كاشف الغطاء فأبى ، فقال له كاشف الغطاء – قدس سره – : تقدم فلو قدموا حظهم قدموك. سمعت هذا من والدى الشيخ عبد الحميد الهلالى – رحمه الله –.

10 – الدر الثمين فى مدح النبى وآله الطاهرين – صلوات الله وسلامه عليهم – ، وهو ديوان شعر.

11 – اللؤلؤ المنثور فى مآتم عاشور ، وهو ديوان شعر – أيضا – فيه لكل يوم من محرم قصيدة مناسبة إلى ليلة الحادى عشر.

12 – العقد الأزهر فى قصائد صفر ، وهو ديوان شعر – أيضا – يحتوى على قصائد حسينية فى أحداث الكوفة والشام والرجوع إلى المدينة.

وفاته :

كانت وفاة الشاعر فى الكويت – مسقط رأسه – وذلک فى 10 شعبان سنة 1399 ه ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ، تغمده الله برحمته.

وهذه نماذج من شعره نعرضها هنا بين يدى القارئ الكريم ، فمن ذلک هذه القصيدة التى قالها فى مدح الإمام أمير المؤمنين – عليه السلام – جارى فيها القصيدة الكوثرية للسيد رضا الهندى :

أسناء الفجر لنا أسفر

بجبينک أم بدر أزهر

وثنايا الثغر تلوح لنا

أم ذاک البرق أم الجوهر

ما البدر جمالک إذ يبدو

ما السيف لحاظک ما الجؤذر

يا ريم الحى وأخت البدر

ونور الصبح إذا أسفر

(5) رقى لفتى صب أرق

لک طول الليل غدا يسهر

وله عيدى وعدى وصلى

فالفضل بدا لمن استأثر

فإلى م فؤادک لا يحنو

يا أخت البدر متى نسهر

إن كان بدا منى ذنب

فبمدح أبى حسن يغفر

كنز الأعمال سنى الإجلال

وساقى الخلق من الكوثر

(10) قطب المحراب أبو الأطياب

وليث الغاب متى قد كر

أفنى الأبطال بصارمه

ولمرحب جندل فى خيبر

ص: 156

وبواحدة أردى عمرا

فغدت فى الدهر له تذكر

قسما بخلافته العليا

وبغامض باطنه الأنور

لولاه الدين لما ارتفعت

منه الأركان ولم تشهر

فمراشده وفوائده

ومآثره عنه تؤثر (1)

ملك عدل وصل فصل

علم حكم فيما قدر

أولاه الله الملك وما

قد شاد به فله عمر

أو يعجزه الفلك الأعلى

وبإذن الله له سير

يا من أنكرت له فضلا

فالشمس هنالك لا تنكر

فلئن ماثلت به أحدا

ما الرمل يماثل بالجوهر (20)

فإلى مولاى أبى حسن

نعم فى الكون فلا تحصر

هى روح جنانى فى الدنيا

ونعيم جنانى فى المحشر

وبه نفسى أمنت ونجت

فى الحشر من الفزع الأكبر

وبزعم القاصر أنى قد

أطنبت بفضلک يا حيدر

فاقبل يا قدوة أعمالى

ما استيسر من مدح الأحقر (4) (25)

وقال مخمسا بيتى المتنبى فى مدح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

لله نور المرتضى علم الهدى

بدر تبلج بالضياء مدى المدى

رمت الحدود فلم أجده محددا

(وتركت مدحى للوصى تعمدا

إذ كان نورا مستطيلا شاملا)

ناء عن الادراک جوهر قدسه

إذ كان متصفا بأحمد جنسه

زيت يكاد يضىء قبل ممسه

(وإذا استطال الشئ قام بنفسه

وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا)

1- 1. نظم الشاعر هذه القصيدة فى النجف الأشرف وألقاها فى مسجد الخضراء بمناسبة عيد الغدير سنة 1388 ه.

وقال فى رثاء الإمام الحسين – عليه السلام – :

أى خطب دک السما والجبالا

وبه الأرض زلزلت زلزالا

أى شهر أبكى السماء دماء

ودهى العرش حزنه واستمالا

أى عام قد جدد الحزن دأبا

وعلينا قد هيج الإعوالا

أى يوم أبكى النبيين قدما

وبكته من قبلنا أجيالا

(5) هو يوم الحسين أعظم يوم

قد أرانا بحزنه الأهوالا

أترانا ننسى الحسين فريدا

أم ترانا ننسى به الأبطالا

أم ترانا ننسى الأحبة جمعا

يوم فيه سروا هلالا هلالا

أم ترانا ننسى الشباب عليا

من حكى المصطفى النبى خصالا

أم ترانا ننسى زعيم المعالى

قمر الحق يوم بالسيف صالا

(10) أم ترانا ننسى الرضيع بسهم

ذبحوه وما سقوه الزلالا

أم ترانا ننسى الرضيع بسهم

ذبحوه وما سقوه الزلالا

أم ترانا ننسى النساء بسبى

أم ترانا ننسى النياق الهزالا

إن يوم الحسين ما زال غضا

بالأسى راح يغمر الأجيالا

قد عقدنا له المآتم ليلا

ونهارا مدى الزمان وصالا

(15) ورأينا البكا عليه لزاما

فاتخذناه سنة وامتثالا

قد بكاه الرسول والآل جمعا

وبكته الأصحاب حالا فحالا

وبكته الزهراء فى كل وقت

ونعته كرامة وجلالا

وبكته الأجيال عاما فعاما

بدموع تحكى السحاب انهمالا

وهذا نموذج آخر من شعره ، وهى قصيدة ذات فصول نظمها فى أصول الاعتقاد الخمسة ، قال :

الفصل الأول فى التوحيد :

يثبت العقل من طريق منير

ليس يخفى على النبيه البصير

أن للخلق والعوالم ربا

خالقا ما له بها من نظير

ص: 158

واجبا واحدا سميعا بصيرا

حاكما عالما بما فى الضمير

فاعترفنا به ولسنا نراه

أنه خالق بغير مشير

حيث أنا إذا وجدنا ضياء

دل معنى على وجود المنير (5)

أو رأينا فى البيد أقدام سير

دل عقلا على وجود المسير

أو وجدنا بها عقال بعير

دل عقلا على وجود البعير

فسماء أبراجها بارتفاع

تجرى فيها محاكم التدبير

وأراض فجاجها بانخفاض

ما تدل على اللطيف الخبير؟!

* * *

إن رب السما إله قديم

وهو فرد لم يحوه التقسيم (10)

لو فرضنا : مع الإله شريكا

حادد الله مذ أتى التحكيم

لرأينا الخلاف فى الكون باد

بين حكميهما ولا يستقيم

ولجاءت رسل الشريک إلينا

مثلما جاءنا رسول حكيم

فوجودا مع الشريک تعالى

بل وذهنا لم يحوه التوهيم

لا تصفه بجوهر لا ضياء

لا بجسم جل الإله القديم (15)

لا بكم ولا بأنى وكيف

لا كشئ جل الإله العظيم

ما حوته أرض ولا فى سماها

لا ولا فوق عرشها مستقيم

لو أجزنا عليه من ذاک شيئا

جاز عقلا فى ذاته التجسيم

وإذا شئت أن توحد ربا

مخلصا يستطاب منه النعيم

فقل الله ما له من مثيل

وتعالى وهو السميع العليم (20)

* * *

هلک المدعى وضل وأهلک

أن كنه الإله بالعقل يدرک

أين حد العقول عن درک ذات

قد تجلت عن الحدود بلا شک

أين أفلاطها وأين ابن سينا

وأرسطو وما لهم فيه مدرک

كلما أفتكوا العقول بمعنى

رجعت عن جلالة الذات تفتک

ص: 159

(25) حاولوا نعتها بدقة فكر

لينالوا بها طريقا ومسلك

فتجلت عن المنال وعزت

عن دنو لهم به كان تمسك

كلما حاولوا الوصول بعزم

قذفتهم إلى الرسوم بمهلك

قسما فى جلاله مذ تجلى

وبملك بدا له ليس يملك

لم يحيطوا به على أى علم

خاب من كان يدعيه ويؤفك

(30) سيد المرسلين مذ حار فيه

قال : زدنى فلست أعرف كنهك

أين عيسى المسيح أم أين موسى

عن جلال لقدسه ليس يدرك

خر موسى لنوره مذ تجلى

وذرى الطور من سناه تدكدك

الفصل الثانى فى العدل :

إن صنع الإله فى الثقلين

كان عدلا فى عالم النشأتين

حيث أن الإله لم يبد شيئا

دون علم مذ أوجد الكونين

(35) فبطور الحكمين عقلا وشرعا

كان عدلا مذ أوجد الحكمين

وأمد الأنام منه بلطف

قبل خلق السماء فى يومين

وأقات الأوقات لا لاحتياج

باقتدار والنفع للعالمين

فلهذا بذاته كان عدلا

وبفعل العباد فى الخافقين

ومن العدل أنه باقتدار

مدهم بالقوى على قدرتين

(40) وهداهم بفضله من قديم

بعقول تهدى إلى النجدين

إن يشأ ذا عصوا بغير اضطرار

أو يشأ ذا اهتدوا إلى الحسنيين

ليس جبرا وليس تفويض لكن

هو أمر فى أوسط الأمرين

فهولا يظلم العبيد بشئ

جل ربى عن ذاک فى العالمين

الفصل الثالث فى النبوة :

ومذ الله كان قدما عليما

أبدع الصنع محكما مستقيما

(45) حيث أن القبيح يصدر جهلا

من جهول وكان فيه ...

كيف أن الحكيم يفعل شيئا

فيه قبح وكان فيه حكما

ص: 160

فهو سبحانه على الناس يبدى

كل فضل والفضل كان جسيما

خلق الخلق لا لأجل احتياج

بل لكى يعبدوه ربا قديما

فاقتضت حكمة الإله نبيا

عالما عاملا زكيا حليما

زاهدا صادقا تقيا أمينا

طاهرا آمرا سخيا كريما (50)

ومن الدهر قد تعدد وقتا

والتكاليف تقتضى التحكيما

بعث الله رسله كل وقت

كان تكليف خلقه مستديما

كان منهم روحا وكان خليلا

وذبيحا وكان موسى كليما

لم تزل فيهم النبوة حتى

سلموها لأحمد تسليما

فادعاها روحى فداه بوقت

ليس إلا يرى شقيا أثيما (55)

صدق الله مذ دعاه فأضحى

بالبراهين نيرا مستقيما

معجزات أبانها الله حتى

بلغته المنى وملكا عظيما

أعظم المعجزات خير كتاب

مذ به جاء نا فكان قويما

الفصل الرابع فى الإمامة :

كل ما مر من ثبوت الدليل

واضحا فى وجوب نصب الرسول

فهو أيضا نص لنصب وصى

عنه يهدى إلى سواء السبيل (60)

حكم العقل فى وجود وصى

بعد موت الرسول من دون قيل

ليتم النظام آنا فآنا

ويقيم الأحكام بالتفصيل

فهو لطف مثل النبوة حكما

واجب نصبه بلا تعطيل

وبه لا يقوم إلا شريف

ماجد قد سما بمجد أثيل

وصفات الرسول تثبت فيه

إذ له ما له بنص الدليل (65)

غير وحى يختص فيه رسول

وكذا فضله لدى التفضيل

فإذا كان هكذا ما لقوم

نصبه بالخيار بعد الرسول

قل لمن رام نصبه باختيار :

خضت جهلا فى ظلمة التضليل

* * *

ص: 161

الفصل الخامس فى المعاد :

إن ترم نظرة بحكم اعتقادى

فى معاد الأرواح للأجساد

(1) فاستمع ما أقول إن كنت شهما

لتراه على الهدى والسداد

هو أن الإله مذ كان عدلا

قبل إيجاد علة الإيجاد

خلق الخلق لا لأجل احتياج

بل لكى يعبدوه فى كل نادى

فأحب الإله فى الحشر يبدى

نفع ذاك التكليف بين العباد

ليريهم سبحانه العدل حتى

يعلموا أن ذاك عين الرشاد

(75) فهو حتما يعيدهم بعد موت

عين تلك الأجساد يوم المعاد

لكن المسلمون قالوا تصفى

من كثافاتها بغير عناد

قل لمن يدعى المعاد بروح :

ليس هذا من مذهبى واعتقادى

إنما مذهبى بأن إلهى

سيعيد الأرواح للأجساد

ففريق سعى لجنة عدن

وفريق هوى إلى شر وادى

* * *

(80) إن هذا دينى وهذى أصولى

در رقد نظمتها بفصول

أخرجتها نفسى بدقة فكر

من بحار المعقول والمنقول

بسماها طرزتها زاهرات

كنجوم لكن بغير أفول (5)

وإلى هنا ينتهى بنا الحديث عن الشاعر فى هذه الحلقة ، ولنا عودة مع القراء فى ذكر شاعر آخر إن شاء الله تعالى.

* * *

ص: 162

1- 1. نقلنا هذه المنظومة الشعرية فى الأصول الاعتقادية للشاعر من مجموعة الوالد الشيخ عبد الحميد الهلالى - رحمه الله -.

من ذخائر التراث

ص: 163

رسالة

«نقض فتاوى الوهابية»

للإمام الشيخ كاشف الغطاء

السيد غياث طعمة

على أعتاب الذكرى

منذ أن روى الإسلام رمال الجزيرة بدماء الأبرار ، فاخضرت أزهاره ونشر أريجه ، وطمح أن يزيح كابوس الظلام والظلم عن صدر العالم ، كانت جحافل الشر والكفر والنفاق تحاول قلع ما يغرسه الإسلام ، وتقف سدا أمام مد النور الساطع ، لأنه إن انتشر ماتت ، وما برحت تكيد الدسائس لمحو الإسلام ، وإلا فلتحجيمه على أضعف الآمال ...

وبالفعل عصفت بالأمة الإسلامية عواصف هوجاء ، كل عاصفة تحمل لونا وطريقة ، لكنها تلتقى فى هدف القضاء على الإسلام ...

وإذا كانت تلك النكبات قد جرت على أيدى أناس انتحلوا الإسلام وتولوا زمامه وهم يطعنونه صباح مساء ، فلا غرو أن يشهر الغرب والشرق سلاحه ويعلن عداءه وهدفه بعد أن مهد أدعياء الإسلام له ذلك.

وبالفعل فقد شمر عن الساعد ووضع كل إمكاناته فى سبيل خدمة هدفه الأصلى ... القضاء على الإسلام العزيز ... ولأجل تحاشى الاصطدام ما أمكن بدأ بزرع جراثيمه فى الأصقاع الإسلامية ، وكلما كان البلد أكثر عراقة وأشد التزاما بتعاليم دينه كان لا بد أن تكون الشجرة الملعونة الحاكمة فى ذلك البلد أشد سما

تحقيق : السيّد غياث طعمة

ص: 165

وأكثر انزلاقا فى بحر الرذيلة ، وعالمنا المعاصر أنموذج حى لذلك ، ففى فلسطين تبذر إسرائيل ، وفى مصر لا بد أن يحكم السادات وأضرابه ليمر يـد الذل ويمسح بها على يد تلطخت بدماء المسـلمين الأبرار وليجرى أجل كلام ... كلام الله ... على أفحش لسان ويدعى الاسـتناد إلى القرآن فى عمله ... وفى العراق وو ...

ولما كانت أرض الحجاز تضم أقدس مقدسات المسـلمين ... بيت الله وحرمه الآمن وحرم رسوله – صلى الله عليه وآله – ... كان لا بد أن يكون الخنجر أمضـى من غيره ... وهكـذا كان حيث ترعرعت الوهابية فى رحم الكفر وولدت وتربت فى أحضانه ، لتكون كما يريد وتطبق ما يأمر ، وتقاتل رسول الله – صلى الله عليه وآله – باسم دين الله إرضاء لربها الانگلو أمريكى ، ولتفترى ما يحلو لها على الله ورسوله وتفتى على أصول الملكة التى البست خادم الحريم! لا الحرم الصليب وهو يبتسم ولا يستطيع إخفاء فرحه بهذا الوسام ...

قد يكون ما حدث بالأمس بعيدا حينما يكون الحدث ميتا ... ولكنه حين يرتبط بالمقدسات يبقى حيا ما حيى الضمير فى المجتمع المسلم وتبقى كل لحظات الحدث شاخصة أمام الأعين والقلوب.

أجـل ... نحن على أبواب الـذكرى السـنوية الأـولى لمجزرة البيت الحرام ... البيت الـذى يـأمن فيه النمـل والجراد ... يأمن فيه القاتل من القصاص حتى يخرج منه ، ويتعرض حجاج بيت الله إلى مجزرة لم يشهد التاريخ لها نظيرا حتى أيام الجاهلية الأولى! ولا فى جاهلية القرن العشرين ...!!

أخـذوا وقتلوا تقتيلاـ ، لا لـذنب جنوه ، إلا أنهم كبروا وهللوا وتبرؤوا من أعـداء الله كما أمر الله وتطبيقا لشـريعة الله ... لكن أمن الإسـلام وخلافة الله قتل زوار الله وهم على مائدة الله وفى ضيافته؟!

كيف يعرف الإسلام من ليس بمسلم؟

هل الوهابيون مسـلمون؟! فأى إسـلام يأمر أن تبقى لحوم الأضاحى طعمـة لحرارة الشـمس حتى تتفسخ ... وملايين البشـر من المسـلمين وغيرهم عيدهم أن

يشبعوا من رائحة الطعام فضلا عن تناوله ...؟!

هـل هم مسـلمون ... وهم يهينون رسول الله – صـلى الله عليه وآله – حينما يعتبر زعيمهم عصاه أفضل من النبى – صـلى الله عليه وآله – وهو ولى كل مؤمن ومؤمنة ..؟!

أهم يخدمون البيت ويطهرونه .. وهم قد نجسوه بكل منكر استطاعوا فعله ..؟!

وأى شئ فيهم يمت إلى الإسلام بصلة ولو كخيط بيت العنكبوت .. فكرهم .. أخلاقهم .. معاملتهم .. عدلهم .. أم ماذا ..؟!

أجل ، تمر الأيام لتكمل سـنة على المجزرة ، لكنها سـنة فى حساب الزمن وهى لحظات فى حساب الوجدان والضمير لأنها ماثلة ما صعد نفس ونزل وما غمضت عين وفتحت ...

لقد تصدى الكثير من العلماء الأبرار للرد على هذه الفرقة الضالة وبدعها ، وألفت فى ذلك المؤلفات مثل : كشف الارتياب فى أتباع محمد بن عبد الوهاب ، فتنة الوهابية ، هكذا رأيت الوهابيين ، وغيرها ، ومن جملة من ألف الشـيخ كاشف الغطاء – طاب ثراه – حيث كتب رسالة «نقض فتاوى الوهابية».

* * *

ص: 167

رسالة

نقض فتاوى الوهابية

وهى رسالـة من خمس – أو أربع رسائـل – جمعت فى كتاب «الآيات البينات فى قمع البـدع والضـلالات» من تأليف علم من أعلام هـذا القرن ، غطت سمعته الأرجاء ، وأقر بفضله العلماء ، ألا وهو الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء – طاب ثراه –.

اسمه ونسبه :

هو الشـيخ محمد حسـين بن شـيخ العراقين على بن الحجة الشـيخ محمد رضا ابن المصلح بين الدولتين موسى بن الشيخ الأكبر جعفر بن العلامة الشيخ خضر ابن يحيى بن سيف الدين المالكى الجناجى النجفى.

ولادته ونشأته :

ولد فى النجف الأشرف سنة 1294 ه ، ونشأ فى بيت جليل عرف بالعلم وربى العلماء ، شـرع بـدروسه حين بلغ العاشـرة من عمره ، وأنهى دراسة سـطوح الفقه والأصول وهو بعد شاب ، ثم بدأ الحضور فى دروس أكابر العلماء كالشيخ محمد كاظم الخراسانى والسيد اليزدى وآغا رضا الهمدانى وأضـرابهم ، ولازمهم سنين طوالا حتى برز بين أقرانه وحظى باحترام واهتمام أساتذته ، ودرس الفلسفة على يد الميرزا محمد باقر الأصـطهباناتى والشـيخ أحمد الشـيرازى وغيرهما من الفحول ، ولما لمع نجمه ونبغ شـرع فى التدريس فى مسـجد الهندى وكان درسه يضم من الفضلاء ما يربو على المائة.

* * *

رحلاته ونشاطاته :

ومن السمات المميزة لحياة الشيخ كاشف الغطاء – قدس سره – رحلاته المتعددة واستثمارها ، ونشاطاته المتنوعة ، خصوصا فى نشر صوت مذهب الإمامية والدعوة إلى وحدة الكلمة بين المذاهب الإسلامية عموما من خلال النقاش الموضوعى ، فعندما طبع الجزء الأول من كتابه «الدين والإسلام» وهم بأن يطبع الثانى إذا بالسلطة تأمر بمهاجمته ومنعه من الطبع ، فسافر إلى الحج ، ومنه إلى الشام فبيروت وطبع الجزءين بصيدا ، واتصل بكبار العلماء ورجالات الفكر وجرت عدة محاورات ومراسلات معهم من جملتها محاوراته مع فيلسوف الفريكة أمين الريحانى ، وناقش ضمن هذه المحاورات جرجى زيدان حول مؤلفه «تاريخ آداب اللغة العربية» وأظهر الكثير من شطحاته ، وناقش كذلك الشيخ يوسف الدجوى أحد مدرسى الجامع الأزهر ، والشيخ جمال الدين القاسمى عالم دمشق حينها ، ونشر خلال هذه السفرة عدة مؤلفات له ، ونشر عدة كتب لعدة مؤلفين وأشرف على تصحيحها والتعليق عليها ، وقضى ثلاث سنوات فى سوريا ولبنان ومصر.

ووافق عودته إلى العراق سنة 1332 نشوب الحرب العالمية الأولى فقضى سنيها فى سوح الجهاد بصحبة السيد محمد – ولد أستاذه السيد اليزدى – ورجع إلى النجف الأشرف عند انتهائها ، وفى سنة 1338 رجع فى التقليد إلى المترجم له خلق كثير.

وفى سنة 1350 انعقد المؤتمر الإسلامى العام فى القدس الشريف ، ودعى من قبل لجنة المؤتمر مرارا فأجاب الدعوة ، وألقى فى المؤتمر خطبة ارتجالية ظهر فيها فضله وعظمته ، فقدمه العلماء وائتموا به فى الصلاة ، وفى عام 1352 زار إيران وبقى فيها حدود ثمانية أشهر داعيا الناس إلى التمسك بمبادئ الدين الحنيف ، وفى سنة 1371 حضر المؤتمر الإسلامى فى كراچى.

* * *

مؤلفاته :

إضافة إلى المقالات النفيسة والقصائد البديعة التى نشرت فى أمهات الكتب ، فقد ترک المؤلف آثارا جليلة نذكر ما وقفنا عليه :

1 – الآيات البينات فى قمع البدع والضلالات.

2 – أصل الشيعة وأصولها.

3 – الفردوس الأعلى.

4 – الأرض والتربة الحسينية.

5 – العبقات العنبرية فى الطبقات الجعفرية (مخطوط).

6 – تحرير المجلة.

7 – المثل العليا فى الإسلام لا فى بحمدون.

8 – شرح على العروة ، كتبه فى حياة أستاذه (مخطوط).

9 – الدين والإسلام ، أو الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية (أربعة أجزاء طبع منها اثنان).

10 – نزهة السمر ونهزة السفر (مخطوط).

11 – المراجعات الريحانية ، الموسوم بالمطالعات والمراجعات أو النقود والردود.

12 – وجيزة الأحكام.

13 – السؤال والجواب.

(14) زاد المقلدين (فارسى).

(15) حاشية التبصرة.

16 – حاشية العروة الوثقى.

(17) تعليقة على سفينة النجاة.

(18) مناسک الحج.

19 – تعليقة على عين الحياة.

20 – حاشية على مجمع الوسائل (فارسى).

21 – التوضيح فى بيان حال الإنجيل والمسيح.

22 – عين الميزان ، فى الجرح والتعديل.

23 – محاورة مع السفيرين.

24 – ملخص الأغانى (مخطوط).

25 – رحلة إلى سورية ومصر (مخطوط).

26 – ديوان شعر (مخطوط).

27 – جنة المأوى.

وغيرها كثير.

وفاته ومدفنه :

دبت فى بدن الشيخ الجليل كاشف الغطاء أواخر أيامه عدة أسقام ، لكنه لم يتوان لحظة ولم يأل جهدا فى سبيل خدمة الدين والمسلمين ، ولما اشتد عليه مرضه سافر إلى بغداد ورقد فى المستشفى شهرا فاقترح عليه البعض الذهاب إلى (كرند) لطلب الصحة ، فقصدها فى 15 ذى القعدة سنة 1373 لكن الأجل لم يمهله ، فوافاه يوم الاثنين 18 ذى القعدة 1373 ه بعد صلاة الفجر فنقل جثمانه الشريف إلى النجف ودفن فى مقبرته الخاصة التى أعدها سلفا فى وادى السلام وبذلک ودع الإسلام أحد أفذاذه وثلم به ثلمة عظيمة (1).

وإليک – أخى المسلم – الرسالة كاملة ...

---

1 – 1. لمزيد الاطلاع على ترجمته أنظر : الدليل العراقى الرسمى لسنة 1936 ، الموسوعة العربية ، المكتبة البلدية ، فهرس التوحيد ، المنجد ، نقباء البشر ، الأعلام للزركلى ، معجم المؤلفين ، مقدمة الفردوس الأعلى ، مقدمة جنة المأوى ، المثل العليا فى الإسلام لا فى بحمدون ، أصل الشيعة وأصولها ، مجلة «الأديب» عدد 12 سنة 13 ، صوت البحرين / ذى القعدة – ذى الحجة 1373 ، العرفان 36 و 43 وآب / 54 ، المعارف عدد 2 سنة 1 ، المقتبس / عبد الفتاح العسكرى 7 : 776 – 778 و 8 : 212 – 213.

بسم الله الرحمن الرحيم

(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئک يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.)

رسالة

نقض فتاوى الوهابية

ورد كلية مذهبهم

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن الناس من يعجبک قوله فى الحياة الـدنيا ويشـهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سـعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلک الحرث والنسل والله لا يحب الفساد. وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد.

وحى معجز

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما ألقاه علينا أسـتاذنا الأكبر ، وشـيخنا الأعظم ، حجة الإسـلام ، آية الله فى الأنام ، علامة الدهر ، مولانا الشـيخ محمد حسـين دامت بركاته فى شأن الوهابيـة ، واسـتفتاء علماء المدينة المتضـمن تهديم القبور وغير ذلک فى عدة مجالس ضـممنا بعضـها إلى بعض وجلوناها مجموعة عليک.

قال دامت أيام إفاداته : وقفنا من جريدة العراق فى العدد الموافق منها 13 ذى القعدة سنة 1344 على سؤال قاضى قضاة الوهابيين ابن بليهد مسـتفتيا علماء المدينـة عن البناء على القبور ، واتخاذها مساجد ، وإيقاد السـرج عليها وما يفعل عند الضـرائح ، من التمسح والتقرب إليها بالذبائح والنذور ، وتقبيلها وعن التكبير والترحيم والتسليم فى أوقات مخصوصة ...

هذا ملخص السؤال وكان الجواب من علماء المدينة بالمنع مطلقا ووجوب الهدم ، مستدلين على المنع فى بعضها ، ومرسلين الفتوى بغير دليل فى الباقى.

وقد رغب إلينا الكثير من الأعلام والأفاضل فى إبداء ملاحظتنا على تلك الفتوى ، ووضعها فى معيار الاختبار وميزان الصحة والسقم ، وعرضها على محك النقد ، ومطرقة القبول أو الرد ، إيضاحا للحقيقة وطلبا للصواب ، كى لا تعرض الأوهام والشكوك وتعلق الشبهة بأذهان البسطاء من المسلمين ، فإن البلية عامة ، والمصيبة شاملة ، والرزية على الجميع عظيمة ، وعليه فنذكر نص الفتوى جملة جملة حسبما ذكر فى تلك الجريدة ، ثم نعقب كل جملة منها بما يحق لها من البيان ، وبالله المستعان.

قالوا فى الجواب : أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعا لصحة الأحاديث الواردة فى منعه ، وبهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه ، مستندين على ذلك بحديث على - رضى الله عنه - أنه قال لابن الهياج : «ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله - صلى الله عليه وآله - ألا أدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته» (1) رواه مسلم. انتهى.

فتراهم قد تمسكوا تارة بالإجماع ، وأخرى بالحديث ، أو بالإجماع المستند إلى الحديث.

أما دعوى الاجماع فهى مدحوضة مرفوضة ولكن لا تتسع أعمدة الصحف والمجلات لنقل كلمات العلماء فى جوازه ، بل رجحانه ، وفساد توهم الاجماع وبطلانه من أول الإسلام وإلى هذه الأيام ، وأى حاجة بك إلى أن أسرد لك أو أملى عليك ما يوجب الملل (قال فلان وقال فلان) ، وهذا عمل المسلمين وسيرتهم القطعية فى جميع الأقطار والأمصار ملء المسامع والأبصار ، على اختلاف

1- 1. صحيح مسلم 2 / 666 باب 31 ح 93 ، مسند أحمد 1 / 96 و 129 ، سنن النسائى 4 / 88 وفيه : ولا صورة فى بيت إلا طمستها ، سنن أبى داود 3 / 215 ح 3218 ، الجامع الصحيح للترمذى 3 / 366 باب 56 ح 1049.

طبقاتهم وتباين نزعاتهم ، من بدء الإسـلام إلى هذه الغاية من العلماء وغيرهم ، من الشـيعة والسنة وغيرهم ، وأى بلاد من بلاد الإسلام من مصر أو سوريا أو العراق أو الحجاز وهلم جرا ليس لها جبانة شاسعة الأطراف واسعة الأكناف ، وفيها القبور المشيدة والضرائح المنجدة؟!

وهؤلاء أئمـة المـذاهب : الشافعى فى مصـر ، وأبو حنيفة فى بغداد ، ومالک بالمدينة ، وتلک قبورهم من عصـرهم إلى اليوم سامقة المبانى شاهقـة القباب ، وأحمـد ابن حنبل مباءة الوهابية ومرجعهم فى الفروع كان له قبر مشـيد فى بغداد جرفه شط دجلة حتى قيل : «أطبق البحر على البحر». وكل تلک القبور قـد شـيدت وبنيت فى الأزمنـة التى كانت حافلـة بالعلماء وأرباب الفتوى وزعماء المذاهب ، فما أنكر منهم ناكر ، بل كل منهم محبذ وشاكر.

وليس هـذا من خواص الإسـلام ، بل هو جار فى جميع الملل والأديان ، من اليهود والنصارى وغيرهم ، بل هو لعمر الحق من غرائز البشـر ومقتضـيات الحضارة والعمران وشارت التمـدن والرقى ، والـدين القويم المتكفل بسـعادة الدارين إذا كان لا يؤكده ويحكمه فما هو بالذى ينقضه ويهـدمه ، وإذا كـان كـل هـذا لاـ يكفى شاهـدا قاطعا ودليلا بينا على فساد دعوى الاجماع فخير أن تكسـر الأقلام ويبطل الحجاج والخصام ولا يقوم على شئ دليل ولا بينة ولا حجة ولا برهان :

وليس يصح فى الأذهان شئ

إذا احتاج النهار إلى دليل

هذا حال الاجماع ، أما حديث مسـلم : «لا تدع تمثالا إلا طمسـته ، ولا قبرا مشـرفا إلا سويته» فها هى نسخة من صحيح مسلم بين يدى ، طبع بولاق القديمة سـنة 1290 ، وقد روى الحديث المزبور صـفحة 265 ج 1 فى باب الأمر بتسويـة القبر ، ولكن بعد هذا بقليل صـفحة 256 قـال : (باب ما يقال عنـد دخول القبور والـدعاء لأهلها) وروى فيه بسـنده إلى عائشـة : إن النبى كان يخرج إلى البقيع فيقول : السـلام عليكم دار قوم مؤمنين (1) إلى الآخر فى حديثين طويلين.

1- 1. صحيح مسلم 2 / 669 باب 35 ح 102 و 103.

وروى بعدهما بسنده إلى سليمان بن بريدة عن أبيه ، قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وآله - يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول فى رواية أبى بكر : السلام على أهل الديار (1). وفى رواية زهير : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين والمسلمات وإنا إن شاء الله للاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العاقبة (2).

ثم بعد أن فرغ من هذا الباب قال تلوه : «باب استئذان النبى - صلى الله عليه وآله - ربه عزوجل فى زيارة قبر أمه» ، وروى فيه أربعة أحاديث صريحة فى الأمر بزيارة القبور :

أولها : بسنده إلى أبى هريرة قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : استأذنت ربى أن أستغفر لأمى فلم يأذن لى ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى (3).

ثانيها : بسند آخر إلى أبى هريرة ، قال : زار النبى - صلى الله عليه وآله - قبر أمة فبكى وأبكى من حوله فقال : استأذنت ربى أن أستغفر لها فلم يأذن لى ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت (4).

ثالثها : بسنده عن ابن بريدة ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحى فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا (5) لكم ، إلى آخر الحديث.

رابعها : بسند آخر بالمعنى المتقدم أيضا (6).

وبين يدى كذلك كتابان جليلان لعالمين جليلين من كبار مشاهير علماء

1- 1. صحيح مسلم 2 / 671 باب 35 ح 104.
2- 2. صحيح مسلم 2 / 671 باب 35 ح 104.
3- 3. صحيح مسلم 2 / 671 باب 35 ح 105.
4- 4. صحيح مسلم 2 / 671 باب 35 ح 105.
5- 5. صحيح مسلم 2 / 672 باب 36 ح 106.
6- 6. صحيح مسلم 2 / 672 باب 36 ح 106.

السـنة والجماعة : أحدهما كتاب «شـفاء السـقام فى زيارة خير الأنام ، للإمام الحافظ قاضـى قضاة المسلمين فى القرن الثامن الشهير بتقى الـدين أبى الحسن السـبكى ، ويسـمى أيضا ب «شن الغارة على من أنكر فضل الزيارة» وقد نشـر هذا الكتاب ومثله للطبع سـنة 1318 فى مطبعـة بولاق لعالم الفن العلامـة الجليل أحـد أكابر علماء مصـر القاهرة الشـيخ محمد بخيت المطبعى ، رئيس المحكمة الشـرعية العليا بمصـر ، وقد حضرنا دروسه بمصر سنة 1330 فوجـدناه فى أكثر العلوم بحرا مواجا ، وسـراجا وهاجا ، شـعلة ذكاء وفهم ، وإحاطة وحزم ، ودفع إلينا جملة من مؤلفاته منها ذلك الكتاب الذى نشـر فى صدره مقدمة فى بعض أحوال ابن تيمية مؤسس مذاهب الوهابية وبعض بدعه فى الدين وتكفيره من جمهور علماء المسلمين ، وقد أجاد فى تلك المقدمة ، وأحسن النظر فى الموضوع وعلله وأسبابه.

أما ذات كتاب الإمام السبكى فقد رتبه على عشرة أبواب :

الأول : فى الأحاديث الواردة فى الزيارة.

الثانى : فى الأحاديث الدالة على ذلك وإن لم يكن فيها لفظ الزيارة.

الثالث : فيما ورد فى السفر إليها.

الرابع : فى نصوص العلماء على استحبابها.

الخامس : فى كونها قربة.

السادس : فى كون السفر لها قربة.

السابع : فى دفع شبه الخصم وتتبع كلماته.

الثامن : فى التوسل والاستغاثة.

التاسع : فى حياة الأنبياء.

العاشر : فى الشفاعة.

وذكر فى البـاب الأـول من الأحاديث الواردة فى زيارة قبر النبى – صـلى الله عليه وآله – ، وفضـلها ، والحث عليها خمسـة عشـر حـديثا ، وأطنب فى تصحيح سند كل واحد منها ، والبحث عن رجال السند وعلله فصحح أسانيد أكثرها ، مثل : «من

زار قبری وجبت له شـفاعتی» (1) ، وقـد أفاض فی البحث عن سـند هذا الحدیث فی خمس أوراق وبمضـمونه حدیثان آخران ومثل : «من حج فزار قبری بعد وفاتی فکأنما زارنی فی حیاتی» (2) وأفاض فی النظر والبحث عن سنده فی أربع أوراق ومثل : «من حج البیت ولم یزرنی فقد جفانی» (3) إلی أمثال ذلک من الأحادیث التی آخرها فی هذا الباب : «من أتی المدینة زائرا لی وجبت له شـفاعتی یوم القیامة» و «من مات فی أحد الحرمین بعث آمنا» (4).

ثم استوفی القول والحدیث فی الباب الثانی ، ودخل بعده فی الباب الثالث وذکر مفصلا زیارة بلال من الشام التی هاجر إلیها بعد وفاة النبی - صـلی الله علیه وآله - وأنه رأی النبی فی المنام وهو یقول له : «ما هذه الجفوة یا بلال ، أما آن لک أن تزورنی؟!» فانتبه حزینا وجلا ، فرکب راحلته وقصد المدینة فأتی قبر النبی - صـلی الله علیه وآله - ، إلی آخر الحدیث. وکان ذلک فی زمن أکابر الصـحابة کالشـیخین وغیرهما ، وعقبه بذکر زیارة جماعة من الصحابة والتابعین لقبره - وشد الرحال إلیه.

الکتاب الثانی بین أیدینا کتاب «الجوهر المنظم فی زیارة قبر النبی المکرم» تألیف العالم الشـهیر صاحب المؤلفات الطائرة الصیت ، أحمد بن حجر

1- 1. سنن الدارقطنی 2 / 278 ح 194 ، الجامع الصـغیر للسیوطی - نقلا عن البیهقی - 2 / 605 ح 8715 ، کنز العمال 15 / 651 ح 42583 ، وفاء الوفاء 4 / 1336 ، الکامل لأبی أحمد بن عدی 6 / 2350 ، وأورده العلامة الأمینی فی الغدیر 5 / 93 - 96 «41» مصدرا ، فراجع.

2- 2. سنن الدارقطنی 2 / 278 ح 192 ، سنن البیهقی 5 / 246 ، کنز العمال 5 / 135 ح 12368 و 15 / 651 ح 42582 ، وفاء الوفاء 4 / 1340 وفیه : کان کمن زارنی ، الکامل لأبی أحمـد بن عـدی 2 / 790 ، الجامع الصـغیر للسیوطی - نقلا عن الطبرانی - 2 / 594 ح 8628 ، وأورد العلامة الأمینی فی الغدیر 5 / 99 - 100 «9» مصادر ، فراجع.

3- 3. کنز العمال 5 / 135 ح 12369 ، وفاء الوفاء 4 / 1342 ، شفاء السقام : 23 ، وأورد الأمینی «9» مصادر فی الغدیر 5 / 100.

4- 4. وفاء الوفاء 4 / 1348 ، شفاء السقام : 34 ، وقد أورد السبکی فی شفاء السقام کل الأحادیث السابقة فی الفصل الأول.

الشافعی ، المطبوع ذلک الکتاب بمطبعة بولاق أیضا فی مصر ، القاهرة سنة 1279 ، ورتبه - کسابقه - علی فصول :

الأول : فی مشروعیة زیارة قبر النبی - صلی الله علیه وآله - واستدل علیها من الکتاب بآیات ، ومن السنة بأحادیث کثیرة صحح أسانیدها من الطرق المتفق علیها عند جمهور المسلمین ، ثم استدل بإجماع علماء المسلمین ، وزاد علی ما ذکره الحافظ السبکی لتأخر زمانه عنه.

قال ابن حجر - بعد أن استوفی الکلام فی سرد الحدیث والإجماع علی فضل الزیارة فضلا عن مشروعیتها ، صفحة 13 - ما نصه :

فإن قلت : کیف تحکی الاجماع السابق علی مشروعیة الزیارة والسفر إلیها وطلبها وابن تیمیة من متأخری الحنابلة منکر لمشروعیة ذلک کله کما رآه السبکی فی خطه ، وقد أطال ابن تیمیة فی الاستدلال لذلک بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع ، بل زعم حرمة السفر لها إجماعا وأنه لا تقصر فیه الصلاة ، وأن جمیع الأحادیث الواردة فیها موضوعة ، وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه؟!

قلت : من هو ابن تیمیة حتی ینظر إلیه أو یعول فی شئ من أمور الدین علیه؟! وهل هو إلا کما قال جماعة من الأئمة الذین تعقبوا کلماته الفاسدة ، وحججه الکاسدة ، حتی أظهروا عوار سقطاته ، وقبائح أو هامه وغلطاته ، کالعز بن جماعة : عبد أضله الله تعالی وأغواه ، وألبسه رداء الخزی وأرداه ، وبوأه من قوة الافتراء والکذب ما أعقبه الهوان ، وأوجب له الحرمان.

ولقد تصدی شیخ الإسلام ، وعالم الأنام ، المجمع علی جلالته ، واجتهاده وصلاحه وإمامته ، التقی السبکی ، قدس الله روحه ، ونور ضریحه ، للرد علیه فی تصنیف مستقل أفاد فیه (1) وأجاد وأصاب وأوضح بباهر حججه طریق الصواب ، ثم قال : هذا ما وقع من ابن تیمیة مما ذکر ، وإن کان عثرة لا تقال أبدا ، ومصیبة یستمر شؤمها سرمدا ، لیس بعجیب ، فإنه سولت له نفسه وهواه

1- 1. وکذا ناقشه فی شفاء السقام فی باب دفع شبهة الخصم 98 - 115.

وشيطانه أنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب ، وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعائب إذ خالف إجماعهم فى مسائل كثيرة ، وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة ، حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس المنزه - سبحانه - عن كل نقص ، والمستحق لكل كمال أنفس ، فنسب إليه الكبائر والعظائم ، وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم ، وتضليل من لم يعتقد ذلک من المتقدمين والمتأخرين ، حتى قام عليه علماء عصره ، وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره ، فحسبه إلى أن مات وخمدت تلک البدع ، وزالت تلک الضلالات ، ثم انتصر له أتباع لم يرفع الله لهم رأسا ، ولم يظهر لهم جاها ولا بأسا ، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلک بما عصوا وكانوا يعتدون ، انتهى.

هذا بعض كلام ابن حجر العالم الذى ليس له فى علماء السنة مدافع ، ولا ينازع فى جلالة شأنه وعظيم فضله منازع ، ولسنا الآن فى صدد تعداد مثالب ابن تيمية وبدعه فى الدين ، وما أدخله من البلية على الإسلام والمسلمين ، فإن ذلک خارج عما نحن بشأنه من مواقف الحجة والبرهان ، والنظر فى الأدلة على نهج علمى لا يخرج عن دائرة آداب المناظرة.

وأما حال ابن تيمية ... فقد كفانا مؤونة إشاعة فضائعه ووقائعه علما الجمهور من أهل السنة والجماعة شكرت مساعيهم الجميلة.

أما كلمتنا التى لا بد لنا من إبدائها فى الجمع بين تلک الأخبار ، ونظريتنا فى استجلاء الحقيقة من خلال تلک الحجب والأستار ، فسوف نبديها فى تلو هذا السجل ناصعة بيضاء مسقرة ، وعليه التكلان ، وبه المستعان.

ها نحن أولاء ، بعد أن سردنا عليک ذروا من الأحاديث ، وشذورا من الروايات ، نريد أن نأتى على الخلاصة ، ونوقفک على الفذلكة ، ونمنحک الحقيقة المكنونة ، والجوهرة الثمينة فنتوصل إلى الحقيقة من أقرب طرقها ، ونتوسل إلى البغية المنشودة بأقوى أسبابها ، وأوثق عراها ، وأمتن أواخيها ، فنقول :

نقدر على الفرض أن رسول الله – صلى الله عليه وآله – ها هو أمام كل مسلم من أمته يراه بعينه ويسمعه بإذنه قائلا له : «لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته» بناء على صحة كل ما ورد فى الصحيحين – البخارى ومسلم إذ هذا الفرض – وإن كنا لا نقول به – ولكن نجعله من الأصول الموضوعة بيننا – أعنى به ما هو فصل النزاع وقاطع الخصومة – ومعلوم أن المتخاصمين إذا لم يكن فيما بينهما أصول موضوعة ينتهون إليها ، ويقفون عندها ، لا تكاد تنهى سلسلة النزاع بينهما والتخاصم طول الأبد ، وعمر الدهر ، إذا فنحن على سبيل المجاراة والمساهلة مع الخصم نقول بصحة ذلك الحديث ، كما يلزمنا معا أن نقول بصحة غيره من أحاديث الصحيحين فها هو النبى – صلى الله عليه وآله – يقول : «لا تدع قبرا مشرفا إلا سويته» ، كما رواه مسلم ، – ولكنه يقول حسب روايته أيضا : «فزوروا القبور فإنها تذكر الموت ...» ، و «استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى» ... وقد زار هو قبور البقيع ... وفى البخارى عقد بابا لزيارة القبور وحينئذ – فهل هذه الأحاديث متعارضة متناقضة؟! النبى الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى يأمر بهدم القبور ... ويأمر بزيارتها ... يأمر بهدمها ثم هو يزورها ...

فإن كان المقام من باب تعارض الأحاديث واختلاف الروايات وجب الجمع بينهما لا محالة ، على ما تقتضيه صناعة الاجتهاد ، وطريقة الاستنباط ، وقواعد الفن المقررة فى الأصول ، بحمل الظاهر على الأظهر ، وتأويل الضعيف من المتعارضين وصرفه إلى المعنى الموافق للقوى ، فيكون القوى قرينة على التصرف فى الضعيف ، وإرادة خلاف ظاهره منه كما يعرفه أرباب هذه الصناعة ، فهل المقام من هذا القبيل؟!

كلا ثم كلا ، ومهلا مهلا : إن هذه الساقية ليست من ذلك النبع ، وتلك القافية ما هى من ذلك السجع ، وليس المقام من باب التعارض كى يحتاج إلى التأويل والجمع.

ما كنت أحسب أن أدنى من له حظ من فهم التراكيب العربية

والتصاريف اللغوية يخفى عليه الفرق بين «التسوية» و «المساواة».

إن الذين يصرفون قوله - عليه السلام - : «ولا تدع قبرا مشرفا إلا سويته» إلى معنى ساويته بالأرض أى «هدمته» أولئک قوم أيفت أفهامهم ، وسخفت أذهانهم ، وضلت ألبابهم ، ولم يكن من العربية لهم ولا قلامة ظفر فكيف بعلمائهم؟!

ولا يخفى على عوام العرب أن تسوية الشئ عبارة عن تعديل سطحه أو سطوحه ، وتسطيحه فى قبال تقعيره أو تحديبه أو تسنيمه وما أشبه ذلک من المعانى المتقاربة (1) والألفاظ المترادفة ، فمعنى قوله - صلى الله عليه وآله - : «لا تدع قبرا مشرفا - أى : مسنما - إلا سويته - أى - سطحته وعدلته -» وليس معناه : إلا ـ هدمته وساويته بالأرض كى يعارض ما ورد من الحث على زيارة القبور واستحباب إتيانها ، والترغيب فى تشييدها ، والتنويه بها ، وذلک المعنى - أعنى أن المراد من تسوية القبر تسطحيه وعدم تسنيمه - كان هو الذى فهمته من الحديث أول ما سمعته بادئ بدء وعند أول وهلة ، ثم راجعت الكتاب - أعنى صحيح مسلم - ونظرت الباب فوجدت صاحب الصحيح - مسلم - قد فهم ما فهمناه من الحديث حيث عنون الباب قائلا : (باب تسوية القبور) وأورد فيه أولا بسنده إلى تمامه قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوى ثم قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يأمر بتسويتها (2) ثم أورد بعده فى نفس هذا الباب حديث أبى الهياج المتقدم : «ولا قبرا مشرفا إلا سويته».

وكذلک فهم شارحو صحيح مسلم وإمامهم النووى الشهير ، وها هو بين أيدينا يقول فى شرح تلک الجملة النبوية ما نصه : فيه : أن السنة أن القبر لا يرفع عن الأرض رفعا كثيرا ولا يسنم ، بل يرفع نحو شبر ، وهذا مذهب الشافعى ومن

1- 1. معجم مقاييس اللغة 3 / 112 (سوى).

2- 2. صحيح مسلم 2 / 666 باب 31 / ح 92.

وافقه ، ونقل القاضى عياض عن أكثر العلماء أن الأفضل عندهم تسنيمها (1). انتهى كلام النووى.

ويشهد لأفضيلة التسنيم ما رواه البخارى فى صحيحه فى باب صفة قبر النبى وأبى بكر وعمر بسنده إلى سفيان التمار أنه رأى قبر النبى - صلى الله عليه وآله - مسنما (2) ...

ولكن القسطلانى أحد المشاهير من شارحى البخارى ، شرحه فى عشر مجلدات طبعت فى مصر القاهرة ، قال ما نصه : «مسنما» بضم الميم وتشديد النون المفتوحة أى : مرتفعا ، زاد أبو نعيم فى مستخرجه : وقبر أبى بكر وعمر كذلك ، واستدل به على أن المستحب تسنيم القبور ، وهو قول أبى حنيفة (3) ومالک (4) وأحمد (5) والمزنى وكثير من الشافعية :

وقال أكثر الشافعية (6) ونص عليه الشافعى : التسطيح أفضل من التسنيم لأنه - صلى الله عليه وآله - سطح قبر إبراهيم وفعله حجة لا فعل غيره (7) ، وقول سفيان التمار لا حجة فيه - كما قال البيهقى - لاحتمال أن قبره - صلى الله عليه وآله - وقبرى صاحبيه لم تكن فى الأزمنة الماضية مسنمة (8).

وقد روى أبو داود بإسناد صحيح أن القاسم بن محمد بن أبى بكر قال : دخلت على عائشة فقلت لها : اكشفى لى عن قبر النبى - صلى الله عليه وآله - وصاحبيه فكشفت عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العرصة

1- 1. إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى 4 / 301.

2- 2. صحيح البخارى 2 / 128.

3- 3. المبسوط للسرخسى 2 / 62.

4- 4. المنتقى 2 / 22.

5- 5. المغنى لابن قدامة 2 / 380.

6- 6. المجموع 5 / 295.

7- 7. الأم 1 / 273.

8- 8. سنن البيهقى 4 / 4 وفيه - بعد أن نقل حديث التمار - : وحديث القاسم أصح وأولى أن يكون محفوظا.

الحمراء ، أی لاـ مرتفعة کثیرا ولا لاصقة بالأرض (1) ، إلی أن قال القسطلانی الشارح : ولا یؤثر فی أفضلیة التسطیح کونه صار شعار الروافض لأن السنة لا تترک بموافقة أهل البدع فیها! ولا یخالف ذلک قول علی - رضی الله عنه - أمرنی رسول الله - صلی الله علیه وآله - أن لا أدع قبرا مشرفا إلا سویته ، لأنه لم یرد تسویته بالأرض وإنما أراد تسطیحه جمعا بین الأخبار ، ونقله فی المجموع عن الأصحاب (2).

انتهی ما أردنا نقله من شرح البخاری ، وأنت تری من جمیع ما أحضرناه لدیک وتلوناه علیک من کلمات أعاظم المسلمین وأساطین الدین من مراجع الحدیث کالبخاری ومسلم ، وأئمة المذاهب کأبی حنیفة والشافعی ومالک وأحمد ، وأعلام العلماء وأهل الاجتهاد کالنووی وأمثاله ، کلهم متفقون علی مشروعیة بناء القبور فی زمن الوحی والرسالة ، بل النبی - صلی الله علیه وآله - بذاته بنی قبر ولده إبراهیم ، إنما الخلاف والنزاع فیما بینهم فی أن الأفضل والأرجح تسطیح القبر أو تسنیمه ، فالذاهبون إلی التسنیم یحتجون بحدیث البخاری عن سفیان التمار أنه رأی قبر النبی - صلی الله علیه وآله - مسنما ، والعادلون إلی التسطیح یحتجون بتسطیح النبی قبر ولده إبراهیم ، وصحیح القاسم بن محمد بن أبی بکر شاهد له ، ولعل هذا الدلیل هو الأرجح فی میزان الترجیح والتعدیل ، ولا یقدح فیه أنه صار من شعار الروافض وأهل البدع - کما قال شارح البخاری - فیما مر علیک نقله.

ولا یعنینا الآن الخوض فی حدیث الروافض وأنهم من أهل البدع أم لا ، إنما الشأن فی حدیث «لا تدع قبرا مشرفا إلا سویته» وأحسب أنه قد تجلی لک بحیث یوشک أن یلمس بالأنامل ، ویری بباصرة العین أن معنی «سویته» عدلته وسطحته فی قبال سنمته وحدبته ویناسب هذا المعنی کل المناسبة التقیید

1- 1. سنن أبی داود 3 / 215 ح 3220.

2- 2. إرشاد الساری 2 / 477.

بقوله «مشـرفا» فإن أصل الشـرف لغة هو العلو بتسـنيم مأخوذ من سنام البعير ، وعليه فيحسن ذلک القيد ، بل يلزم ويكون بلسان أهل العلم (قيدا احترازيا). أما على معنى ساويته فالقيد لغو صرف ، بل مخل بالغرض المقصود.

وبعـد هذا كله فهل من قائل عنى لذلک المفتى ، مفتى علماء المدينة الذى أفتى بجواز هدم القبور أو وجوبه اسـتنادا إلى ذلک الحديث : يا هـذا! من أين جئت بتلک النظريـة الحمقاء ، والحجـة العوجاء ، والبرهنـة المعكوسة ، والمزعمة المقلوبة التى ما وهمها واهم ، ولا خطرت على ذهن جاهـل فكيف بالعـالم؟! اللهم إلاـ أن يكون «ابن تيميـة» أو بعض ذناباته فإن الرجل ترويجا لأباطيله ، وتمشـية لأضاليله ، حيث تعوزه الحجة والسند قمين بتحوير الحقائق ، وقلب الأدلة ، والتلاعب بالحجج والبراهين تلاعبه بالدين «كما تلاعبت الصبيان بالأكر».

لا يا هـذا ، إن الشـمس لا تستر بالأكمام ، وإن الحق لا يسـحق بزخارف الكلام وسـفاسف الأوهام ... إن حـديث «لا تدع قبرا إلا سويته» دليل عليک لا لک ، وحجـة قاطعـة لأضاليلک وقالعـة لجـذور أباطيلک ، فإن معناه الـذى لا يشک فيه إنسان من أهل اللسان «سويته أى : عدلته وسطحته ، لا ساويته وهدمته» ، وبهذا المعنى لا يكون معارضا لشئ من الأحاديث حتى يحوج من له حظ من صناعة الاستنباط إلى الجمع والتأويل ، وهـذا هو معناه بـذاته وظاهر من نفس مفرداته وتركيبه ، لا الـذى يحصل بعـد الجمع كما يظهر من عبارة شارح البخارى المتقدمة.

نعم ، لو أبيت إلاـ عن حمـل «سويته» على معنى سـاويته بالأـرض وجاملناک على الفرض والتقـدير ، حينئـذ تجئ نوبـة المعارضـة ويلزم الصـرف والتأويل ، وحيث أن هذا الخبر بانفراده لا يكافئ الأخبار الصحيحة الصريحة الواردة فى فضل زيارة القبور ومشروعية بنائها ، حتى أن النبى – صلى الله عليه وآله – سطح قبر إبراهيم ، فاللازم صرفه إلى أن المراد : لا تدع قبرا مشرفا قد اتخذوه

للعبادة إلا سويته وهدمته.

ويدل على هذا المعنى الأخبار الكثيرة الواردة فى الصحيحين - البخارى (1) ومسلم - من ذم اليهود والنصارى والحبشة حيث كانوا يتخذون على قبور صلحائهم تمثالا لصاحب القبر فيعبدونه من دون الله ، ولعله إشارة إلى بعض طوائف اليهود والنصارى والحبشة حيث كانوا كذلك فى القديم فعدلوا واعتدلوا.

أما المسلمون من عهد النبى - صلى الله عليه وآله - إلى اليوم فليس منهم من يعبد صاحب القبر ، وإنما يعبدون الله وحده لا شريك له فى تلك البقاع الكريمة المتضمنة لتلك الأجساد الشريفة ، وبكل فرض وتقدير فالحديث يتملص ويتبرأ أشد البراءة من الدلالة على جواز هدم القبور فكيف بالوجوب ، والأخبار التى ما عليها غبار مما ذكرناه ومما لم نذكره ناطقة بمشروعية بنائها وإشادتها وأنها من تعظيم شعائر الله (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) (2).

تتمة :

فى العام الماضى طبعت فى النجف الأشرف رسالة موسومة ب «منهج الرشاد» لأسطوانة من أساطين الدين - الشيخ الأكبر كاشف الغطاء - الذى يعرف كل عارف أنه كان فاتحة السور من فرقان العزائم ، وكوكب السحر فى سماء العظائم ، هو من أفذاذ الأعاظم الذين لا تنفلق بيضة الدهر إلا عن واحد منهم ، ثم تعقم عن الإتيان بثانيه إلا بعد مخض طويل من الأحقاب ، من غر أياديه - وكم له فى العلم من أياد غرر - تلك الرسالة التى رتبها على مقدمة وفصول ، عقد كل فصل منها لدفع شبهة من شبهات الوهابية ودحضها بالأدلة القطعية ، والأحاديث النبوية الثابتة من الطرق الصحيحة عند أهل السنة ، على أن المقدمة وحدها كافية فى قمع شبهاتهم ، وقلع جذوم مذهبهم ، وهدم أساس طريقتهم ، وقد أبدع فيها غاية الابداع. ومن بعض أبواب الرسالة : «الباب الرابع : فى بناء قبور الأنبياء

1- 1. صحيح البخارى 2 / 114.

2- 2. الحج : 32.

والأولياء» وأفاض فی البیان إلی أن قال :

والأصل فی بناء القباب وتعمیرها ما رواه التبانی واعظ أهل الحجاز عن جعفر بن محمـد ، عن أبیه ، عن جده الحسـین ، عن أبیه علی – علیه السـلام – أن رسـول الله – صـلی الله علیه وآله – قـال له : «لتقتلن فی أرض العراق وتـدفن بهـا ، فقلت : یـا رسول الله ، مـا لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟ فقال : یا أبا الحسن ، إن الله جعل قبرک وقبر ولدیک بقاعا من بقاع الجنة ، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه ، وصفوة من عباده تحن إلیکم ، وتعمر قبورکم ، ویکثرون زیارتها تقربا إلی الله تعالی ومودة منهم لرسوله» (1).

ثم قال – قدس سره – بعد إیراد تمام الحدیث : ونقل نحو ذلک أیضا فی حدیثین معتبرین ، نقل أحدهما الوزیر السعید بسند ، وثانیهما بسند آخر غیر ذلک السند ، ورواه أیضا محمد بن علی بن الفضل ، انتهی.

والقصاری : أن النزاع بیننا معاشـر المسـلمین أجمع وبین سلطان نجد وأتباعه الذین یحکمون بضلالة سائر المسلمین أو بتکفیرهم ، لو کان ینحسم وینتهی بإقامـة الحجـج والبراهین لجئنـا بالقول المقنع المفیـد! ولکان عنـدنا زیادة للمستزیـد ، بل لو کنا نعلم أنهم یقنعون بالحجة البالغـة ، ویخضـعون للأدلـة القاطعة ، لملأنا الطوامیر من الحجج الباهرة التی تترک الحق أضـحی من ذکاء ، وأجلی من صـفحة السـماء ، ولکن سـلطان نجـد له حجتان قاطعتان علیهما یعتمـد ، وإلیهما یسـتند ، ولا فائـدة إلا بمقابلتهما بمثلهما أو بأقوی منهما ، وهما : الحسام البتار ، والدرهم والدینار السیف والسنان ، والأحمر الرنان ، هذا لقوم وذاک لآخرین :

أحدهما لأهل الصحف والمجلات فی مصر وسوریا ونحوهما لیحبذوا أعماله الوحشیة ویحسنوا همجیته التی تضعضع أرکان کل مدنیة.

والآخر لأعراب البوادی ولشرفاء الحجاز وأمثالهم من أمراء العرب حیث تساعده الظروف – لا قدر الله –.

1– 1. فرحة الغری : 77.

إذا فأى فائـدة فى إطالـة الكلام ، وسـرد الأحاديث ونضـد الأدلـة. نعم ، فيها تبصـرة وتبيان لطالب الحقيقة المجردة عن كل خوف ورجاء ، وتحامل وتزلف ، ولكن أين هو ذلک الرجل الطالب للحق المجرد عن كل غرض؟! ولئن كان لوح الوجود غير خال منه ففيما ذكرناه غنى له وكفاية.

أما أمير نجـد وأجناده وقضاته ومن لف لفهم الـذين اتخـذوا تلک الدعوى والديانة وسـيلة لامتداد سـلطتهم ، واتساع سـطوتهم ، وضـخامة ملكهم ، فلسـنا معهم فى الخصام وإقامة الحجج إلا كإشـراق الشـمس على المسـتنقعات العميقة ، فى الأودية السـحيفة ، لا تزيدها تلک الأشعة إلا سخونة وعفونة وانتشار وباء فى الهواء.

ليت قائلا يقول لقاضـى القضاة – ابن بليهد – ولمفتى علماء المدينة : أتراكم تعتقدون وتعتمدون على كل ما فى صـحيح مسـلم ، وتعملون بكل ما ورد من النصوص فيه؟ فإن كنتم كـذلک فقد عقد مسـلم فى صـحيحه بابا وأورد عدة أحاديث فى أن الخلافة لا تكون إلا فى قريش ، وأن الأئمة من قريش (1) ، بأساليب من البيان ، وأفانين من التعبير ، وكلها صـريحة فى أن الخلافة الحقة المشروعة مخصوصة بتلک القبيلة .. ومثله ، بل وأكثر منه فى صحيح البخارى ، وعليه فأين تكون خلافة أمير كم ابن سعود؟ وكيف حال إمامته؟ أهى من قوله تعالى : «وجعلنا منهم أئمة» (2)؟! أم من قوله تعـالى لإبراهيم : «إنى جاعلک للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهـدى الظالمين» (3)؟! وحسبنا هذا القدر ، إن اللبيب من الإشارة يفهم!

وأما حديث لعن رسول الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد

1- 1. صحيح البخارى 9 / 77 باب «1» كتاب الأحكام ، صحيح مسلم 3 / 1451 - 1454 باب «1» كتاب الإمارة.

2- 2. السجدة : 24.

3- 3. البقرة : 124.

والسرج (1) فهو نهى للنساء عن التبرج والخروج إلى المجتمعات وعن السجود على القبر ، وهو مما لا يصدر من أحد من المسلمين ، وعن إيقاد السرج عبثا وتعظيما لذات القبر ، أما الاسراج لقراءة القرآن والدعاء فلا منع ولا نهى ، بل فى بعض الأحاديث جوازه (2).

هذا كله فى الجواب عن حديث مسلم فى شأن هدم القبور وزيارتها والإسراج عليها ، أما فتاوى مفتى علماء المدينة الأخرى المتعلقة بشأن التبرك بالقبور ، والتمسيح بها ، وزيارتها ونحو ذلک ، فقد أفتى ذلک المفتى بالمنع منها مطلقا ، ولكن أرسل أكثر الفتاوى إرسالا من غير أن يسندها إلى حجة أو يعمدها على دليل حتى نتصدى للجواب عنه. نعم ، قال فى آخرها – وما أصدق ما قال – : هذا ما أدى إليه نظرى السقيم ، انتهى. والسقم لا محالة إنما جاء من إحدى العلتين اللتين مر ذكرهما أو من كليهما ، نسأله تعالى العافية لنا ولجميع المسلمين.

وفى الرسالة – المنوه بذكرها من أمم – لكل واحدة من تلک المسائل فصل مستقل أثبت فيه من الطرق الصحيحة المعتبرة عند القوم مشروعيتها ورجحانها وعمل الصحابة والتابعين بها ، فمن أراد فليراجع. وعلى هذا الحد فلتقف الأقلام ، وينتهى الكلام ، فقد تجلى الصبح لذى عينين ، والسلام. تمت بحمد الله تعالى.

* * *

1- 1. سنن أبى داود 3 / 218 ح 3236.

2- 2. مستدرک الحاكم 1 / 374.

وخلاصة القول فيه

إن أول من نثر فى أرض الإسلام المقدسة تلك البذور السامة والجراثيم المهلكة ، هو أحمد بن تيمية فى أخريات القرن السابع من الهجرة ، ولما أحس أهل ذلک القرن - بفضل كفاءتهم - أن جميع تعاليمه ومبادئه شر وبلاء على الإسلام والمسلمين يجر عليهم الويلات ، وأى شر وبلاء أعظم من تكفير قاطبة المسلمين على اختلاف نزعاتهم! أخذ وحبس برهة ثم قتل.

ولكن بقيت تلک البذور دفينة تراب ، وكمينة بلاء وعذاب ، حتى انطوت ثلاثة قرون ، بل أكثر ، فنبغ ، بل نزاع محمد بن عبد الوهاب فنبش تلک الدفائن ، واستخرج هاتيک الكوامن ، وسقى تلک الجراثيم المائتة بل المميتة ، والبذور المهلكة ، فسقاها بمياه من تزويق لسانه وزخرف بيانه ، فأثمرت ولكن بقطف النفوس وقطع الرؤوس وهلاک الإسلام والمسلمين ، وراجت تلک السلعة الكاسدة ، والأوهام الفاسدة ، على أمراء نجد واتخذوها ظهيرا لما اعتادوا عليه من شن الغارات ، ومداومة الحروب والغزوات من بعضهم على بعض وقد نهاهم الفرقان المبين والسنة النبوية عن تلک العادات الوحشية ، والأخلاق الجاهلية ، بملء فمه وجوامع كلمه ، وقد عقد بينهم الأخوة الإسلامية ، والمودة الإيمانية وقال : «مال المؤمن على المؤمن حرام كحرمة دمه وعرضه» (1) وقال جل من قائل : «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا» (2) ، وأراد الله سبحانه أن يجعلهم فيما بينهم إخوانا وعلى العدو أعوانا ، أراد أن يكونوا يدا واحدة للاستظهار على الأغيار من أعداء الإسلام ، فنقض ابن عبد الوهاب تلک القاعدة الأساسية

1- 1. مضمون الحديث ورد فى الكافى 2 / 268 ح 2 ، من لا يحضره الفقيه 4 / 300 ح 909 ، مستدرک الوسائل 9 / 136 ح 10478 ، المؤمن : 72 ح 199.

2- 2. النساء : 94.

والدعامة الإسلامية ، وعكش الآية فصار يكفر المسلمين ويضرب بعضهم ببعض ، وما انجلت تلك الغبرة إلا وهم آلة بأيدى الأعداء ينقضون دعائم الدين ، ويقتلون بهم المسلمين ، ويصلون ما أمر الله بقطعه ، ويقطعون ما أمر الله بوصله ، فإذا طولبوا بالدليل والبرهان ، وجاء حديث السنة والقرآن ، فالجواب الشافى عند السيف والسنان ، والنصف مع البغى والعدوان ، والحق مع القوة والسطوة ، والعدل والسواء ، فى الغلبة والاستيلاء.

نعم ، ليس للقوم فيما وقفنا عليه من كتب أوائلهم وأواخرهم ، وحاضرهم وغابرهم حجة عليها مسحة من العلم أو روعة من البيان ، وطلاء من الحقيقة ، سوى قولهم : إن المسلمين فى زيارتهم للقبور وطوافهم حولها واستغاثتهم بها وتوسل الزائر بالملحود فى تلك المقابر قد صاروا كالمشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام ، وأصبحوا يعبدون غير الله ليقربهم إلى الله تعالى كما حكى الله سبحانه فى كتابه الكريم حيث يقول عنهم : «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» (1) فلم يقبل الله منهم تلك المعذرة ، ولا أخرجهم ذلك الزعم عن حدود الشرك والضلالة.

هذه هى أم شبهاتهم ، وأس احتجاجاتهم ، وأقوى براهينهم ودلالاتهم ، وإليها ترجع جميع مؤاخذاتهم على غيرهم من طوائف المسلمين من مسألة الشفاعة والتوسل ، والتبرك والزيارة ، وتشييد القبور ، إلى كثير من أمثال ذلك مما يزعمون أنه عبادة لغير الله ، وهو على حد الشرك بالله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وأنا أقول : لعمر الله والحق ما أكبر جهلهم! وأضل فى تلك المزاعم عقلهم! وليت شعرى من أين صح ذلك القياس والتشبيه؟! تشبيه المسلمين بالمشركين وقياسهم بهم مع وضوح الفرق فى البين ، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى كما هو صريح الآية ، والمسلمون لا يعبدون القبور ولا أربابها ، بل يعبدون الله وحده لا شريك له عند تلك القبور. والقياس الصحيح

1- 1. الزمر : 3.

والتشبيه الوجيه ، قياس زائرى القبور والطائفين حولها بالطائفين حول الكعبة البيت الحرام وبين الصفا والمروة : «إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما» (1) ، فالطائف حول البيت ، والساعى بين الصفا والمروة لم يعبد الكعبة وأحجارها ، ولا الصفا والمروة ومنارها ، وإنما يعبد الله سبحانه فى تلك البقاع المقدسة ، وحول تلك الهياكل الشريفة التى شرفها الله ودعا عباده إلى عبادته فيها ، وهكذا زائر القبور.

هذا هو القياس الصحيح والميزان العدل ، أما القياس بالميزان الأول ففيه عين بل عيون ، لا بل هو خبط وجنون ، أليس من الجنون قياس من يعبد الله موحدا له بمن يعبد الأصنام مشركا لها مع الله جل شأنه؟!

وكشف النقاب عن محيا هذه الحقيقة الستيرة ، بحيث تبدو للناظرين ناصعة مستنيرة ، موقوف على بيان حقيقة العبادة وكنه معناها ، ولو على سبيل الايجاز حسب اقتضاء هذه العجالة التى جرى بها اللسان متدافعا تدافع الآتى من غير وقفة ولا أناة ، ولا مراجعة ولا مهل.

إن حقيقة العبادة ومصاص معناها ، وكنه روحها ومغزاها بعد كونها مأخوذة بحسب الاشتقاق من العبد والعبودية ، وليس العبد فى الحقيقة وطباق نفس الأمر والواقع ما ملكته بالاغتنام أو الشراء أو غيرهما من الأسباب ، ولا السيد والمولى من تولى عليك بالغلبة والقهر ، أو المصانعة والخداع ، إنما السيد من أنعم عليك بنعمة الحياة ، وخلع عليك بعد العدم خلعة الوجود ، ورباك فى بواطن الأصلاب وبطون الأرحام ستبرأ ، لا تراك سوى عينه ، ولا ترعاك سوى عنايته ، فذاك هو الرب والمالك والسيد حقيقة من غير تسامح فى المعنى ، ولا تجوز فى اللفظ ، وأنت ذلك العبد المملوك بحقيقة العبودية ، المربوب بنعمة الايجاد والتكوين ، والصنع والخلق ، وقد اقتضت تلك العبودية ، حسب النواميس العقلية ، والاعتبار والروية ، المعزى إليها بقوله عز شأنه : «وما خلقت الجن

1- 1. البقرة : 158.

والإنس إلا ليعبدون» (1).

فالعبادة معناها كلفظها مشتقة من العبودية ، وهى شأن من شؤونها وأثر من آثارها ، فإن العبودية قضت على العبد حفظا لاستدامة تلك النعمة ، بل النعم الجمة وامتدادها أبديا أن يقف العبد موقف الاذعان والاعتراف بها لوليها ومولاها ، فكما أنه فى موطن الحق والواقع عدما صرفا وعجزا محضا ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ولا حياة ، كذلك يكون فى موطن الخارج والظاهر ماثلا بين يدى مولاه فى غاية الخضوع والذلة ، والعجز والحاجة.

فالعبادة حقيقة هى التظاهر بتلك العبودية الحقيقية باستعمال أقصى مراتب الخضوع فى الظاهر بجميع القوى والمشاعر مقرونا باستحضار تلك الجوهرة المكنونة ، والدرة الثمينة - جوهرة العبودية - وأنى أخضع وأخشع ، وأسجد وأعبد ، ذلك المنعم الذى أنعم على بنعمة الحياة ، وأسبغ على جلابيب الوجود ، فصرت بتلك النعم مغمورا ، بعد أن أتى على حين من الدهر لم أكن فيه شيئا مذكورا.

إذا فالعبادة على الحقيقة هى كون العبد فى مقام الاعتراف والإذعان بالعبودية مقرونا بما يليق بها من استعمال ما يدل على أقصى مراتب الخضوع ، والذلة بالسجود والركوع ، والهرولة والطواف ، وغير ذلك مما وصفته الشرائع ، وأوعزت إليه الأديان من معلوم الحكمة ومجهولها ، ومبهم الحقيقة أو معقولها.

تلك هى العبادة الحقيقة ، غايته أن عامة الناس قصرت أفكارهم عن اجتناء ذلك اللب واقتصروا على القشور من العبادة ، اللهم إلا أن يكون ذلك مرتكزا فى أعماق نفوسهم على الاجمال فى المقصود ، دون التفصيل والاستحضار والشهود ، وكيف كان الحال ، فهل تحس أن أحدا من زوار القبور والمتوسلين بأربابها يقصد أن القبر الذى يطوف حوله ، أو صاحبه الملحود فيه هو صانعه وخالقه ، وأنه بزيارته يريد أن يتظاهر بالعبودية له فتكون عبادة له؟! أو أن أحدا من الزائرين يقول للقبر - أو لمن فيه - : يا خالقى ويا رازقى ويا معبودى؟!

1- 1. الذاريات : 56.

كلا ثم كلا ما أحسب أن أحـدا يخطر على باله شـئ من تلك المعانى مهما كان من الجهل والهمجيـة ، كيف وهو يعتقـد أن صاحب القبر بشـر مثله عاش ومات وأصبح رميما رفاتا. نعم ، يعتقد أن روحه باقية عند الله – جل شأنه – فهو بها يسمع ويرى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عنـد ربهم يرزقون) (1) ونظرا إلى تلك الحياة يخاطبه ويسـلم عليه ويتوسل إلى الله سـبحانه به ويطلب الشـفاعة منه.

وبعد هذا كله فهل تجد من الحق والإنصاف تشبيه الزائرين بعبدة الأصنام وهذه منابرهم ومنائرهم ومشاعرهم تضج فى الأوقات الخمس بل فى أكثر الأوقات بشهادة أن لا إله إلا الله ويلهجون بأنه لا معبود إلا الله؟! فهل ذلک القول إلا قول مجادل بالباطل يريد أن يدحض به الحق ، ويلقح شـرر الفساد فى الأرض ، ويريق دماء المسـلمين ظلما وعدوانا؟! ومما ذكرنا من معنى العبادة وحقيقية معناها يتضح أنه لا شئ من تلک العناوين الممنوعة عند الوهابية ، من الشفاعة والوسيلة ، والتبرک والاستغاثة والزيارة وأمثالها ، له مسيس بالعبادة بوجه من الوجوه ، هذا مضافا إلى صدوره من النبى وأصـحابه والتابعين الواردة فى صـحيح الأخبار من صـحيحى البخارى ومسلم وغيرها ، وقد استوفى جملة منها جدنا كاشف الغطاء – رفع الله درجته – فى رسالته التى مثلها الطبع فى العام الغابر المسـماة بمنهج الرشاد كما سـبق ذكرها قريبا فلا حاجة إلى إعادتها وفيها مقنع وكفاية ، من أرادها فليراجعها.

وإنما جل الغرض تنبيه الوهابيين وغيرهم من المسـلمين على موضع الزلـة ومـدخل الشـبهة وخطل الرأى ، وأن الصـريمة والغريمة اليوم ، والواجب ، بـل الأهم من كل واجب هو وحـدة المسـلمين وتكاتفهم ، فإن الجميع موحـدون فحبـذا لو أصـبحوا والجميع متحـدون ، ولا يحسبوا أن بقاء سلطتهم ونعيمهم بأن يضرب بعضهم بعضا ويتعادى بعضهم على بعض ، بل هذا أدعى لفشلهم وقرب أجلهم.

1- 1. آل عمران : 169.

وليعلم الوهابيون علما جازما حاسما لكل وهم وشبهة أن اليد التى أصبحت تضرب بهم المسلمين اليوم سوف تضربهم بغيرها غدا فلينتبهوا ولينتهوا قبل أن يقعوا فى حفائر السياسة السحيفة ، ومهاويها العميقة ، وإلى الله سبحانه نضرع راغبين إليه وحده فى أن يجمع الكلمة ويؤلف شمل الأمـة ويوقظهم من سـنة هـذه الغفلة التى أو شـكت أن تكون حتفا قاضـيا عليهم أجمع ، وإلى الله تصـير الأمور ، ومنه البعث وإليه النشور.

* * *

ص: 194

رسالة فى

إعجاز سورة الكوثر

للزمخشرى

حامد الخفاف

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

مما لا مجال للشك فيه أن عهـد نزول القرآن فى حياة العرب يمثل ذروة اهتمام المجتمع القبلى فى الجزيرة العربية ببلاغة الكلمة وفصاحة المنطق ودقـة الحس البيانى ، أكثر من أى وقت مضـى ، فليس غريبا عنا ما كانت توليه القبيلة من احترام وتقدير لأصـحاب اللسان الماشـق والحس المرهف ، فترى الشاعر سـيف القبيلـة الناطق ، الذى تجرده بوجه أعدائها ، وتقدمه درعا واقيا يرد عنها سـهام الكلام ، حتى أن أبياتا من الشعر تحوى من قارص الكلم أشده يمكن أن تفعل فعلها أشد من السنان وأمضى من المهند المصقول.

وذاك سوق عكـاظ ، نـادى الأدبـاء العرب – إن صـح التعبير – يجتمعون فيه ، لتتصارع الكلمـة فى حلبـة البلاغـة ، وليتبارز البيان بسـيوف الفصاحـة ، تشـد إليه الرحال ، وتعقـد عليه الآمال ، كل ذلك كان يعمق فى الجزيرة العربيـة حقيقـة كونها مجتمع الكلمـة الذى لم يعرف اللحن له طريقا ، ولا العجمة سبيلا.

وجاء القرآن ، كلام الله المجيـد ، ينشـر من أريجه عطر القداسـة ، ويضم بين دفتيه ما يحير العقول ، ويأخـذ بالألباب ، انظروا إلى عدو الله الوليد بن المغيرة

تحقيق : حامد الخفّاف

المخزومى ، فـاغرا فـاه ، يتمتم بحيرة : «والله لقـد نظرت فيما قال هـذا الرجل فإذا هو ليس بشـعر ، وإن له لحلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمعذق ، وإنه ليعلو وما يعلى».

جاء ليتحـدى كبرياء الكلمـة فى عقر دارها ، وشـموخ البيان فى عنفوانه : «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يـأتون بمثله ولو كـان بعضـهم لبعض ظهيرا» ، فكـانت المعجزة التى ألقت لها الفصاحـة قيادها ، وكأن دولـة البلاغـة العظمى كانت تنتظر ملكها بلهفة وشوق ، وهكذا كان.

وكتابنا الصـغير هـذا ، جواب من الزمخشـرى - رجل البلاغة والفصاحة - على عدة إشـكالات ، وردت من صديق له حول إعجاز القرآن ، بصورة رسالة بعثها إليه ، سائلا إياه الإجابة ، فتصدى المؤلف للجواب عنها ، بأسـلوبه الشـيق الرفيع ، برسالة حول إعجاز سورة الكوثر ، هى كمـا قال عنها : «رسالـة من أبلغ الرسالات ، أورد فيها مقدمـة فى إعجاز القرآن الكريم ، فى فضل اللسان العربى على كل لسان ، على وجه عجيب ، وأسـلوب على طرف الثمام قريب غريب» مضـيفا بـذلك للمكتبة الإسـلامية جهدا رائعا يشار إليه بالبنان ، حاولنا أن نضـفى عليه بتحقيقنا إياه من روعة الاخراج ما نتمكنه ، ومن متطلبات التحقيق ما يحتاجه ، وعلى الله التكلان.

* * *

ص: 196

ترجمة المؤلف

هو العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشری الخوارزمی ، کبیر المعتزلة ، صاحب الکشاف والمفصل (1) ، أمره فی الاشتهار أوضح من الشمس وأبین من الأمس.

ولادته وبلده :

ولد الزمخشری فی یوم الأربعاء السابع والعشرین من رجب سنة سبع وستین وأربعمائة بزمخشر خوارزم ، علی ما نقله القفطی عن ابن أخته أبی عمر عامر بن الحسن السمسماری (2) ، وقال أیضا : «ونقلت من کتاب محمد بن محمد ابن حامد قال : کان مولده - یعنی الزمخشری - فی سابع عشر شهر رجب سنة سبع وستین وأربعمائة» (3).

یقول الزمخشری : «وأما المولد فقریة من قری خوارزم مجهولة ، یقال لها :

1- 1. توجد ترجمته فی : الأنساب 6 : 297 ، معجم البلدان 3 : 147 ، معجم الأدباء 19 : 126 / 41 ، الکامل فی التاریخ 11 : 97 ، إنباه الرواة 3 : 265 / 753 ، وفیات الأعیان 5 : 168 / 711 ، میزان الاعتدال 4 : 78 / 8367 ، العبر 2 : 455 ، سیر أعلام النبلاء 20 : 151 / 91 ، تذکرة الحفاظ 4 : 1283 ، المستفاد من ذیل تاریخ بغداد : 228 / 173 ، مرآة الجنان 3 : 269 ، البدایة والنهایة 12 : 219 ، لسان المیزان 6 : 4 ، بغیة الوعاة 2 : 279 / 1977 ، طبقات المفسرین 104 / 127 ، طبقات المفسرین للداودی 2 : 314 / 625 ، شذرات الذهب 4 : 121 ، روضات الجنات 8 : 118 / 711 ، الکنی والألقاب 2 : 297 ، هدیة العارفین 2 : 402 ، وعن هامش السیر : نزهة الألباء : 391 ، المختصر فی أخبار البشر 3 : 16 ، إشارة التعیین : الورقة 53 و 54 ، البدر السافر : ورقة 193 ، تاریخ الإسلام : وفیات 538 ، دول الإسلام 2 : 56 ، تلخیص ابن مکتوم : 243 ، الجواهر المضیة 2 : 160 ، العقد الثمین 7 : 137 ، طبقات المعتزلة : 20 ، طبقات ابن قاضی شهبة 2 : 241 ، النجوم الزاهرة 5 : 274 ، تاج التراجم : 71 ، طبقات الفقهاء لطاش کبری : 94 و 95 ، مفتاح السعادة 2 : 97 ، أزهار الریاض 3 : 282 ، الفوائد البهیة : 209 ، کنوز الأجداد : 291 ، تاریخ بروکلمان 5 : 215.

2- 2. إنباه الرواة 3 : 266.

3- 3. إنباه الرواة 3 : 271.

زمخشر ، سمعت أبی قال : اجتاز بزمخشر أعرابی فسأل عن اسمها واسم کبیرها ، فقیل له : زمخشر والرداد ، فقال : لا خیر فی شر ورد ، ولم یلمم بها» (1).

وزمخشر – بفتح أوله وثانیه ، ثم خاء معجمة ساکنة ، وشین معجمة ، وراء مهملة – : قریة جامعة من نواحی خوارزم (2) ، وقال القفطی : سمعت بعض التجار یقول : إنها دخلت فی جملة المدینة ، وإن العمارة لما کثرت وصلت إلیها وشملتها ، فصارت من جملة محالها (3).

وقال فیها الشریف أبو الحسن علی بن عیسی بن حمزة الحسنی المکی عند مدح الزمخشری :

جمیع قری الدنیا سوی القریة التی

تبوأها دارا فداء زمخشرا

وأحر بأن تزهی زمخشر بامرئ

إذا عد فی أسد الشری زمخ الشری (7)

وبعد نشوئه تنقل الزمخشری فی بلدته یجوب الأقطار طلبا للعلم وسعیا وراء المعرفة ، فطاف الآفاق وتنقل ما بین بغداد ونیسابور ، ثم أقام بمکة المکرمة ، ولذلک لقب نفسه جار الله لمجاورته البیت العتیق ، وکان أین ما حل وارتحل محل احترام وتقدیر.

مکانته العلمیة :

یعتبر الزمخشری شخصیة بارزة فی عالم الفصاحة والبلاغة والأدب والنحو ، نتلمس ذلک جلیا فی مصنفاته وآثاره من جهة ، ومن إطراء وتبجیل کل من ترجم له من جهة أخری.

یقول القفطی : وذکره صاحب الوشاح – ذکره بألقاب وسجع له علی عادته – فقال : «أستاذ الدنیا ، فخر خوارزم ، جار الله العلامة أبو القاسم محمود

1- (1. 5) معجم البلدان 3 : 147.

2- 2. إنباه الرواة 3 : 265.

3- 3. إنباه الرواة 3 : 268.

الزمخشـرى ، من أكابر الأمة ، وقد ألقت العلوم إليه أطراف الأزمة ، واتفقت على إطرائه الألسـنة ، وتشرفت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة ، ولـم يتمكن فى دهره واحد من جلاء رذائل النظم والنثر ، وصـقال صوارم الأدب والشـعر ، إلا بالاهتداء بنجم فضـله ، والاقتداح بزند عقله ، ومن طـار بقوادم الإنصـاف وخوافيه ، علم أن جواهر الكلاـم فى زماننا هـذا من نثار فيه ، وقـد ساعـده التوفيق والإقبال ، وساعفه من الزمان الماضـى والحال ، حتى اختار لمقامه أشرف الأماكن ، وجمع بجوار بيت الله الحرام بين الفضائل والمحاسن ، وودع أفراس الأمور الدنياوية ورواحلها ، وعاين من بحار الخيرات والبركات سواحلها ، وقد صـغر فى عيون أفاضل عهده ما رأوه ورووه ، وملک فى قلوب البلغاء جميع ما رعوه ووعوه ، وإن كان عدد أبياته التى ذكرتها قليلا فكماله صار عليها دليلا» (1).

ولما قدم الزمخشرى إلى بغداد قاصدا الحج زاره الشريف أبو السعادات هبة الله بن الشجرى مهنئا له بقدومه ، فلما جلس إليه أنشده متمثلا :

كانت مسألة الركبان تخبرنى

عن أحمد بن داود أطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت

أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

وأنشد أيضا :

وأستكبر الأخبار قبل لقائه

فلما التقينا صغر الخبر الخبر (2)

وكان الزمخشـرى ممن يضـرب به المثل فى علم الأدب والنحو واللغة (3) ، وما دخل بلـدا إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له ، واسـتفادوا منه ، وكان علامة الأدب ، ونسابة العرب ، تضرب إليه أكباد الإبل ، وتحط بفنائه رحال الرجال ، وتحدى باسمه مطايا الآمال (4).

وقال ياقوت : كان إماما فى التفسير والنحو واللغة والأدب ، واسع العلم ،

1- 1. إنباه الرواة 3 : 268.

2- 2. معجم الأدباء 19 : 128.

3- 3. الأنساب 6 : 297.

4- 4. طبقات المفسرين للسيوطى : 105 ، إنباه الرواة 3 : 266.

كبير الفضل ، متفننا فى علوم شتى (1).

ولا نريد الإطالة فى سرد العبارات الواردة فى مدح المصنف والثناء عليه ، ففى ما ذكرناه كفاية لمن يقنع بالتلميح عن التصريح.

مؤلفاته :

1 – الكشاف فى تفسير القرآن.

2 – الفائق فى غريب الحديث.

3 – نكت الأعراب فى غريب الإعراب ، فى غريب إعراب القرآن.

4 – كتاب متشابه أسماء الرواة.

5 – مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة.

6 – الأصل ، لأبى سعيد الرازى إسماعيل.

7 – الكلم النوابغ ، فى المواعظ.

8 – أطواق الذهب ، فى المواعظ.

9 – نصائح الكبار.

10 – نصائح الصغار.

11 – مقامات فى المواعظ.

12 – نزهة المستأنس.

13 – الرسالة الناصحة.

14 – رسالة المسامة.

15 – الرائض فى الفرائض.

16 – معجم الحدود.

17 – المنهاج فى الأصول.

18 – ضالة الناشد.

1- 1. معجم الأدباء 19 : 126.

19 – كتاب عقل الكل.

20 – النموذج ، فى النحو.

21 – المفصل ، فى النحو.

22 – المفرد والمؤلف ، فى النحو.

23 – صميم العربية.

24 – الأمالى فى النحو.

25 – أساس البلاغة ، فى اللغة.

26 – جواهر اللغة.

27 – كتاب الأجناس.

28 – مقدمة الأدب ، فى اللغة.

29 – كتاب الأسماء ، فى اللغة.

30 – القسطاس ، فى العروض.

31 – حاشية على المفصل.

32 – شرح مقاماته.

33 – روح المسائل.

34 – سوائر الأمثال.

35 – المستقصى ، فى الأمثال.

36 – ربيع الأبرار ، فى الأدب والمحاضرات.

37 – تسلية الضرير.

38 – رسالة الأسرار.

39 – أعجب العجب فى شرح لامية العرب.

40 – شرح المفصل.

41 – ديوان التمثيل.

42 – ديوان خطب.

ص: 201

43 – ديوان رسائل.

44 – ديوان شعر.

45 – شرح كتاب سيبويه.

46 – كتاب الجبال والأمكنة.

47 – شافى العى من كلام الشافعى.

48 – شقائق النعمان فى حقائق النعمان ، فى مناقب الإمام أبى حنيفة.

49 – المحاجاة ومتمم مهام أرباب الحاجات ، فى الأحاجى والألغاز.

50 – المفرد والمركب ، فى العربية (1).

51 – رسالة فى إعجاز سورة الكوثر ، وهى الرسالة التى بين يديك.

تلامذته والرواة عنه :

يظهر مما ذكره القفطى فى إنباه الرواة : «وما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه وتلمذوا له» (2) كثرة تلاميذه وانتشارهم باعتبار كثرة سفره وتجواله فى الأقطار ، نذكر منهم ما استطعنا العثور عليه خلال استقراء عاجل لمظان ترجمته :

1 – أبو المحاسن إسماعيل بن عبد الله الطويلى.

2 – أبو المحاسن عبد الرحيم بن عبد الله البزاز.

3 – أبو عمر عامر بن الحسن السمسار.

4 – أبو سعد أحمد بن محمود الشاشى.

5 – أبو طاهر سامان بن عبد الملك (3).

6 – الشيخ على بن محمد الخوارزمى.

7 – الشيخ محمد بن أبى القاسم بن ياجوك البقالى الخوارزمى اللغوى.

1– 1. أنظر معجم الأدباء 19 : 134 ، وفيات الأعيان 5 : 168.

2- 2. إنباه الرواة 3 : 266.

3- 3. الأنساب 6 : 298.

8 – الشيخ أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن المطرز (1).

شيوخه وأساتذته ومن سمع منهم :

1 – أبو مضر محمود بن جرير الضبى الأصبهانى.

2 – أبو الحسن على بن المظفر النيسابورى.

3 – شيخ الإسلام أبو منصور نصر الحارثى.

4 – أبو سعد الشقانى (2).

5 – أبو الخطاب بن البطر (3).

شعره :

ورد شعر الزمخشرى متفرقا فى المصادر التى تعرضت لترجمته ، فحاولنا جهد الإمكان أن نجمع شتات ما استطعنا العشور عليه فيها من الأبيات الشعرية سواء كان قطعى الصدور عنه أو كان منسوبا إليه ، ونذكر مع كل قطعة شعرية مصدر النقل :

قال الزمخشرى :

العلم للرحمن جل جلاله

وسواه فى جهلاته يتغمغم

ما للتراب وللعلوم وإنما

يسعى ليعلم أنه لا يعلم

وقال أيضا :

كثر الشك والخلاف وكل

يدعى الفوز بالصراط السوى

فاعتصامى بلا إله سواه

ثم حبى لأحمد وعلى

فاز كلب بحب أصحاب كهف

1- 1. روضات الجنات 8 : 123.

2- 2. معجم الأدباء 19 : 127.

3- 3. العبر 2 : 455 ، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد : 228.

وقال فى مدح تفسير الكشاف :

إن التفاسير فى الدنيا بلا عدد

وليس فيها لعمرى مثل كشافى

إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته

فالجهل كالداء والكشاف كالشافى (1)

وقال يرثى أستاذه أبا مضر النحوى :

وقائلة ما هذه الدر التى

تساقطها عيناك سمطين سمطين

فقلت هو الدر الذى قد حشا به

أبو مضر أذنى تساقط من عينى (2)

وقال أيضا يرثيه :

أيا طالب الدنيا وتارك الأخرى

ستعلم بعد الموت أيهما أحرى

ألم يقرعوا بالحق سمعک؟! قل : بلى

وذكرت بالآيات لو تنفع الذكرى

أما وقر الطيش الذى فيک واعظ

كأنک فى أذنيک وقر ولا وقرا

أمن حجر صلد فؤادک قسوة

أم الله لم يودعک لبا ولا حجرا

وما زال موت المرء يخرب داره

وموت فريد العصر قد خرب العصرا

وصک بمثل الصخر سمعی نعیه

فشبهت بالخنساء إذ فقدت صخرا (3)

وقال أیضا :

إذا سألوا عن مذهبی لم أبح به

وأکتمه ، کتمانه لی أسلم

فإن حنفیا قلت ، قالوا بأننی

أبیح الطلا وهو الشراب المحرم

وإن مالکیا قلت ، قالوا بأننی

أبیح لهم أکل الکلاب وهم هم

وإن شافعیا قلت ، قالوا بأننی

أبیح نکاح البنت والبنت تحرم

وإن حنبلیا قلت ، قالوا بأننی

ثقیل حلولی بغیض مجسم

وإن قلت من أهل الحدیث وحزبه

یقولون تیس لیس یدری ویفهم

تعجبت من هذا الزمان وأهله

فما أحد من ألسن الناس یسلم

1- 1. معجم الأدباء 19 : 129.

2- 2. معجم الأدباء 19 : 124 ، إنباه الرواة 3 : 267.

3- 3. إنباه الرواة 3 : 267.

وأخرنى دهرى وقدم معشرا

على أنهم لا يعلمون وأعلم (1)

وله أيضا :

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى

من وصل غانية وطيب عناق

وتمايلى طربا لحل عويصة

أشهى وأحلى من مدامة ساق

وصرير أقلامى على أوراقها

أحلى من الدوكاء والعشاق

وألذ من نقر الفتاة لدفها

نقرى لألقى الرمل عن أوراقى

أأبيت سهران الدجى وتبيته

نوما وتبغى بعد ذاك لحاقى (2)

وقال أيضا :

ألا قل لسعدى ما لنا فيک من وطر

وما تطيبنا النجل من أعين البقر

فإنا اقتصرنا بالذين تضايقت

عيونهم والله يجزى من اقتصر

مليح ولكن عنده كل جفوة

ولم أر فى الدنيا صفاء بلا كدر

ولم أنس إذ غازلته قرب روضة

إلى جنب حوض فيه للماء منحدر

فقلت له : جئنى بورد وإنما

أردت به ورد الخدود وما شعر

فقال : انتظرنى رجع طرف أجئ به

فقلت له : هيهات ما فى منتظر

فقال : ولا ورد سوى الخد حاضر

فقلت له : إنى قنعت بما حضر (3)

وله أيضا :

لا تلمنى إذا وقيت الأواقى

فالأواقى لماء وجهى أواقى (4)

وقال أيضا فى ذم متابعة النساء :

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنة

ولن يسود فتى أعطى النسا رسنه

1- 1. مقدمة الفائق 1 : 9.

2- 2. مقدمة الفائق 1 : 8.

3- 3. وفيات الأعيان 5 : 172 ، سير أعلام النبلاء 20 : 155 ، وقال الذهبى معلقا : هذا شعر ركيک لا رقيق.

4- 4. روضات الجنات 8 : 126.

تعوقه عن كمال فى فضائله

ولو سعى طالبا للعلم ألف سنه (1)

ومما ينسب إليه قوله :

تزوجت لم أعلم وأخطأت لم أصب

فيا ليتنى قدمت قبل التزوج

فوالله ما أبكى على ساكنى الثرى

ولكننى أبكى على المتزوج (2)

وينسب له فى مدح الخمول :

اطلب أبا القاسم الخمول ودع

غيرك يطلب أساميا وكنى

شبه ببعض الأموات نفسك لا

تبرزه إن كنت عاقلا فطنا

ادفنه فى البيت قبل ميتته

واجعل له من خموله كفنا

علك تطفى ما أنت موقده

إذ أنت فى الجهل تخلع الرسنا (3)

ومن شعره :

أقول لظبى مر بى وهو راتع :

أأنت أخو ليلى؟ فقال : يقال

فقلت : وفى حكم الصبابة والهوى

يقال : أخو ليلى؟ فقال : يقال

فقلت : وفی ظل الأراکة والحمی

یقال : ویستسقی؟ فقال : یقال (4)

وقال أیضا :

لا بد فی غفلة یعیش بها ال

مرء وإلا فعیشه کدر

أما رأیت الصحیح یؤلمه

ما لا یبالی بمثله الحذر

وله أیضا :

أشمال ویحک بلغی تسلیمی

من لیس یبلغه لنا تسلیم

مری به وتعلقی بردائه

لیکون فیک من الحبیب نسیم

1- 1. روضات الجنات 8 : 127.

2- 2. روضات الجنات 8 : 127.

3- 3. الکنی والألقاب 2 : 268.

4- 4. شذرات الذهب 4 : 121.

قولى له : ما بال قلبک قاسيا

ولقد عهدتک بى وأنت رحيم

إنى أجلک أن أقول ظلمتنى

والله يعلم أننى مظلوم (1)

وأجاب الزمخشرى الأمير شبل الدولة أبو الهيجاء مقبل بن عطية البكرى الذى مدحه بعدة أبيات فقال :

شعره أمطر شعبى شرفا

فاعتلى منه نبات الجسد

كيف لا يستاسد النبت إذا

بات مسقيا بنوء الأسد

وقال أيضا فى قصيدة طويلة يمدح بها الوزير مجير الدولة الأردستانى :

أيا حبذا سعدى وحب مقامها

ويا حبذا أين استقل خيامها

حياتى وموتى قرب سعدى وبعدها

وعزى وذلى وصلها وانصرامها

سلام عليها أين أمست وأصبحت

وإن كان لا يقرا على سلامها

رعى الله سرحا قد رعى فيه سرحها

وروض أرضا سام فيه سوامها

إذا سحبت سعدى بأرض ذيولها

فقد أرغم المسک الذكى رغامها

وإن ما يست قضبان بان رأيتها

تنكس واستعلى عليها قوامها (2)

قال القفطى : وأنشدنى أفضل الدين أميرک الزبيانى له من قصيدة فيها :

يفوح كفوح المسک فاغم نشرها

إذا التحبت فيها ذلاذل ريح

يقول لها الطش السماوى والصبا

مقيما على تلک الصبابة فوحى

مضاجع سعدان مغارس حنوة

مناجم قيصوم منابت شيح

إذا ملح المكاء رجع صغيره

يجاوبه قمريها بمليح

كأن بديحا والغريض تطارحا

على وتر للموصلى فصيح (3)

1- 1. إنباه الرواة 3 : 270.

2- 2. إنباه الرواة 3 : 267.

3- 3. إنباه الرواة 3 : 269.

عقيدته :

أطبقت المصادر التى تعرضت لترجمة المصنف أنه كان حنفى المذهب معتزلى العقيدة ، ويقال إنه لما صنف كتابه الكشاف استفتح الخطبة بالحمد لله الذى خلق القرآن. فقيل له : متى تركته على هذه الهيئة هجره الناس فغيره بالذى أنزل القرآن ، وقيل : هذا اصطلاح الناس لا اصطلاح المصنف (1).

يقول فيه الذهبى : «صالح ، لكنه داعية إلى الاعتزال ، أجارنا الله ، فكن حذرا من كشافه» (2).

وقال ابن كثير «وكان يظهر مذهب الاعتزال ، ويصرح بذلک فى تفسيره ويناظر عليه» (3).

ويظهر أن الزمخشرى كان يعتد بما يذهب إليه كثيرا ، فقد ذكر ابن العماد الحنبلى ما لفظه : «وكان الزمخشرى معتزلى الاعتقاد متظاهرا به حتى نقل عنه أنه كان إذا قصد صاحبا له واستأذن عليه فى الدخول ، يقول لمن يأخذ له الإذن ، قل له : أبو القاسم المعتزلى بالباب» (4).

إلا أن الأمير محمد حسين الحسنى الحسينى الأصفهانى ذهب - على ما نقله عنه صاحب الروضات - إلى أن الرجل تشيع فى أواخر حياته ، بدليل ما ورد فى «ربيع الأبرار» من نصوص تشعر بهذا المعنى ، فقال : «فإنه لا ريب فى كونه على مذهب أهل السنة والجماعة فى مبادئ أمره ، كما يفصح عنه تصفح الكشاف ، فإنه سلک فيه مسلک الاعتساف فى مسألة الإمامة وما يتعلق بها ، ولذلک أجمعت الإمامية على كونه من العامة ولم يجوز أحد من العلماء استبصاره ورجوعه ، ولكنه

1- 1. أنظر مرآة الجنان لليافعى 3 : 270.

2- 2. ميزان الاعتدال 4 : 78.

3- 3. البداية والنهاية 12 : 219.

4- 4. شذرات الذهب 4 : 121.

لما اتفق لی مطالعة کتابه المسمی ب «ربیع الأبرار» وعثرت علی کلام له صریح فی التشیع لا یقبل التأویل ثم تصفحت وتفحصت فیه عما یؤکد ذلک فظفرت علی غیره من الشواهد مما لا یجتمع مع قواعد العامة وتأویلاتهم من نحو ذکره لفضائل السید الحمیری وأشعاره الرائقة فی فضائل أهل البیت علیهم السلام» (1) ثم ذکر عدة موارد من الکتاب تأکیدا لما یذهب إلیه.

وعلق السید الخوانساری علی الأبیات التی قالها فی مدح آل النبی صلی الله علیه وآله قائلا : «وفیه أیضا من الدلالة علی تشیع الرجل - ولو فی آخر عمره - ما لا یخفی» (2).

ولا نرید فی هذه العجالة الخوض فی لجج هذه المسألة ، بقدر ما قصدنا الإشارة إلیها.

وفاته :

توفی الزمخشری بعد رجوعه من مکة المکرمة لیلة عرفة من سنة 538 ه فی جرجانیة خوارزم ، وهی بضم الجیم الأولی وفتح الثانیة وسکون الراء بینهما وبعد الألف نون مکسورة وبعدها یاء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساکنة ، قال یاقوت : یقال لها بلغتهم کرکانج ، وقد عربت فقیل لها الجرجانیة وهی علی شاطئ جیحون.

وأوصی أن تکتب علی لوح قبره هذه الأبیات :

یا من یری مد البعوض جناحها

فی ظلمة اللیل البهیم الألیل

ویری عروق نیاطها فی نحرها

والمخ فی تلک العظام النحل

اغفر لعبد تاب من فرطاته

ما کان منه فی الزمان الأول

1- 1. روضات الجنات 8 : 120.

2- 2. روضات الجنات 8 : 127.

نحن والرسالة :

من الطريف أن كل من ترجم للزمخشرى وذكر مصنفاته ، لم يذكر رسالتنا هذه ولم يتعرض لها ، مما يضفى على هذه الرسالة أهمية خاصة لا تخفى على ذوى الألباب ، إلا أن هذه الحقيقة تفتح الأبواب مشرعة أمام من يتساءل عن صحة نسبة الرسالة للزمخشرى ، وجوابنا هو ما يلى :

1 – إن أسلوب كتابة الرسالة من المتانة اللغوية والبلاغية بمكان ، يكاد يقطع كل من يطالعها إلى أنها ترتقى بمستواها إلى أسلوب الزمخشرى الرفيع.

2 – توجد هناك مجموعة من التعابير المجازية المستخدمة فى الرسالة وجدتها بألفاظها ومعانيها فى كتاب «أساس البلاغة» للزمخشرى ، وفى هذا من الدلالة ما لا يستهان به.

3 – قول السائل فى مقدمة الرسالة التى بعثها للمؤلف : «ساعات سيدنا الإمام الزاهد الحبر العلامة جار الله شيخ العرب والعجم» وقوله أيضا : (بعد أن جشم خاطره فى «الكشاف عن حقائق التأويل») يدل دلالة واضحة على أن مؤلف الرسالة هو الزمخشرى صاحب الكشاف ، ويدل أيضا على أن تأليفها كان بعد تأليف كتاب الكشاف ، ولعل هذا يفسر عدم ذكر المصنف لهذه الرسالة فى تفسير سورة الكوثر فى كتابه الكشاف.

منهج التحقيق :

اعتمدت فى تحقيق الرسالة على نسخة واحدة قام باستنساخها سماحة العلامة السيد عبد العزيز الطباطبائى عن النسخة المحفوظة فى المكتبة الظاهرية بدمشق فى تاريخ 17 ربيع الأول سنة 1383 ه ، حيث تفضل على بها مشكورا ، والنسخة المذكورة كان قد نقلها محمد سعيد بن عمر كرامة عن نسخة موجودة فى المكتبة العارفية فى المدينة المنورة ، صدرها بقوله : «رسالة فى إعجاز سورة الكوثر التى هى

أقصر السور للعلامة الطائر الصيت جار الله الزمخشرى» وتوجد فى النسخة حواشى كتبها الناسخ ، نقلت منها فى ثلاثة موارد فقط رامزا لها ب «ه م» أى هامش المخطوط ، حفظا للأمانة العلمية.

وحاولت جهد الإمكان أن أقدم نصا مضبوطا للقارئ ، أقرب ما يكون لها تركه المؤلف على أنه لم تقع فى يدى أكثر من نسخة واحدة ، وفى ذلك من المصاعب ما لا يخفى على أصحاب الخبرة فى هذه الميدان ، فسعيت لتحقيق هذا الغرض بتخريج أغلب الألفاظ الصعبة من المعاجم اللغوية ، ولا يفوتنى أن أشكر أخى الأستاذ أسد مولوى الذى استفدت من ملاحظاته فى هذا المضمار ، وترجمت لأغلب الأعلام الواردين فى الرسالة ، وشرحت الأمثال التى أقحمها المؤلف فى سياق كلامه مع ذكرها مصادرها ، وتعرضت لشرح المصطلحات البلاغية والكلامية ك «الالتفات» و «الصرفة» متوخيا بذلك تبسيط النص ، وخرجت النصوص الواردة من آيات وأحاديث وآثار ، ذيلت كل ذلك فى هامش الكتاب الذى يعتبر ساحة عمل المحقق.

آملا بعملى هذا أن يكون قد قدمت جهدا متواضعا يصب فى خدمة المكتبة الإسلامية ، ورافدا لمسيرتها المباركة ، بما هو نافع من تراثنا المعطاء ، والحمد لله رب العالمين.

حامد الخفاف

21 رجب 1408 ه

(هذه الرسالة المعروضة إلى العلامة الزمخشرى من بعض معاصريه التى كانت رسالته الآتية جوابا عنها بيانا لما فى ضمنها.

بسم الله الرحمن الرحيم

ساعات سيدنا الإمام الزاهد الحبر العلامة جار الله شيخ العرب والعجم ، أدام الله إمتاع المسلمين ببقائه ، وإن كانت مقصورة على الاستعداد للمعاد ، مستغرقة فى اتعاب خاطره الوقاد فى فنون الاجتهاد ، لا يفتر طرفة عين عن تصنيف ينفث فيه سحره ، ويلفظ للغواصين فيه دره ، بعد أن جشم خاطره فى «الكشاف عن حقائق التأويل» وأجال رويته فى البحث عن وجوه التأويل ، مدئبا فى الفكر مطاياه ، متغلغلا فى علم البيان إلى زواياه وخباياه ، حتى ارتفع كتابا ساطعا بيانه ، جليا برهانه ، مشحونا بفوائد لا يدركها الاحصاء ، ومحاسن لا يقصرها الاستقصاء ، لكنه مع هذا يتوقع من دينه المتين وفضله المبين أن يتصدق على معشر الداعين لأيامه ، الشاكرين لإنعامه ، بالجواب عن اعتراضات تنزاح بسببه شبه المرتابين ، ليتوصلوا بنتائج خاطره ، وبركات أنفاسه ، إلى ثلج الصدور وبرد اليقين ، والله تعالى ولى توفيقه فى ما يكسبه جزيل المثوبة فى العقبى ، وحسن الأحدوثة فى الدنيا إن شاء الله.

فمنها : سأل سائل فقال : ذكرتم أن لغة العرب لها من الفضيلة ما ليس لسائر اللغات ، فقلتم قولا غفلا ساذجا من غير أن تشيروا إلى بيان وجه التفضيل ، وتبينوا الخواص التى لأجلها أحدث وصف الفضيلة والشرف ، وتعدوها فصلا فصلا ، وتشيروا إليها شيئا فشيئا ، وما أنكرتم على من قال لكم : إن لغة العرب وغيرها من اللغات المختلفة كالسريانية والعبرانية والهندية والفارسية كلها على

السواء ، لا فضيلة لبعضها على البعض ، وإنما هى مواضعات ورسوم واصطلاحات وضعت لأجيال الناس للإفهام والإعلام ، لتكون دلالات على المقاصد والأغراض.

وذكرتم أن فى لغة العرب دقائق وأسرارا لا ننال إلا بجهد التأمل وفرط التيقظ ، فلا يخفى أن هذه الأسرار والدقائق لا يمكن دعواها فى الأسماء المفردة والأفعال المفردة والحروف المفردة ، وإنما يمكن دعوى هذه الأسرار على تقدير ارتباط الكليم ، وجعل بعضها يتصل بسبب بعض وينتظم ، ومثل هذا موجود فى كل لسان إذا ربطت بعض الكلم ببعض ، وراعيت فى ربطها الأليق فالأليق ، حصل لک المقرر والمقصود ، وقارن فى هذه القضية لغة العرب وغيرها من اللغات على السواء.

ومنها : أنه لا يخفى أن القرآن سيد معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام ، والعلم بكونه معجزا علم ضرورى ، ولكن الشأن فى بيان إعجازه ، فمن قائل يقول وهو النظام (1) ومن تبعه : إن الآية والأعجزية فى القرآن اختصاصه بالإخبار عن الغيوب بما كان ويكون ، وبمنع الله العرب أن يأتوا بمثله. قال : وأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد ، لولا أن الله تعالى منعهم وأعجزهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم.

ومن قائل يقول : وجه الاعجاز فى القرآن أنه أسلوب من أساليب الكلام ، وطريقة ما عهدها العرب ولا عرفوها ، ولم تكن مقدورة لهم.

ومن قائل يقوله : وجه الاعجاز فيه علمنا بعجز العرب العاربة على أن

---

1 - 1. هو إبراهيم بن سيار بن هانئ البصرى ، أبو إسحاق النظام ، من أئمة المعتزلة ، تبحر فى علوم الفلسفة ، واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين ، وانفرد بآراء خاصة ذكرها الشهرستانى فى الملل والنحل ، تابعته فيها فرقة من المعتزلة ، سميت «النظامية» نسبة إليه ، أما شهرته بالنظام فبعض يقول : إنها من إجادته نظم الكلام ، وبعض يقول : إنه كان ينظم الخرز فى سوق البصرة ، توفى سنة 231 ه.

يأتوا بمثله ، وتركهم المعارضة مع تكرار التحدى عليهم وطول التقريع لهم ، فإذا عجز العرب عن ذلک فنحن أولى بالعجز.

ومن قائل يقول : وجه الاعجاز فيه هو ما اختص به من الفصاحة والبلاغة التى بهرم عند سماعها ، وطأطأوا رؤوسهم عند طروقها ، وعليه الأكثرون.

فإن عسى اعترض المعترض وقال :

ماذا أعجزهم؟ وماذا أبهرهم؟ ألفاظ القرآن أم معانيه؟! إن قال : أردت الألفاظ مع شئ منهما لا يجب فضل البتة على تقدير الانفراد ، لأن الألفاظ [لا] تراد لنفسها ، وإنما تراد لتجعل دلالات على المعانى ، ولأن الألفاظ التى نطق بها القرآن ليست إلا أسماء وأفعالا وحروفا مرتبطا بعضها ببعض ، ويستعملونها فى مخاطباتهم ، وكذلک الجمل المنظومة.

وإن قال : أعجزهم المعانى. يقال له : أليس إنهم كانوا أرباب العقول وأهل الحجى ، يدركون غوامض المعانى بأفهامهم ، ولهم المعانى العجيبة ، والتمثيلات البديعة ، والتشبيهات النادرة.

وإن قال : بهرم النظم العجيب. يقال له : أليس. معنى النظم هو تعليق الكلم بعضها ببعض ، وهى الأسماء والأفعال والحروف ، ومعرفة طرق تعلقها ، كتعلق الاسم بالاسم ، بأن يكون خبرا عنه أو صفة له أو عطف بيان منه ، أو عطفا بحرف عليه ، إلى ما شاكله من سعة وجوهه ، وكتعلق الاسم بالفعل ، بأن يكون فاعلا له ، أو مفعولا ، إلى سائر فروعه واتباعه ، وكتعلق الحرف بهما كما هو مذكور فى كتب النحو ، وهم كانوا يعرفون جميع ذلک ، وكانوا يستعملونه فى أشعارهم وخطبهم ومقاماتهم ، ولو لم يعرفوا وجوه التعلق فى الكلم ، ووجوه التمثيلات والتشبيهات ، لما تأتى لهم الشعر الذى هو نفث السحر.

فحين تأتى لهم ذلک ، ومع هذا عجزوا عن المعارضة ، دل على أن الله تعالى أحدث فيهم عجزا ومنعا.

قال : ولأن الإعجاز فی القرآن لو کان لمکان اختصاصه بالفصاحة والبلاغة لنزل القرآن من أوله إلی آخره فی أعلی مراتب الفصاحة ، ولکان کله علی نسق قوله تعالی : «وقیل یا أرض ابلعی مائک ویا سماء اقلعی وغیض الماء ...» (1). ولیس کله نزل علی هذا النسق ، بل فیه ما هو فی أعلی مراتب الفصاحة کما ذکرنا ، وما هو دونه کقوله تعالی : «تبت یدا أبی لهب وتب» و «إذا جاء نصر الله والفتح» و «قل یا أیها الکافرون».

ولأن الحال لا تخلو إما أن یقال لا رتبة فی الفصاحة أعلی من رتبة القرآن ، کما ذهب إلیه بعض أهل العدل ، فقالوا : لو کان فی المقدور رتبة أعلی منها لأنزل الله سبحانه وتعالی علیها القرآن ، إذ لا یحسن أن یقتصر المکلف علی أدنی البیانین مع قدرته علی أعلاهما ، ولأن فی أعلی البیانین وجه الدلالة علی صدق الرسول أقوی.

وأما أن یقال : بأن القرآن وإن کان فصیحا بلیغا ففی مقدور الله تعالی ما هو أعلی منه مرتبة فی الفصاحة. فیقول المعترض فهلا أنزله من أوله إلی آخره علی أعلی مراتب الفصاحة التی لیس وراءها منتهی.

قال : فهذا دلیل علی أن العمدة فی الإعجاز لیس اختصاصه بالفصاحة والبلاغة لکن عجز ومنع أحدثهما الله تعالی فلم یشتغلوا بالمعارضة.

ومنها : إن الله تعالی أنزل القرآن وأودع فیه من العلوم ما علم أن حاجة الخلق تمس إلیه إلی قیام الساعة ، لا جرم بذل العلماء فی کل نوع منه مجهودهم ، واستفرغوا فیه جهدهم ووسعهم ، فأهل الکلام - خصوصا أهل العدل والتوحید - استظهروا فی ما ذهبوا إلیه من العدل والتوحید بالآیات الواردة فیه علی صحة ما اعتقدوه ، وعلی [إبطال] ما ذهب إلیه أهل الأهواء والبدع وفساد ما انتحلوا.

وأهل الفقه غاصوا فی بحور النصوص فاستنبطوا منها المعانی وفرعوا الأحکام علیها.

1- 1. سورة هود 11 : 44.

وأهل التأويل خاضوا فى محكمها ومتشابهها ، ومجملها ومفصلها ، وناسخها ومنسوخها.

وأهل النحو بسطوا الكلام فى تصانيفهم بسطا فكل أنفق على قدر ما رزق ، ثم لم يبلغنا عن واحد منهم أنه شمر ذيله وادرع ليله (1) فى بيان وجه الإعجاز على التفصيل سورة فسورة وآية فآية ، فابتدأ مثلا بفاتحة الكتاب فكشف عن وجه الإعجاز فى ثلاث آيات منها ، ثم ترقى إلى ثلاث آيات أخر فكشف عنها أيضا وجه الإعجاز إلى أن ينتهى إلى آخرها ، مع شدة الحاجة إلى ذلک فى كل زمان ، إذ حجة الله تعالى قائمة ، ومعجزته على وجه الدهر باقية.

وكذلک لم ينقل أنهم صنفوا فى هذا الباب على هذا الوجه تصنيفا مع تهالهكم وولوعهم ، والعجب أنهم صنفوا فى حلى الصحابة والتابعين وهيئاتهم ، فذكروا الطوال منهم والقصار ، ومن ابتلى منهم بالعمى والعور والعرج والعجمة والزمانة والشلل ، مع أن بالخلق مندوحة وغنية عن ذلک.

وهذا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (2) صنف كتبا فى الجد والهزل تكاد لا تعد ولا تحصى ، فصنف كتابا سماه «القعرة والشفرة» (3) وآخر سماه «مفاخرة الشتاء والصيف» إلى أشباه هذا كثيرة ، صعد فيها وصوب ، وشرق وغرب ،

1- 1. يقال : «شمر ذيلا وادرع ليلا» أى استعمل الحزم واتخذ الليل جملا. «الصحاح - در1. 3 : 1207».

2- 2. عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء ، الليثى ، أبو عثمان ، الشهير بالجاحظ : كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ، ولد سنة 163 ه ، وكان مشوه الخلقة ، وفلج فى آخر عمره ، له تصانيف كثيرة ذكرت فى مظان ترجمته ، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه ، مات فى البصرة سنة 255 ه.

3- 3. امرأة قعرة وقعيرة : بعيدة الشهوة ، عن اللحيانى ، وقيل : هى التى تجد الغلمة فى قعر فرجها ، وقيل : هى التى تريد المبالغة ، وقيل : سوء فى الجماع «لسان العرب - قعر - 5 : 109».

وحشاها بما لا حاجة للخلق فيه إلى معرفته ، ثم لما آل الأمر إلى بيان وجه الإعجاز على التفصيل آية فآية وسورة فسورة ، ضم شفتيه ضما ، وختم على لسانه ختما ، فلم ينبس بكلمة أو كلمتين ، ورضى من الغنيمة بالإياب (1)

وإذ صح أن السلف رحمهم الله مع تقدم الخواص منهم فى علم البيان ، والتبحر فى الإحاطة بحقائق المعانى ، وصدق رغبتهم فى إحراز الثواب ، وحاجتهم إلى أن يكون لهم لسان صدق فى الآخرين ممر الأحقاب ، لم يشتغلوا ببيان الإعجاز على التفصيل فى كل آية منه ، بل أعرضوا من ذلك بواحدة مع أنهم أشاروا إلى ذلك على سبيل الاجمال ، والحال لا- تخلو إما أن يقال خفى عليهم وجه الإعجاز على التفصيل على هذا الوجه ، فلم يقفوا عليه ولم يهتدوا إليه أولا. فإن قيل : خفى عليهم ولم يقفوا عليه ولم يجدوا طريقا إليه. فيقال : إذن مؤنة البحث والتنقير عنهم ساقطة ، ووجوه العذر لهم فى الإعراض عن ذلك ظاهرة.

ولئن لم يخف عليهم فلم لم يصرفوا معظم همهم إلى هذا الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، فيصنفوا ويشرحوا كما صنفوا فى فروع الأحكام من الحلال والحرام ، وصنفوا فى فروع الكلام ، فلم يبق إلا أن يقال : أحدث فى الكل منعا منعهم عن ذلك لمصلحة رآها فيه.

فهذه عدة أسئلة فليتفضل أدام الله علوه بالإجابة عنها ، والله يعصمه من الخطأ والزلل ، ويوفقه لإصابة القول والعمل ، إنه على ما يشاء قدير. تمت.

* *

1- مثل سائر ، أول من قاله امرؤ القيس بن حجر فى بيت له ، وهو : وقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب يضرب عند القناعة بالسلامة ، «مجمع الأمثال 1 : 295 / 1560».

بسم الله الرحمن الرحيم

نمقت يد الأخ فى الله الإمام الصـمصام زاده الله فى الدين طمأنينة وثلجا (1) ، وفى مواقف الجدل فوزة وفلجا (2) ، صحيفة قد احتبى فى تجويـدها وتربع ، وتبـدع فى إنشائهـا وتبرع ، ولـم يألها تمليحا وترشـيقا ، وما ادخر عنها توشـيحا وتطويقا ، وخرج سؤالات لو صک بها ابن الأهتم لهتمت أسنانه (3) ، أو ابن المقفع (4) لقفعت بنانه ، أو ابن القرية (5) لبقى خابطا فى مرية (6) ، وإن أفرغ

1- 1. يقال : ثلجت نفسـى بالأمر تثلـج ثلجا ، وثلجت تثلـج ثلوجا إذا اطمأنت إليه وسـكنت ، وثبت فيها ووثقت به «النهاية - ثلج - 1 : 219».

2- 2. الفالج : الغالب أو المنتصر ، أنظر «النهاية - فلج - 3 : 468».

3- 3. صكه ضربه شديدا ، ومنه قوله تعالى : «فصكت وجهها» ، وابن الأهتم هو عمرو بن سنان الأهتم ، وإنما لقب أبوه سنان بالأهتم لأنه هتمت ثنيته يوم الكلاب أى كسرت ، يقال : هتمت الثنيه إذا كسرتها ، وهتمت هى إذا انكسرت.

4- 4. عبـد الله بن المقفع : من أئمة الكتاب ، وأول من عنى فى الإسـلام بترجمة كتب المنطق ، ولد فى العراق مجوسـيا ، وأسـلم على يد عيسـى بن على (عم السـفاح) ، وولى كتابة الديوان للمنصور العباسى ، وأنشأ وسائل غاية فى الابداع ، واتهم بالزندقة فقتله فى البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبى سنة 142 ه ، وأما المقفع أبوه فاسمه المبارک ، ولقب بالمقفع لأن الحجاج ضربه فتقفعت يده أى تشنجت.

5- 5. هو أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالى : أحد بلغاء الدهر ، خطيب يضرب به المثل ، يقال : «أبلغ من ابن القرية» والقرية جدته ، قتله الحجاج سنة 84 بعد أن أسـره فى وقعة دير الجماجم بعد أن قال له : والله لأزيرنک جهنم! قال : فأرحنى فإنى أجد حرها! فأمر فضربت عنقه. ولما رآه قتيلا قال : لو تركناه حتى نسمع كلامه. وأخباره كثيرة.

6- 6. المراء : الجدال ، والتمارى والمماراة : المجادلة على مذهب الشک والريبة «النهاية - مرا - 4 : 332».

صماخ قريته (1)، وهكذا جحاجحة العرب، لا تتخطاهم فى رشق أصابه، ولا تسقط لنازعهم فى قوس نشابه (2).

وسألنى الإجابة عن تلك السؤالات بنظم رسالة من أبلغ الرسالات، تقع من السائل موقع الفرات (3) من الحران (4)، وتنزل منه منزلة السداد من الحيران، وكرر الطلب وردد، وألح فيه وشدد، وضيق على الأمر وعوصه، وقال: أنت الذى عينه الله وشخصه، حتى لم أجد بدا من إجابته إلى ما أراد، وإسعافه بما ابدأ فيه وأعاد، وكان أمثل الأمرين أن الجم نفسى وأحجرها، وأن ألقمها حجرها، ولا أفغر بمنطق فما، ولا أبل بجواب قلما، وليس بين فكى لسان دافع، وليس فى ماضغى ضرس قاطع، ولا بين جنبى نفس حركة نشيطة، ولكن حردة (5) مستشيطة، لما أنا مفجوع به من مفارقة كل أخ كان يسمع منى الكلمة الفذة فيضعها على رأسه، ويعض عليها بأضراسه، ويتقبلها بروحه، ويلصقها بكبده، ويجعلها طوقا فى أعلى مقلده، ويسكنها صميم فؤاده، ويخطها على بياض ناضره بسواده، لولا خيفة أن تسول له نفسه أننى أقللت الاكتراث بمراسلته، وأخللت الاحتفال بمسألته، وأن يقول بعض السمعة - ممن يحسب لسانى لسان الشمعة - : أقسم بالله قسما ما وجد فى ديسم (6) دسما، فمن ثم ضرب عنه صفحا، وطوى

1- 1. أفرغ: صب، وصماخ ككتاب: الأذن، وكعراب: الماء، وقرية: الحوصلة. والمراد بها ما اشتهر به من البلاغة حتى صارت له كالعلم، كما صار اسم حاتم للكرم، والتفسير عليها دون القرية واحدة القرى، ودون القربة سقاء الماء واللبن، أى وإن صب أذن حافظته، أو استنزف ماء قريحته، كناية عن إجهاد نفسه فى البيان، وخنق فرسه فى الميدان، فهذه الأسئلة إن قرعت له سمعا يضيق بها ذرعا، ويبقى خابطا فى الشك والجدل، لا حول له بها ولا حيل. «ه م».

2- 2. لا تسقط أى لا تخطئ، ونزع القوس مدها، ونشابه أى نبله، أى هذه السؤالات كما يقصر عنها المذكورون من أئمة الأدب، فإنها تصيب بلاغة سادات العرب، ولا تخطئ نبل متقوسهم فى إرب. «ه م».

3- 3. الفرات: أشد الماء عذوبة «لسان العرب - فرات - 2: 65».

4- 4. الحران: العطشان «مجمع البحرين - حرر - 3: 264».

5- 5. يقال: حرد الرجل حرودا إذا تحول عن قومه وانفرد. أنظر «النهاية - حرد - 1: 362».

6- 6. الديسم: بالفتح ولد الدب، قال الجوهرى: قلت لأبى الغوث: يقال إنه ولد الذئب من الكلبة، فقال: ما هو إلا ولد الدب، وقال فى المحكم: إنه ولد الثعلب. وقال الجاحظ: إنه ولد الذئب من الكلبة، وهو أغير اللون وغبرته ممتزجه بسواد، وحكمه تحريم الأكل على كل تقدير. «الحيوان 1: 343».

عنه كشحا ، ولم يوله لمحه طرف ، ولم ينطق فى شأنه بحرف.

أما العرب فقد صح أن لغتها أصح اللغات ، وأن بلاغتها أتم البلاغات ، وكل من جمح فى عنان المناكرة ، وركب رأسه فى تيه المكابرة ، ولم يرخ للتسليم والإذعان مشافره (1) فما أفسد حواسه ومشاعره! وهو ممن أذن بحرب منه لعقله الذى هو إمامه فى المرشد ، ولتمييزه الذى هو هاديه إلى المقاصد.

إعلم يا من فطر على صلابة النبع ، وأمد بسلامة الطبع ، ووفق للمشى فى جادة العدل والإنصاف ، وعصم من الوقوع فى عاثور الجور والاعتساف ، فإن واضع هذا اللسان الأفصح العربى من بين وضاع الكلام ، إن لم يكن واضعه رافع السماء وواضع الأرض للأنام ، فقد أخذ حروف المعجم التى هى كالمادة والعنصر ، وبمنزلة الإكسير والجوهر ، فعجمها مبسوطات فرائد ، ودافها (2) الواحد فالواحد ، وتقلقلت فى يده قبل التأليف ، تقلقل الدنانير فى أيدى الصيارف (3) ، حين تراهم ينفون زيفها وبهرجها(4) ، ويصطفون إبريزها وزبرجها ، فتخير من بينها أطوعها مخارج ، وتنخل منها أوطأها

1- الشفر : بالضم ، وقد يفتح ، حرف جفن العين الذى ينبت عليه الشعر «النهاية - شفر - 2 : 484».

2- داف الشئ ذوفا وأدافه : خلطه «لسان العرب - دوف - 9 : 108».

3- لم يرد جمع الصيرفى أى النقاد على هذه الصيغة إلا فى الشعر قال ابن منظور : «الجمع صيارف وصيارفة ، والهاء للنسبة ، وقد جاء فى الشعر الصيارف ، فأما قول الفرزدق : تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة نفى الدراهيم تنقاد الصيارف فعلى الضرورة لما احتاج إلى تمام الوزن أشبع الحركة ضرورة حتى صارت حرفا». وقال الفيروزآبادى : «وقد جاء فى الشعر صياريف» ولعل ما أورده الزمخشرى تبعا لاقتضاء سجع العبارة ظاهرا ، أنظر «لسان العرب 9 : 190 ، القاموس المحيط 3 : 162 ، مادة صرف».

4- البهرج : الباطل ، واللفظة معربة. وقيل كلمة هندية أصلها نبهله ، وهو الردئ ، فنقلت إلى الفارسية ، فقيل نبهره ، ثم عربت فقيل : بهرج. «النهاية - بهرج - 1 : 166».

مدارج وميز أسلسها على الأسلات (1) ، وأعذبها على العذبات (2) ، وأحلاها فى الذوق وأسمحها ، وأبهاها عند السبر وأملحها ، وأبعدها من مج الأسماع ، وأقربها امتزاجا بالطباع ، وأوقعها لفحول الأمة الناغمة بأجراسها ، وأحسنها طباقا لطرق أنفاسها.

ولما انتقل من انتقاء وسائطها ، بعد انتقاد بسائطها ، إلى أن يؤلف ويركب ، ويرصف ويرتب ، عمد فى عمل التراكيب إلى أشرف الأنماط والأساليب ، فألف أنماطا تستهش (3) أنفس الناطقين ، وكلمات تتحلب (4) لها لهى (5) الذائقين ، وتجول فى فجوات الأفواه ، فتتمطق (6) بها مستلذات ، ويطرق بها الآذان فتهوى بها مغذات (7) ، وما طنت على مسامع أحد من أجيال الأعاجم ، وأخياف الطماطم (8) إلا أصغى إليها متوجسا ، وأصاخ لها مستأنسا ، وأناس (9) فوديه (10) مستعجبا ، وأمال عطفيه مستغربا ، وقال : ما هذا اللسان المستلذ على الصماخ (11) إيقاعه ، المحلولى فى مخارق الآذان استماعه ، المفارق لجميع اللغات والألسنة ، المصون من الحروف الملكنة.

====

12. الفود : معظم شعر الرأس مما يلى الأذن ، ووفودا الرأس جانباه «لسان العرب - فود - 3 : 340».

13. صماخ الأذن بالكسر : الخرق الذى يفضى إلى الرأس ، وهو السميع ، وقيل هو الأذن نفسها «مجمع البحرين - صمخ - 2 : 437».

1- 1. الأسلات : جمع أسلة ، وهى طرف اللسان «النهاية - أسل - 1 : 49».

2- 2. عذبة اللسان : طرفه ، والجمع «عذبات» كقصبة وقصبات. «مجمع البحرين - عذب - 2 : 117».

3- 3. يقال : استهشنى أمر كذا فهششت له أى استخفنى فخففت له «لسان العرب - هشش - 6 : 364».

4- 4. تحلب العرق وانحلب أى سال «الصحاح - حلب - 1 : 115».

5- 5. جمع لهاة ، وهى اللحمات فى سقف أقصى الفم «النهاية - لها - 4 : 284».

6- 6. يقال : ذاقه فتمطق له إذا ضم شفتيه إليه وألصق لسانه بنطع فيه مع صوت «أساس البلاغة : 432».

7- 7. مغذات : مسرعات.

8- 8. أخياف أى مختلفون ، والطماطم جمع طمطم ، وهو الذى فى لسانه عجمة لا يفصح. أنظر «أساس البلاغة : 432».

9- 9. مغذات : مسرعات.

10- 10. أخياف أى مختلفون ، والطماطم جمع طمطم ، وهو الذى فى لسانه عجمة لا يفصح. أنظر «أساس البلاغة - خيف - 10. الصحاح - طمم - 5 : 1976».

11- 11. ناس الشئ بنوس نوسا ونوسانا : تحرك وتذبذب متدليا. «لسان العرب - نو11. 6 : 245».

وما ذاک إلا لأن حکم المسموعات حکم المبصرات والممسوسات ، وغیرها من سائر المحسوسات ، فکما أن الأعین فارقة بین المناظر العثاث والملاح ، والأوجه القباح والصباح ، والأنوف فاصلة بین الأعطار الفوائح ، وبین مستکرهات الروائح ، والأفواه ممیزة بین طعوم المآکل والمشارب وبین المستبشعات منها والأطائب ، والأیدی مفرزة لما استلانت مما استخشنت ، ولما استخفت مما استرزنت (1) ، کذلک الآذان تعزل مستقیمات الألحان من عوجها ، وتعرف مقبول الکلام من ممجوجها ، والألسن تنبسط إلی ما أشبه من الکلام مجاج الغمام (2) ، وتنقبض عما یشاکل منه أجاج (3) الجمام (4) ، وهذه طریقة عامیة یسمعها ویبصرها ویسلمها ولا ینکرها من یری به شئ من طرف ، أو یرامق (5) بأدنی عرف.

وأما الطریقة الخاصیة التی تضمحل معها الشبه ، ویسکت عندها المنطبق المفوه ، فما عنی بتدوینه العلماء ، ودأب فی تضییفه العظماء ، فی ألفاظ العربیة وکلمها ، من بیان خصائصها ونوادر حکمها ، مما یتعلق بذاوتها ، ویتصل بصفاتها ، من العلمین الشریفین ، والعلمین المنیفین ، وهما علم الأبنیة وعلم الإعراب ، المشتملان علی فنون من الأبواب ، وناهیک بکتاب سیبویه (6) الذی

1- 1. رزنت الشئ أرزنه رزنا ، إذا رفعته لتنظر ما ثقله من خفته ، وشئ رزین أی ثقیل «الصحاح - رزن - 5 : 3123».

2- 2. مجاج الغمام : مطره. أنظر «لسان العرب - مجج - 2 : 362».

3- 3. ماء أجاج أی ملح ، وقیل : مر ، وقیل : شدید المرارة ، وقیل : الأجاج : الشدید الحرارة. «لسان العرب - أجج - 2 : 207».

4- 4. الجمة : المکان الذی یجتمع فیه ماؤه ، والجمع الجمام. «الصحاح - جمم - 5 : 1890».

5- 5. رمقه بعینه رمقا : أطال النظر إلیه «مجمع البحرین - رمق - 5 : 173».

6- 6. هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، مولی بنی الحارث ، یکنی أبا بشر وأبا الحسن ، الملقب ب «سیبویه» ومعناه بالفارسیة : رائحة التفاح ، ولد فی إحدی قری شیراز ، وقدم البصرة فلزم الخلیل ابن أحمد ففاقه ، وصنف کتابه المعروف ب «کتاب سیبویه» فی النحو ، لم یصنع قبله ولا بعده مثله ، توفی سنة 180 ه ، وفی مکان وفاته والسنة التی مات بها خلاف.

هو الكتاب ، يطلق تضـله الألباب ، وهو الـديوان الأقدم ، والميزان الأقوم ، والقانون الذى هو لكل محتذ مثال ، والمعقل الذى لكل منضـو تمثـال ، وكأنه الرأس الـذى هو رئيس الأعضاء ، والراز (1) الـذى بيده مطمر (2) البناء ، والإمام الـذى إن نزلت بک شـبهة أنزلتها به ، وإن وقعت بک معضلة أوردتها على بابه ، والحكمة التى قيدت بها الفلاسفة فهى حاجلة (3) فراسفه (4).

حشا غامضات سيبويه كتابه

وأحر بأن تعتاص تلک وتشتدا

إذا وقع الأحبار فيها تحيروا

فلم يجدوا من مرجع القهقرى بدا

آخران :

ألا صلى المليک صلاة صدق

على عمرو بن عثمان بن قنبر

فإن كتابه لم يغن عنه

بنو قلم ولا أبناء منبر

ثم لاـ تسـأل عن تنـاسق هـذه اللغـة وتتاليهـا ، وعن تجاذب أطرافها وتجاليها ، وما ينادى عليه طرق اشـتقاقها من حسن تلاؤمها واتفاقها ، يصادف المشتق الصيغ متناصره ، آخذا بعضها بيد بعض متخاصره ، ووراء ذلک من الغرائب ما لا ينزف وإن نزف البحر ، ومن الدقائق ما لا يدق معه الكهانة والسـحر ، ولا يعرف ذلک إلا من فقه فيها وطب (5) ، وزاولها مذ شب إلى أن دب ، وضرب آباطها (6) ، حتى بلغ نياطها (7)

1- الراز : رأس البنائين «النهاية - روز - 2 : 276».

2- المطمر : الزيج الذى يكون مع البنائين «الصحاح - طمر - 2 : 726».

3- الحجل والحجل : القيد ، يفتح ويكسـر ، والحجل : مشـى المقيد ، وحجل يحجل حجلا إذا مشـى فى القيد «لسان العرب - حجل - 11 : 144».

4- الرسف : مشـى المقيد ، ورسف فى القيد : مشى مشى المقيد ، وقيل : هو المشى فى القيد رويدا ، فهو راسف «لسان العرب - رسف - 9 : 118».

5- رجل طب بالفتح ، أى عالم «الصحاح - طبب - 1 : 171».

6- من المجـاز قولهم : نزل بإبـط الرمـل ، وهو مسـقطه ، وبإبـط الجبل ، وهو سـفحه ، وضـرب آباط المفازة ، وتقول : ضـرب آباط الأمور

ومغابنها واستشف ضمائرها وبواطنها «أساس البلاغة – أبط – 1».

7– النوط : عرق غليـظ علق به القلب من الوتين ، قال أبو طالب فى رسول الله صـلى الله عليه وآله : بنى أخى ونوط القلب منى وأبيض ماؤه غـدق كثير ومن المجاز : مفازة بعيـدة النياط أى الحـد والمتعلق ، ولا يخفى ما فى المتن من تعبير مجازى ، أنظر «أساس البلاغة – نوط – 476».

ولا أذكر لک ما فی کلام فصحائهم ، من خطبائهم وشعرائهم ، من طرق فصاحة انتهجوها ، وخیل بلاغة ألجموها وأسرجوها ، وما وجد فی مراکضهم ومضامیرهم ، من سبقهم ومحاضیرهم ، من الافتنان فی بابی الکنایة والمجاز ، وإصابة مواقع الإشباع والإیجاز ، والإبداع فی الحذف والإضمار ، والأغراب فی جملة اللطائف والأسرار ، فإنک تعارضنی بأن هذه الأشیاء أشرک الله فیها العقلاء ، ورأینا الأعاجم قد صنفوا فیها معاجم ، فکم فی الفرس من الفرسان ، وما أهل خراسان بالخرسان ، علی أنی لو قلت تلک (1) لوجدت مقالا ، وصادفت لفرسی مجالا ، ولأصبت فیه وجها من الاحتجاج ، وردا للشغب واللجاج ، فإن هذه الأشیاء لا تجمل ولا تجزل ولا تنبل ولا تفحل ، ولا تحسن ولا تبهی ، ولا تختال ولا تزهی ، إلا واقعة فی هذا اللسان ، دائرة بین أظهر هذا البیان ، ومثل ذلک مثل الوشی الفاخر ، والحلی من سری الجواهر ، تلبسها الحسناء فتزیدها حسنا إلی حسن ، وتعطیها زینا إلی زین ، فإن نقلتها إلی الشوهاء تخاذل أمرها وتضاد ، وتناقض وتراد ، وعصف بنصف حسنها وزینها ، ما تطلعه الشوهاء من قبحها وشینها ، وکفاک بما عددت علیک أدلة متقبلة ، وشهودا معدلة ، علی أن هذا اللسان هو الفائز بالفصل ، الحائز للخصل (2) ، وأن ما عداه شبه (3) إلی العسجد ، وشب (4) إلی زبرجد.

ثم اسمع بفضلک ، فقد آن أن أفذلک (5) ، وأختم هذا الفصل بما یحلق

1- 1. الکلمة قلقة فی هذه العبارة.

2- 2. یقال : أصاب خصله واحرز خصله : غلب علی الرهان ، وقال بعضهم : الخصلة الإصابة فی الرمی «لسان العرب - خصل - 11 : 206».

3- 3. الشبه والشبه : النحاس الأصفر ، أنظر «لسان العرب - شبه - 13 : 55».

4- 4. الشب : حجر معروف یشبه الزاج ، وقد یدبغ به الجلود «النهایة - شبب - : 439».

5- 5. یقال : فذلک حسابه أنهاه وفرغ منه ، «القاموس المحیط - فذلک - 3 : 315».

الحلاقم (1) ويجر الغلاصم (2)، وهو أن الله تعالى ادخر لمحمد عليه صلاته وسلامه كل فضيلة، وزوى عنه كل رذيلة، واختصه بكل توقير، وبعد حاله من كل تحقير، واختار له كل ما يقع عليه الاختيار، وخوله ما يطول به الافتخار، فجعل ذاته خيرة الإنس، وصفوة الأنبياء، وسيد الأموات والأحياء، والأمة التى انتضاه منها خير أمة، والأئمة الذين استخلفهم بعده خير أئمة، وكتابه الذى أنزل عليه خير كتاب، وأصحابه الذين قرنهم به خير أصحاب، وزمانه الذى بعثه فيه خير زمان، ولسانه الذى نطق به خير لسان، ولا يحسن أن ينزل على أفضل رسول، أفضل كتاب بلسان مفضول، ومن لم يعقل عن الله تعالى: (بلسان عربى مبين) (3) فلا عقل، ومن لم ينقل: (خير اللسان العربى) فلا نقل، ثم هو لسان أهل الجنة، وذلك طول من ذى الطول والمنة.

ووجدت العرب كما يتباهون بالشدة فى مواطن الحرب، وبالنجدة فى مقاوم الطعن والضرب، وبدقهم فى النحور صدور الرماح، وحطمهم فى الرقاب متون الصفاح، يتحلقون فيعدون أيامهم فى الجاهلية والإسلام، ووقائعهم فى أشهر الحل والإحرام، كذلك حالهم فى التباهى بالكلام الفحل، والتبارى فى المنطق الجزل، والافتخار بالألسن اللد، وإرسالها فى أودية الهزل والجد، وبثبات الغدر (4) فى مواقف الجدل والخصام، وعند مصاك الركب ومصاف الأقدام، ليسوا فى مجالدتهم بأشد منهم فى مجادلتهم، ولا فى مقاتلتهم بأحد منهم فى مقاولتهم، ولقد نطقت بذلك أشعارهم، وشهدت به آثارهم.

---

1 - 1. الحلقوم: الحلق، وقال الزجاج: الحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس وفيه شعب تتشعب منه، وهو مجرى الطعام والشراب «المصباح المنير - حلق - 146».

2- 2. الغلصمة: رأس الحلقوم بشواربه وحرقدته، وهو الموضع الناتئ فى الحلق، والجمع الغلاصم، وقيل: الغلصمة اللحم الذى بين الرأس والعنق. وقيل: متصل الحلقوم بالحلق إذا ازدرد الآكل لقمنه فزلت عن الحلقوم، وقيل: هى العجرة التى على ملتقى اللهاة والمرئ، «لسان العرب - غلصم - 12: 441».

3- 3. سورة الشعراء 26: 195.

4- 4. يقال: رجل ثبت الغدر: أى ثابت فى قتال أو كلام «الصحاح - غدر - 2: 766».

قال لبيد (1) :

ومقام ضيق فرجته

ببياني ولساني وجدل

لو يقوم الفيل أو فياله

زل عن مثل مقامي وزحل(2)

ورأيتهم يسؤون بين الجبناء واللكن ، ولا يفصلون بين العى والجبن ، ويستنكفون من الخطأ واللحن.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ، واسترضعت فى سعد بن بكر ، فأنى يأتينى اللحن» (3).

ويتحرون أن ينطقوا بـالكليم الفصـاح ، وأن يمضوا فيها على الأساليب الصـحاح ، باحثين عن مفرق الصواب ، ومصـيبين منحر الإعراب ، متيقضين لما يستفصح ، متنبهين على ما يستملح ، يسمعون الكلمة العيناء فيشرئبون لها ، واللفظة العوراء فيشمئزون منها.

قال بعض أمراء العرب لأعرابى رأى معه ناقة فأعجب بها : هل أنزيت عليها؟ قال : نعم أضـربتها أيها الأمير! قال : أضربتها ، قد أحسنت حين أضربتها ، يعم ما صنعت إذ أضربتها ، فجعل يرددها.

قال الراوى : فعلمت أنه إنما يريد أن يثقف بها لسانه.

1- لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل العامرى ، أحد الشعراء الفرسان الأشراف فى الجاهلية من أهل عالية نجد ، أدرك الإسلام ، ووفد على النبى - صـلى الله عليه وآله - ، ويعـد من الصـحابة ومن المؤلفة قلوبهم ، وترك الشـعر ، فلم يقل فى الإسـلام إلا بيتا واحدا ، قيل هو : ما عاتب المرء الكريم كنفيه والمرء يصـلحه الجليس الصالـح وسـكن الكوفـة ، وعاش عمرا طويلا ، وهو أحـد أصـحاب المعلقات ، ومطلع معلقته : عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها توفى سنة 41 للهجرة. «الأعلام 5 : 240».
2- زحل الشئ عن مقامه : أى زل عن مكانه «لسان العرب - زحل - 11 : 302» وفيه البيت الثانى عن البيد.
3- ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال 11 : 404 / 31884 باختلاف يسير.

وسمعت أنا كوفيا يسأل بدويا عن ماوان (1) وقد شارفناها ، فقال : هى ميهة. فقال الكوفى : أمية مما كانت؟ قال : إى والله أموه مما كانت. كأنه يصححها عليه.

ورأيت الخلق فى المسجد الحرام يترادون الكلام فى اللغات الفصحى ، ويتعادون من له فى ميدان البلاغة الخطا الفسحى ، ويتذاكرون الكلمات التى تزيغ فيها الحاضرة (2) عن السنن ولا ينقحونها من العجر (3) والأبن (4) كأن أفواههم للحكمة ينابيع ، وهم على ذلك مطابيع.

هذا ، ولما سمعت العرب القرآن المجيد ملأت الروعة قلوبهم وملكت نفوسهم ، وهز الاستعجاب مناكبهم ، وأنغض رؤوسهم ، وبقى أذلقهم لسانا ، وأعرقهم بيانا ، كالمحجوج إذا أبكته الحجة ، فأخذته الرجة ، وكالياسر إذا أصبح مقمورا مقهورا ، فقعد مبهوتا مبهورا ، وكالصريع إذا عن له من لا يبالى بصراعه ، وكالمرتبع (5) إذا غلبه من لا يلتفت إلى ارتباعه ، ولقد قابلوه بأفصح كلامهم ، فقال منصفوهم : جرى الوادى فطم على القرى (6) ، ومن يعبأ بالعباء مع الوشى العبقرى (7).

1- 1. ماوان : واد فيه ماء بين الفقرة والربذة فغلب عليه الماء فسمى بذلك الماء ماوان. قال فى المعجم : فأما ماوان السنور فليس بينه وبين مساكن العرب مناسبة ولعل أكثرهم ما يدرى ما السنور : وهى قرية فى أودية العلاة من أرض اليمامة ، أنظر «معجم البلدان 5 : 1. مراصد الاطلاع 3 : 1222».

2- 2. أى أهل الحضر لأنهم مظنة اللحن.

3- 3. العجر : جمع عجرة ، وهى العقدة فى عود وغيره ، ويقال : فى كلامه عجر فيه وتعجرف أى جفوة «أساس البلاغة - عجر - 294».

4- 4. الأبن : العقد تكون فى القسى تفسدها وتعاب بها «النهاية - ابن - 1 : 17».

5- 5. ربع الحجر وارتباعه إشالته ورفعه لإظهار القوة «النهاية - ربع - 2 : 189».

6- 6. مثل سائر ، معناه : جرى سيل الوادى فطم ، أى دفن ، يقال : طم السيل الركية : أى دفنها ، والقرى : مجرى الماء فى الروضة ، والجمع أقرية وقريان و «على» من صلة المعنى : أى أتى على القرى ، يعنى أهلكه بأن دفنه ، أنظر «مجمع الأمثال 1 : 159 / 823».

7- 7. الوشى من الثياب معروف ، والعبقرى : الديباج ، أنظر «الصحاح - وشى - 6 : 2524 ، النهاية - عبقر - 3 : 173».

وقال الوليد بن المغيرة المخزومى (1) : والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل ، فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمعذق (2) ، وإنه ليعلو وما يعلى (3).

وبلغنا أن أعرابيا صلى خلف ابن مسعود (4) رضى الله عنه فتعتع فى قراءته ، فقال الأعرابى : ارتبک الشيخ ، فلما قضى ابن مسعود صلاته ، قال : يا أعرابى إنه والله ما هو من نسجک ولا من نسج آبائک ، ولكنه عزيز من عند عزيز نزل ، وهو الحمال ذو الوجوه ، والبحر الذى لا تنقضى عجائبه. قال الله لموسى عليه السلام : إنما مثل كتاب محمد فى الكتب كمثل سقاء فيه لبن كلما مخضته استخرجت زبده.

فحينما عجزوا عن المماتنة (5) ، فزعوا إلى المفاتنة ، ولما لم يقدروا على المقابلة أقبلوا على المقاتلة ، فكان فزعهم إلى شئ ، ليس من المتحدى فيه فى

1- 1. الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أبو عبد شمس ، من قضاة العرب فى الجاهلية ، ومن زعماء قريش ، ومن زنادقتها ، أدرک الإسلام وهو شيخ هرم فعاداه وقاوم دعوته ، ذكره ابن الأثير فى الكامل تحت عنوان : ذكر المستهزئين ومن كان أشد الأذى للنبى (صلى الله عليه وآله) ، وهو والد خالد بن الوليد ، هلک بعد الهجرة بثلاثة أشهر وهو ابن خمس وتسعين سنة ، ودفن بالحجون ، أنظر «الكامل فى التاريخ 2 : 71 ، الأعلام 8 : 122».

2- 2. أى له شعب وجذور ، وفى بعض المصادر : لمغدق ، وهو من الغدق أى الماء الكثير ، وفى بعضها الآخر : لعذق ، والعذق : النخلة ، وهو استعارة من النخلة التى ثبت أصلها.

3- 3. ورد باختلاف فى لفظه فى دلائل النبوة 2 : 198 ، تأريخ الإسلام : 155 ، السيرة النبوية 1 : 289 ، الوفا بأحوال المصطفى : 55 ، وأخرجه الحاكم النيسابورى فى مستدركه 2 : 506 ، عن ابن عباس ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخارى ، ولم يخرجاه.

4- 4. عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى ، أبو عبد الرحمن ، من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) السابقين إلى الإسلام ، وولى بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله) بيت مال الكوفة ، ثم قدم المدينة فى خلافة عثمان ، فتوفى فيها عن نحو ستين عاما فى سنة 32 ه.

5- 5. المماتنة : المعارضة فى جدل أو خصومة «تاج العروس - متن - 9 : 340».

شئ ، دليلا قاطعا على تمام المعجزة ، وشاهد صدق لصحة النبوة بظهور المعجزة ، على أن عداوة المتحدى هى العجز بعينه ، والتقصير بذاته ، لأن كل ذى منقبة إذا توقل (1) فى مرتبة قد عجز عنها مدعوها ، ولم يقدروا أن يطلعوها ، كان نتيجة عجزهم أن يشتملوا على الغيظ والضجر ، وقرينة تقصيرهم أن يقصدوه بالنكاية والضرر ، وأن يقشوروه (2) بالعصا ويرجموه بالحصا.

والذى طولبوا به فعجزوا عنه هو الإتيان بسورة لو كتبت بين السور ، لم تكن مشخلبة (3) بين الدرر ، ولكن كواحدة منهن فى حسنها وبهائها ، ونورها وضيائها ، وبيانها الباهر ، وديباجها الفاخر ، حتى لو عرضت على صيارفة المنطق ونقاده ، المميز بين زيوفه وجياده ، لقالوا هى منها بالقرب ، لم يقولوا ليس عليها أبهة دار الضرب ، والجهة التى أتاهم العجز عنها امتياز السورة عن هذه الأجناس ، التى تتقلب فى أيدى الناس ، من خطب يحبرونها (4) ، وقصائد يسيرونها ، ورسائل يسطرونها ، كما أن كل واحد من هذه الأجناس له حيز ، وبعضها عن بعض متميز ، وكل مستبد بطريق خاص إليه ينتحى وإياه ينتهج ، ومثال ومنوال عليه يحتذى وعليه ينتسج ، فلو تحدى الرجل بقصيدة شاعرة فجاء بخطبة باهرة أو رسالة نادرة ، أو تحدى بخطبة أو رسالة غراء فعارض بقصيدة حذاء (5) ، لم يكن على شاكلة التحدى عاملا ، ونسب إلى قلة التهدى عاجلا ، وتمثل له بقوله :

شكونا إليه خراب السواد

فحرم فينا لحوم البقر

1- 1. التوقل : الاسراع فى الصعود «النهاية - وقل - 5 : 216».

2- 2. قشوره بالعصا : ضربه «القاموس المحيط - قشر - 2 : 117».

3- 3. قال الليث : مشخلبة كلمة عراقية ليس على بنائها شئ من العربية ، وهى تتخذ من الليف والخرز أمثال الحلى «لسان العرب - شخلب - 1 : 486».

4- 4. يقال حبرت الشئ تحبيرا إذا حسنته «النهاية - حبر - 1 : 327».

5- 5. الحذو : من أجزاء القافية ، حركة الحرف الذى قبل الردف ، يجوز ضمته مع كسرته ولا يجوز مع الفتح غيره ، قاله ابن منظور فى «اللسان - حذا - 14 : 170» عن ابن سيده.

فكنا كما قال من قبلنا

أريها السها (1) وترينى القمر (2)

ذلک أن الشعر كلام ذو وزن وقرى (3) ، وقافية وروى ، أكثره تمويهات وتخاييل ، وأكاذيب وأباطيل ، ومن ثم سموه سحرا ، وزعموا أن لكل شاعر جنيا ، وأنه معه رئيا ، وأن ذلک الجنى يخطره بجنانه ويلقنه إياه ويلقيه على لسانه.

والخطب والرسائل لا يمس طنب القريض أطنابها ، ولا تقرع يده أبوابها ، والسورة أبعد شوطا منها فى التميز ، وأعلى فوقا فى المباينة والتحيز ، بديباجتها الخاصة وذوقها وندائها على أن لا منظوم بطوقها ، وعلى أنها ليست من القريحة ، المعتصر لها ثرى السجيحة (4) ، المستعان فيه بالرؤية والفكر ، المستملى من لسان الزكن (5) والحجر (6) ، وأن مثلها معه مثل الحيوان الذى هو تسوية الله وتقديره ، مع التماثيل التى هى نقش المصور وتصويره ، عليها ضياء الجلالة الربانية ، وسيمياء (7) الكتب السماوية ، وأبهة المسطور فى اللوح المنزل فى اللوح (8) وآئين (9) الملقن منه وهو

1- 1. السها : كويكب صغير خفى الضوء فى بنات نعش الكبرى ، والناس يمتحنون به أبصارهم «لسان العرب - سها - 14 : 408».

2- 2. مثل سائر ، ذكره الميدانى فى مجمع الأمثال 1 : 291 / 1545 ، تحت عنوان «أريها استها وترينى القمر» وذكر قصته ، وقال : وبعضهم يرويه «أريها السها وترينى القمر» ، يضرب لمن يغالط فيما لا يخفى.

3- 3. قال الزمخشرى وغيره : أقراء الشعر : قوافيه التى يختم بها ، كأقراء الطهر التى ينقطع عندها ، الواحد قرء ، وقرء ، وقرى ، لأنها مقاطع الأبيات وحدودها. «النهاية - قرا - 4 : 32».

4- 4. السجيحة : الطبيعة «الصحاح - سجح - 1 : 373».

5- 5. الزكن والإزكان : الفطنة ، والحدس الصادق. «النهاية - زكن - 2 : 307».

6- 6. الحجر : العقل واللب ، لإمساكه ومنعه وإحاطته بالتمييز ، وفى التنزيل : هل فى ذلک قسم لذى حجر. «لسان العرب - حجر - 4 : 170».

7- 7. السومة والسيمة والسماء والسيمياء : العلامة. «لسان العرب - سوم - 12 : 312».

8- 8. اللوح الأول بالفتح : هو اللوح المحفوظ ، والثانى بالضم : الهواء. «لسان العرب - لوح - 2 : 585».

9- 9. آئين : كلمة فارسية بمعنى الزينة ، استعملها الجاحظ فى البخلاء فى قصة محمد بن أبى المؤمل فيما حكاه عن لسانه : وكانوا يعلمون أن إحضار الجدى إنما هو شئ من آئين الموائد الرفيعة.

لسان الروح ، كأنک إذا قرأتها مشاهد سبحات (1) وجه فاطرک ، ومعاين لملائكة عرشه بناظرک.

عن جعفر الصادق(2)رضى الله تعالى عنه : والله لقد تجلى الله تعالى لخلقه فى كلامه ولكنهم لم يبصروه (3).

والمعانى التى تستودع الكتب والرسائل ، من معانيه ومؤدياته على مراحل ، وقد انطوت رصانة هذه المعانى والمقاصد تحت سلس الألفاظ العذبة الموارد ، مع

وفى تاريخ العتبى عند شرح هذا البيت فى رثاء الصاحب بن عباد :

لم يبق للجود رسم منذ بنت ولا

للسؤدد اسم ولا للمجد آئين

قال : وكأنه تعريب آئين ، وهو أعواد أربعة تنصب فى الأرض وتزين بالبسط والستور والثياب الحسان ، ويكون ذلک فى الأسواق والصحارى وقت قدوم ملک.

أقول : هو قوس النصر فى مصطلح عصرنا هذا «ه م».

1- سبحات الله : جلاله وعظمته ، وهى فى الأصل جمع سبحة ، وقيل : أضواء وجهه «النهاية - سبح - 2 : 332».

2- أبو عبد الله جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام ، سادس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وإليه ينمى المذهب الجعفرى ، لقب بالصادق لصدق حديثه ، ولد فى 17 ربيع الأول سنة 80 ه ، أمره فى الشرف والفضل والعلم والعصمة أجل من أن يذكر فى سطور ، قال ابن حجر : «نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته فى البلدان» وجمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم فى الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل ، ذكرهم الحافظ ابن عقدة فى كتاب رجاله ، وذكر مصنفاتهم فضلا عن غيرهم ، استشهد عليه السلام مسموما لعشر سنين خلت من خلافة المنصور العباسى سنة 148 ه ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده عليهم السلام. أنظر «أعيان الشيعة 1 : 659 ، حلية الأولياء 3 : 192 ، وفيات الأعيان 1 : 327 / 131 ، الجرح والتعديل 2 : 487 / 1987 ، رجال صحيح مسلم 1 : 120 / 221 ، تهذيب الكمال 5 : 74 / 950 ، ميزان الاعتدال 1 : 414 / 1519 ، تهذيب التهذيب 2 : 88 / 156 ، سير أعلام النبلاء 6 : 255 / 117».

3- رواه الشهيد الثانى فى كتابه أسرار الصلاة : 36 ، ونقله عنه الفيض الكاشانى فى المحجة البيضاء 2 : 247 ، وفيهما : ولكنهم لا يبصرون. وفى المصدرين أيضا ، عنه عليه السلام : وقد سألوه عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما أفاق قيل له فى ذلک ، فقال : ما زلت أردد الآية على قلبى وعلى سمعى حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته. قال الفيض : وفى مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة.

تكاثر نكت علم البيان وفقره ، ومحاسن حجوله وغرره ، وغرائب وشيه وأعلام حبره ، تنثال إرسالا على الناظر البصير ، وتزدحم أسرابا على الناقد النحرير.

وأنا أضرب لک سورة الكوثر - وهى أقصر السور - مثالا أنصبه بين يديک ، وأجعله نصب عينيک ، فأنت أكيس الأكياس ، ومعک نهية (1) كشعلة المقباس ، وتكفيک الرمزة وإن كانت خفية ، والتنبيهة وإن كانت غير جلية ، فكيف إذا ذللت بأنور من وضح الفلق ، وأشهر من شية (2) الأبلق.

أقول وبالله التوفيق : ورد على رسول الله صلى الله عليه وآله عن عدو الله العاص بن وائل (3) ما يهدم مقاله ، ويهزم محاله (4) ، وينفس عن رسوله ، وينيله نهاية سؤله ، فأوحى إليه سورة على صفة إيجاز واختصار ، وذلک ثلاث آيات قصار ، جمع فيها ما لم يكن ليجتمع لأحد من فرسان الكلام ، الذين يخطمونه بالخطام (5) ويقودونه بالزمام ، كسحبان (6) وابن عجلان ، وأضرابهما من الخطباء المصاقع والبلغاء البواقع (7) الذين تفسحت فى هذا الباب خطاهم ، وتنفس فى ميادينه مداهم.

أنظر إلى العليم الحكيم كيف حذا ثلاث الآيات على عدد المسليات ، من

1- 1. النهية : العقل «لسان العرب - نهى - 15 : 346».

2- 2. الشية : كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره ، وأصله من الوشى. «النهاية - شيه - 2 : 522».

3- 3. العاس بن وائل بن هاشم السهمى ، من قريش ، أحد الحكام فى الجاهلية ، كان نديما لهشام بن المغيرة وأدرک الإسلام ، وظل على الشرک ويعد من المستهزئين ومن الزنادقة الذين ماتوا كفارا وثنيين ، وهو والد عمرو بن العاص صاحب معاوية. «الأعلام 3 : 247».

4- 4. يقال : رجل يماحل : أى يدافع ويجادل ، من المحال ، بالكسر ، وهو الكيد ، وقيل : المكر ، وقيل : القوة والشدة ، أنظر «النهاية - محل - 4 : 303».

5- 5. الخطام : الزمام. وخطمت البعير : زممته «الصحاح - خطم - 5 : 1915».

6- 6. سحبان بن زفر بن أياس الواثلى ، من باهلة ، خطيب يضرب به المثل فى البيان ، يقال : «أخطب من سحبان» و «أفصح من سحبان» اشتهر فى الجاهلية وعاش زمنا فى الإسلام ، وكان إذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ، أسلم فى زمن النبى ولم يجتمع به.

7- 7. الباقعة : الرجل الداهية. «لسان العرب - بق7. 8 : 19».

إجلال محل رسول الله وإعلاء كعبه ، وإعطائه أقصى ما يؤمله عند ربه (1) ، ومن الايعاز إليه أن يقبل على شأنه من أداء العبادة بالإخلاص (2) ، وأن لا يحفل بما ورد عليه من ناحية العاص ، ولا يحيد عن التفويض إليه محيدا ، فلا يذره وائبا وحيدا ، ومن الغضب له بما فيه مسلاته من الكرب ، من إلصاق عار البتر بالكلب (3) ، والإشعار بأن كان عدو الله بورا ، ولم يكن إلا هو صنبورا (4).

ثم أنظر كيف نظمت النظم الأنيق ، ورتبت الرشيق ، حيث قدم منها ما يدفع الدعوى ويرفعها ، وما يقطع الشبهة ويقلعها ، ثم لما يجب أن يكون عنه مسببا ، وعليه مترتبا ، ثم ما هو تتمة الغرض من وقوع العدو فى مغواته (5) التى حفر ، وصليه بحر ناره التى سعر ، ومن الشهادة على إلصاقه بالسليم عيبه ، وتوريكه على البرئ ذنبه (6)

وتأمل كيف أن من أسند إليه إسداء هذه العطية ، وإيتاء هذه الموهبة السنية ، هو ملک السماوات والأرض ، ومالک البسط والقبض ، وكيف وسع العطية وكثرها ، وأسبغها ووفرها ، فدل بذلک على عظم طرفى المعطى ، وعلى جلال جنبى المسدى والمسدى ، وقد علم أنه إذا كان المعطى كبيرا ، [كان] العطاء كثيرا ، فيا لها من نعمة مدلول على كمالها ، مشهود بجلالها.

وأراد بالكوثر أولاده إلى يوم القيامة من أمته ، جاء فى قراءة عبد الله : «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبوهم وأزواجه أمهاتهم» (7) وما أعطاه الله

1- 1. إشارة إلى قوله تعالى : «إنا أعطيناک الكوثر».

2- 2. إشارة إلى قوله تعالى : «فصل لربک وانحر».

3- 3. إشارة إلى قوله تعالى : «إن شانئک هو الأبتر».

4- 4. أى أبتر لا عقب له «النهاية - صنبر - 3 : 55».

5- 5. مغواة : حفرة كالزبية تحفر للذئب ، ويجعل فيها جدى إذا نظر إليه سقط عليه يريده. ومنه قيل لكل مهلكة مغواة. «النهاية - غوا - 3 : 398».

6- 6. ورک عليه ذنبه : حمله عليه «أساس البلاغة - ورک - 497».

7- (101) قال المصنف فى الكشاف 3 : 251 : وفى قراءة ابن مسعود : «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم» ، وقال القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن 14 : 123 : ثم إن فى مصحف أبى بن كعب

فی الـدارین من مزایا الأثرة ولتقدیم فی الدارین من مزایا الأثرة والتقدیم ، ووضع فی یدیه من نواصـی التفضـیل والتکریم ، والثواب الذی لم یعرف إلا هو کنهه ، ولم یعط إلا الملک شـبهه ، ومن جملـة الکوثر ما اختصه به من النهر الـذی حاله المسک (1) ، ورضراضه التوم (2) ، وعلی حافاته من أوانی الذهب والفضة ما لا یعاده النجوم.

ثم تبصر کیف نکت فی کل شئ تنکیتا ، یترک المنطیق سکیتا ، حیث بنی الفعل علی المبتدأ فدل علی الخصوصیة ، وجمع ضمیر المتکلم فـأذن بعظم الربوبیـة ، وصـدر الجملـة المؤخرة علی المخـاطب أعظم القسم ، بحرف التأکیـد الجاری مجری القسم ، ما ورد الفعل بلفظ الماضـی ، علی أن الکوثر لم یتنـاول عطـاء العاجلـة دون عطاء الآجلـة ، دلالـة علی أن المتوقع من سـیب (3) الکریم فی حکم الواقـع ، والمترقب من نعمائه بمنزلة الثابت النافع. وجاء بالکوثر محذوف الموصوف ، لأن المثبت لیس فیه ما فی المحذوف من فرط الابهام والشیاع ، والتناول علی طریق الاتساع ، واختار الصفة المؤذنة بإفراط الکثرة ، المترجمة عن المعطیات الدثرة ، ثم بهذه الصفة مصدرة باللام المعرفة ، لتکون لما یوصف بها شاملة ، وفی إعطاء معنی الکثرة کاملة.

وعقب ذلک بفاء التعقیب ، مسـتعارة لمعنی التسبیب ، یشـتقها معنیان ، صح تسبیب الإنعام بالعطاء الأکثر ، للقیام بما یضاهیه من الشـکر الأوفر ، وتسلیمه

====

4. السیب : العطاء. «الصحاح - سیب - 1 : 150».

1- «وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم» وقرأ ابن عباس «من أنفسهم وهو أب [لهم] وأزواجه [أمهاتهم]».

2- 2. حاله المسک : أی طینه المسک. «النهایة - حول - 1 : 464».

3- 3. الرضراض : الحصی الصغار ، والتوم : الدر. «النهایة - رضرض - 2 : 229».

لترک المبالاـة بقول ابن وائـل ، وامتثـال قول الله عز من قائل ، وقصـد باللامين (105) التعريف بـدين العاص وأشـباهه ، ممن كانت عبادته ونحره لغير إلهه ، وتثبيت قـدمى رسول الله على صـراطه المسـتقيم ، وإخلاـصه العبـادة لوجهه الكريم ، وأشـار بهاتين العبادتين إلى نوعى العبـادات ، وصـنفى الطاعات ، أعنى الأعمال البدنيـة التى الصـلاة إمامها ، والماليـة التى نحر البـدن سـنامها ، ونبه على ما لرسول الله من الاختصاص بالصلاة التى جعلت لعينه قرة (1) وبنحر البدن التى كانت همته بها المشمخرة.

روينا بالإسناد الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى أنفه برة (2) من ذهب (3).

وحذف اللام الأخرى لدلالته عليها بالأولى ، مع مراعاة حق التسـجيع ، الذى هو من جملة صنعة البديع ، إذا ساقه قائله مساقا مطبوعا ، ولـم يكن متكلفا أو مصنوعا ، كما ترى اسجاع القرآن وبعدها عن التعسف ، وبراءتها من التكلف.

وقـال : «لربک» ، وفيه حسـنان ، وروده على طريقـة الالتفات (4) التى هى أم من الأمهـات ، وصـرف الكلاـم عن لفظ المضـمر إلى لفظ المظهر ، وفيه إظهـار لكبرياء شأنه ، وانافـة لعزة سـلطانه ، ومنه أخـذ الخلفاء قولهم : يأمرک أمير المؤمنين بالسـمع والطاعـة ، وينهاک أمير المؤمنين عن مخالفة الجماعة.

====

5. قال ابن حمزه العلوى فى الطراز 2 : 132 : الالتفات : هو العدول من أسـلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول ، وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب ، ومن خطاب إلى غيبة ، لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها ، والحد الثانى إنما هو مقصور على الغيبـة والخطاب لا غير ، ولا شک أن الالتفات قـد يكون من الماضـى إلى المضارع وقد يكون على عكس ذلک فلهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره.

1- 1. أى بلام «لربک» ، واللام المحذوفة فى قوله «وانحر» أى وانحر له ، كما سيصرح بذلک «ه م».

2- 2. إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله : حببت إلى من الدنيا ثلاث : النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عنى فى الصلاة. «الخصال : 165 / 218».

3- 3. البرة : حلقة تجعل فى لحم الأنف ، وربما كانت من شعر. «النهاية - بره - 1 : 122».

4- 4. أخرجه البيهقى فى سننه 5 : 230.

وعن عمر بن الخطاب (رض) أنه حين خطب الأزدية أتى أهلها فقال لهم : خطب إليكم سيد شباب قريش مروان بن الحكم ، وسيد أهل المشرق حسن بن بجيلة ويخطب إليكم أمير المؤمنين - عنى نفسه -.

وعلم بهذه الصفة أن من حق العبادة أن يخص بها العباد ربهم ومالكهم ، ومن يتولى معايشهم ومهالكم ، وعرض بخطأ من سفه نفسه ونقض قضية لبه ، وعبد مربوبا وترك عبادة ربه.

وقال : «إن شانئک» فعلل الأمر بالإقبال على شأنه ، وقلة الاحتفال بشنآنه ، على سبيل الاستئناف ، الذى هو جنس حسن الموقع رائعه ، وقد كثرت فى التنزيل مواقعه ، ويتجه أن يجعلها جملة للاعتراض ، مرسلة إرسال الحكمة لخاتمة الأغراض ، كقوله تعالى : «إن خير من استأجرت القوى الأمين» (1).

وعنى بالشانئ السهمى المرمى بسهمه ، وإنما ذكره بصفته لا باسمه ، ليتناول كل من كان فى مثال حاله ، من كيده بدين الحق ومحاله ، وفيه أنه لم يتوجه بقلبه إلى الصدق ، ولم يقصد به الافصاح عن الحق ، ولم ينطق إلا عن الشنآن الذى هو توأم البغى والحسد ، وعن البغضاء التى هى نتيجة الغيظ والحرد (2) ، وكذلک وسمه بما ينبئ عن المقت الأشد ، ويدل على حنق الخصم الألد ، وعرف الخبر ليتم له البتر ، كأنه الجمهور (3) الذى يقال له الصنبور ، وأقحم الفصل لبيان أنه المعين لهذه النقيضة ، وأنه المشخص لهذه الغميصة (4) ، وذلک كله مع علو مطلعها ، وتمام مقطعها (5) ، ومجاوبة عجزها لهاديتها (6) ،

1- 1. سورة القصص 28 : 26.

2- 2. الحرد : الغضب. «تاج العرو2. حرد - 2 : 334».

3- 3. كذا.

4- 4. يقال : اغتمصت فلانا اغتماصا : احتقرته «لسان العرب - غمص - 7 : 61».

5- 5. مقاطع القرآن : مواضع الوقوف.

6- 6. فى الحديث : «طلعت هوادى الخيل» يعنى أوائلها ، والهادى والهادية : العنق : لأنها تتقدم على البدن ، ولأنها تهدى الجسد. «النهاية - هدا - 5 : 255».

وسبيبها (1) لناصيتها ، واتصافها بما هو طراز الأمر كله من مجيئها ، مع كونها مشحونة بالنكت الجلائل ، مكتنزة بالمحاسن غير القلائل ، خالية من تصنع من يتناول التنكيت ، وتعمل من يتعاطى بمحاجته التبكيت (2) ، وكأنها كلام من يرمى به على عواهنه ، ولا يتعمد إلى إبلاغ نكته ومحاسنه ، ولا يلقاك ذلك إلا فى كلام رب العالمين ، ومدبر الكلام والمتكلمين ، فسبحان من لو أنزل هذه الواحدة وحدها ، ولم ينزل ما قبلها وما بعدها ، لكفى بها آية تغمر الأذهان ، ومعجزة توجب الاذعان ، فكيف بما أنزل من السبع الطوال ، وما وراءها إلى المفصل (3) ، والمفصل ، يا لها من معجزة كم معجزات فى طيها ، عند كل ثلاث آيات تقر الألسن بعيها ، لو أراد الثقلان تسلية المغيظ المحنق ، لأخذت من أفاصحهم بالمخنق ، إن هموا بإنشاء سورة توازيها ، وثلاث آيات تدانيها. هيهات قبل ذلك يشيب الغراب ، ويسيب الماء كالسراب.

ودع عنک حديث الصرفة (4) ، فما الصرفة إلا صفرة (5) من النظام ، وفهة (6) منه فى الإسلام ، ولقد ردت على النظام صفرته ، كما ردت عليه طفرته ، ولو صح ما قاله لوجب فى حكمة الله البالغة ، وحجته الدامغة أن ينزله على أرک نمط وأنزله ، وأفسل (7) أسلوب وأسفله ، وأعراه من حلل البلاغة وحليها ،

1- 1. البيب : شعر الذنب «لسان العرب - سبب - 1 : 459».

2- 2. بكته بالحجة أى غلبه «لسان العرب - بكت - 2 : 11».

3- 3. المفصل من القرآن السبع الأخير ، وذلک للفصل بين القصص بالسور القصار ، والفواصل آواخر الآى «مفردات ألفاظ القرآن - فصل - 381».

4- 4. الصرفة : هى مما ذهب إليه النظام المعتزلى فى إعجاز القرآن ، وهو صرف الدواعى عن المعارضة ، ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا ، حتى لو خلاهم سبحانه لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما. أنظر «الملل والنحل 1 : 58».

5- 5. يقال : إنه لفى صفرة ، للذى يعتريه الجنون ، إذا كان فى أيام يزول فيها عقله ، لأنهم كانوا يمسحونه بالزعفران. «الصحاح - صفر - 2 : 714».

6- 6. الفهة : السقطة والجهلة. يقال : فه الرجل يفه فهاهة وفهة ، فهوفة وفهيه : إذا جاءت منه سقطة من العى وغيره «النهاية - فهه - 3 : 482».

7- 7. الفسل : الردئ من كل شئ. «مجمع البحرين - فسل - 5 : 440».

وأخلاه من بهى جواهر العقول وثريها ، ثم يقال لولاة أعلى الكلام طبقة وأمتنه ، ولأرباب آنقه طريقة وأحسنه : هاتوا بما ينحو نحوه ، وهلموا بما يحذو حذوه ، فيعترضهم الحجز ، ويتبين فيهم العجز ، فيقال قد استصرفهم الله عن أهون ما كانوا فيه ماهرين ، وأيسر ما كانوا عليه قادرين ، ألم ترهم كيف كانوا يعنقون (1) فى المضمار فوقفوا ، وينهبون الحلبة بخطاهم فقطفوا (2) ، ولا يقال الله قادر على أن يأتى بما هو أفصح وأفصح ، وأملح لفظا ومعنى وأملح ، فهلا أتى بذلک المتناهى فى الفصاحة والمتمادى فى الملاحة ، فإن الغرض اتضاح الحجة وقد اتضحت ، وافتضاح الشبهة وقد افتضحت ، وإذا حصل الغرض فليس وراءه معترض.

وأما إغفال السلف لما نحن بصدده ، وإهمالهم الدلالة على سننه ، والمشى على جدده (3) ، فلأن القوم كانوا أبناء الآخرة ، وإن نشأوا فى حجر هذه الغادرة ، ديدنهم قصر الآمال ، وأخذ العلوم لتصحيح الأعمال ، وكانوا يتوخون الأهم فالأهم والأولى فالأولى والأزلف فالأزلف من مرضاة المولى ، ولأنهم كانوا مشاغيل بجر أعباء الجهاد ، معنين (4) بتقويم صفات أهل العناد ، معكوفى الهمم على نشر الأعلام لنصرة الإسلام ، فكان ما بعث به النبى عليه الصلاة والسلام لتعليمه وتلقينه ، وأرسل للتوقيف عليه وتبيينه ، أهم عندهم مما كانوا مطبوعين على معرفته ، مجبولين على تبين حاله وصفته ، وكان إذ ذاک البيان غضا طريا ، واللسان سليما من اللكنة بريا ، وطرق الفصاحة مسلوكة سائرة ، ومنازلها مأهولة عامرة ، وقد مهد عذرهم تعويلهم على ما شاع وتواتر ، واستفاض وتظاهر ، من عجز العرب وثبات العلم به ورسوخه فى الصدور ، وبقائه فى القلوب على ممر العصور.

1- 1. يعنقون : أى يسرعون. أنظر «لسان العرب - عنق - 10 : 273».

2- 2. القطاف : تقارب الخطو فى سرعة ، من القطف : وهو القطع. «النهاية - قطف - 4 : 84».

3- 3. الجدد : الأرض الصلبة ، وفى المثل : «من سلک الجدد أمن العثار». «الصحاح - جدد - 2 : 452».

4- 4. معنين : أى متعبين. أنظر «لسان العرب - عنن - 13 : 290».

وبعد انقراض أولئک العرب ، المالئة دلو البلاغة إلى عقد الكرب (1) ، وبقاء رباعها (2) بغير طلل (3) ورسم (4) ، وذهابها ذهاب جديس وطسم (5)، لم يبق من هذا العلم إلا نحو الغراب الأعصم(6) ، والنكتة (7) البيضاء فى نقبة الأدهم (8) ، وجملة تلک البقية قد اتبعوا سنن الأولين ، وكانوا على عجز العرب معولين ، ولم يقولوا كم بين إيمان السحار وبين إيمان النظار ، ثم أدرج هذا العلم تحت طى النسيان ، كما يدرج الميت فى الأكفان.

ولولا أن الله أوزعنى أن أنفض عليه لمتى (9) ، وألهمنى أن أنهض إليه بهمتى ، حتى أنفقت على النظر فيه شبابى ، ووهبت له أمرى ، وكانت إجالـة الفكر فى غوامضه دهرى ، لم تسـمع من أحـد فيه همسا ، ولم تلق من ينبس منه بكلمـة نبسا ، والله أسأل أن يهدينى سـبل الإصابة ، ويثيبنى على ذلک أحسن إثابة ، فما نويت بما لقيت فيه من عرق الجبين ، إلا التوصل إلى ما فيه من ثلج اليقين ، وإلا

1- مثل سائر مأخوذ من قول الفضل بن عباس بن عتبـة بن أبى لهب حيث يقول : من يساجلنى يساجل ماجـدا يملأ الـدلو إلى عقد الكرب وهو الحبل الـذى يشد فى وسط العراقى ثم يثنى ، ثم يثلث ، ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير. يضـرب لمن يبالغ فيما يلى من الأمر أنظر «مجمع الأمثال 2 : 421 / 4715».

2- الربع : المنزل ودار الإقامة ، وربع القوم محلتهم ، والرباع جمعه «النهاية - ربع - 2 : 189».

3- الطلل : ما شخص من آثار الدار ، والجمع أطلال وطلول. «الصحاح - طلل - 5 : 1752».

4- الرسم : الأثر ، أنظر «مجمع البحرين - رسم - 6 : 72».

5- جديس : قبيلة من العرب العاربة البائدة ، كانت مساكنهم اليمامة والبحرين ، وكان يجاورهم طسم ، وهى قبيلة من العرب العاربة أيضا ، تنتسب إلى طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، وقد انقرضت. أنظر «معجم قبائل العرب 1 : 172 و 2 : 680 ، ومصادره».

6- الغراب الأعصم : الذى فى جناحه ريشة بيضاء لأن جناح الطائر بمنزلة اليد له. «الصحاح - عصم - 5 : 1986».

7- النكتة ، بالضم : النقطة. «القاموس المحيط - نكت - 1 : 159».

8- الدهمة : السواد. يقال : فرس أدهم ، وبعير أدهم ، وناقه دهماء ، إذا اشتدت ورقته حتى ذهب البياض الذى فيه. «الصحاح - دهم - 5 : 1924».

9- اللمة : الهمة ، والخطرة تقع فى القلب «النهاية - لمم - 4 : 273».

استبانه حجة الله وبرهانه واستيضاح أنوار قرآنه ، وأنه يوفقنى للخير وطلبه ، وأن ينظمنى فى زمره أهله ويختم لى به – تمت.

* * *

ص: 240

مصادر التحقيق

1 – القرآن الكريم.

2 – أساس البلاغة : تأليف العلامة جار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (ت 538 ه) ، تحقيق عبد الرحيم محمود ، أوفست مكتب التبليغات الإسلامى ، قم.

3 – أسرار الصلاة : للشهيد الثانى ، المطبوع ضمن «مجموعة الرسائل» على الحجر سنة 1305 ه ، أوفست المكتبة المرعشية قم 1404 ه.

4 – الإصابة فى تمييز الصحابة : لشهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن محمد العسقلانى (ت 852) ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى 1328 ه.

5 – أعيان الشيعة : للسيد محسن الأمين ، تحقيق ولده حسن الأمين ، بيروت ، دار التعارف للمطبوعات.

6 – الأمالى : للسيد المرتضى الشريف أبى القاسم على بن الطاهر أبى أحمد الحسين (ت 436 ه) ، تصحيح وتعليق السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبى ، الطبعة الأولى 1325 ه ، أوفست مكتبة السيد المرعشى فى قم 1403 ه.

7 – إنباه الرواة على أنباه النحاة : تأليف جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى (ت 624 ه) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى 1406 ه ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت.

8 – الأنساب : تأليف أبى سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى (ت 562 ه) ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى ، الطبعة الثانية 1400 ه ، نشر محمد أمين دمج ، بيروت.

9 – البداية والنهاية : تأليف الحافظ أبى الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروى الدمشقى (ت 774 ه) ، نشر دار الفكر ، بيروت ، 1402 ه.

10 – بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت 911 ه) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى 1384 ه.

11 – بلوغ الإرب فى معرفة أحوال العرب : تأليف السيد محمود شكرى الآلوسى البغدادى ، تصحيح محمد بهجة الأثرى ، الطبعة الثانية دار الكتب العلمية ، بيروت.

12 – تاج العروس من جواهر القاموس : تأليف محمد مرتضى الزبيدى ، الطبعة الأولى 1306 ه ، دار مكتبة الحياة ، بيروت.

13 – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : تأليف الحافظ شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبى (ت 747 ه) ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمرى ، الطبعة الأولى 1407 ه ، دار الكتاب العربى ، بيروت.

14 – تأريخ بغداد : للحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى بيروت ، نشر دار الكتاب العربى.

15 – تذكرة الحفاظ : تأليف الحافظ أبى عبد الله شمس الدين محمد الذهبى (ت 748 ه) ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمى ، نشر دار إحياء التراث العربى.

16 – تهذيب التهذيب : تأليف الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت 582 ه) الطبعة الأولى 1404 ه ، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

17 – تهذيب الكمال فى أسماء الرجال : تأليف الحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف المزى (742 ه) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، الطبعة الثانية 1403 ه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

18 – الجرح والتعديل : تأليف الحافظ أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى (ت 327 ه) ، الطبعة الأولى ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – الهند ، 1371 ه ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت.

19 – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : للحافظ أبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى (ت 430 ه) الطبعة الرابعة 1405 ه ، دار الكتاب العربى ، بيروت.

20 – حياة الحيوان الكبرى : تأليف الشيخ كمال الدين الدميرى ، دار الفكر ، بيروت.

21 – الخصال : للشيخ الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى ، تصحيح وتعليق على أكبر الغفارى ، نشر جماعة المدرسين – قم.

22 – دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : تأليف أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى (ت 458 ه) ، تحقيق الدكتور عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى 1405 ه.

23 – رجال صحيح مسلم : تأليف المحدث أبى بكر أحمد بن على بن منجويه

الأصبهانى (428 ه) تحقيق عبد الله الليثى، الطبعة الأولى 1407 ه ، دار المعرفة بيروت.

24 – روضات الجنات : للعلامة المتتبع الميرزا محمد باقر الموسوى الخوانسارى الأصبهانى ، نشر مكتبة اسماعيليان ، طهران 1390 ه.

25 – سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار : تأليف الشيخ عباس القمى ، دار التعارف بيروت.

26 – السنن الكبرى : تأليف الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى (458 ه) ، دار المعرفة ، بيروت.

27 – سير أعلام النبلاء : تأليف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت 748 ه) الطبعة الثالثة 1405 ه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

28 – السيرة النبوية : لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ حلبى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت.

29 – شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة.

30 – الصحاح : لإسماعيل بن حماد الجوهرى ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، دار العلم للملايين.

31 – طبقات المفسرين : للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت 911 ه) ، ضبط لجنة من العلماء ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى 1403 ه.

32 – طبقات المفسرين : للحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى (945 ه) ، ضبط لجنة من العلماء ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى 1403 ه.

33 – الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز : تأليف يحيى بن حمزة ابن على بن إبراهيم العلوى اليمنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1402 ه.

34 – العبر فى خبر من غبر : للحافظ الذهبى (ت 748 ه) تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيونى زغلول ، الطبعة الأولى 1405 ه دار الكتب العلمية بيروت.

35 – الفائق فى غريب الحديث : تأليف العلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشرى (ت 538 ه) ، تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار

المعرفة ، بيروت.

36 – القاموس المحيط : تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، دار الفكر ، بيروت 1403 ه.

37 – الكامل فى التأريخ : تأليف الشيخ أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيبانى المعروف بابن الأثير ، دار صادر ، بيروت 1402 ه.

38 – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : تأليف العلامة جار الله محمود بن عمر الزمخشرى (ت 538 ه) ، دار المعرفة ، بيروت.

39 – كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال : تأليف علاء الدين على المتقى بن حسام الهندى البرهان فورى (ت 975) ، ضبط وتصحيح الشيخ بكرى حياتى والشيخ صفوه السقا ، الطبعة الخامسة 1405 ه ، مؤسسة الرسالة بيروت.

40 – الكنى والألقاب : تأليف الشيخ عباس القمى ، مطبعة العرفان صيدا 1358.

41 – لسان العرب : لأبى الفضل جمال الدين أحمد بن مكرم بن منظور الإفريقى المصرى ، قم ، نشر أدب الحوزة.

42 – لسان الميزان : تأليف الحافظ شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (ت 852 ه) ، الطبعة الثانية 1390 ه ، نشر مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت ، أوفست على الطبعة الأولى المطبوعة فى حيدر آباد سنة 1329 ه.

43 – مجمع الأمثال : تأليف أبى الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابورى الميدانى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة 1393 ه ، دار الفكر ، بيروت.

44 – مجمع البحرين : للشيخ فخر الدين الطريحى ، تحقيق السيد أحمد الحسينى ، الطبعة الثانية ، طهران.

45 – المحجة البيضاء فى تهذيب الإحياء : تأليف المحدث الكبير محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الكاشانى (ت 1091 ه) ، تصحيح على أكبر الغفارى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة النشر الإسلامى – قم.

46 – مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان : تأليف أبى محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى المكى (ت 768 ه) الطبعة الثانية ، 1390 ه ، نشر مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، أوفست على الطبعة الأولى المطبوعة فى حيدر آباد 1337 ه.

47 – مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : تأليف صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى (ت 739 ه) تحقيق على محمد البجاوى ، الطبعة الأولى 1373 ه ، دار المعرفة بيروت.

48 – المستدرک على الصحيحين فى الحديث : تأليف الحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى (ت 405 ه) ، دار الفكر بيروت 1398 ه.

49 – المستفاد من ذيل تأريخ بغداد : للحافظ محب الدين أبى عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى (ت 643 ه) انتقاء كاتبه أحمد بن أيبک بن عبد الله الحسينى المعروف بابن الدمياطى (749) ، تحقيق الدكتور قيصر أبو فرح ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت.

50 – المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير : تأليف العلامة أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى (ت 770 ه) أوفست دار الهجرة فى إيران 1405 ه.

51 – معجم الأدباء : تأليف أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى (ت 626 ه) الطبعة الثالثة 1400 ه ، دار الفكر ، بيروت.

52 – معجم البلدان : تأليف شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى ، دار صادر ، بيروت 1399 ه.

53 – معجم رجال الحديث : لآية الله العظمى السيد الخوئى (دام ظله) ، الطبعة الثالثة ، بيروت 1403 ه.

54 – معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : تأليف عمر رضا كحالة ، الطبعة الثالثة 1402 ه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

55 – المفردات فى غريب القرآن : تأليف أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502 ه) تحقيق محمد سيد كيلانى ، الطبعة الثانية ، المكتبة المرتضوية.

56 – الملل والنحل : تأليف أبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، تخريج محمد فتح الله بدران ، الطبعة الثانية ، مكتبة الإنجلو المصرية ، القاهرة.

57 – ميزان الاعتدال فى نقد الرجال : تأليف أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت 748 ه) ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار المعرفة ، بيروت.

58 – النهاية فى غريب الحديث والأثر : لأبى السعادات المبارک بن محمد الجزرى

(ابن الأثير) ، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناجى ، نشر المكتبة الإسلامية.

59 – هدية العارفين : تأليف إسماعيل باشا البغدادى ، دار الفكر 1402 ه.

60 – الوفا بأحوال المصطفى : تأليف أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (ت 597 ه) تحقيق مصطفى عبد الواحد ، الطبعة الأولى 1386 ه ، دار الكتب الحديثة.

61 – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : تأليف أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (ت 681 ه) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر بيروت (1398 ه).

* * *

من أنباء التراث

كتب ترى النور لأول مرة

* ديوان أبى المجد

نظم : الفقيه الأديب الشيخ أبى المجد محمد رضا بن محمد حسين النجفى الأصفهانى (1287 - 1362 ه).

تحقيق : السيد أحمد الحسينى.

صدر فى قم مؤخرا.

* التحرير الطاووسى

تأليف : الشيخ حسن بن الشهيد الثانى زين الدين بن على الجبعى العاملى - صاحب «معالم الأصول» - ، المتوفى سنة 1011 ه.

وهو كتاب رجالى مبوب على الحروف مقتبس من كتاب «حل الإشكال فى معرفة الرجال» للسيد أحمد بن طاووس

- المتوفى سنة 673 ه - مع إضافة بيانات وتعليقات عليه من قبل المؤلف - قدس سره -.

تحقيق : السيد محمد حسن ترحينى.

نشر : مؤسسة الأعلمى - بيروت.

كما يقوم بتحقيقه : فاضل الجواهرى معتمدا فى عمله على ثلاث نسخ مخطوطة ، هى :

1 - نسخة كتبت سنة 1010 ه ، فى مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم ، تحت رقم 1457 ضمن مجموعة.

2 - نسخة كتبت سنة 1060 ه ، فى مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم ، تحت رقم 3112 ضمن مجموعة.

3 - نسخة كتبت فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى ، فى مكتبة مشكاة التابعة

من أنباء التراث.

ص: 247

للمكتبة المركزية لجامعة طهران ، تحت رقم 588.

وسوف يصدر الكتاب من منشورات مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم.

* كنز الدقائق وبحر الغرائب ، ج 1

تأليف : الشيخ محمد بن محمد رضا بن إسماعيل المشهدى القمى ، المتوفى حدود سنة 1125 ه.

تحقيق : الشيخ مجتبى العراقى.

صدر الجزء الأول منه إلى نهاية تفسير سورة البقرة ، وراجع عن مخطوطات الكتاب : «تراثنا» العدد الرابع ، السنة الأولى ، ربيع 1406 ه.

نشر : مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين فى الحوزة العلمية - قم.

* حسن المقصد فى عمل المولد

تأليف : جلال الدين السيوطى (849 - 911 ه).

كتب السيوطى هذه الرسالة فى تحسين عمل المولد النبوى الشريف ردا على من أفتى بتحريمه وابتداعه كالشيخ عمر بن على الفاكهانى ، مستشهدا فى ذلک بالأحاديث النبوية الشريفة والحجج العلمية والأحداث التاريخية.

تحقيق : محمد سعيد الطريحى.

نشر : مؤسسة البلاغ - بيروت ، الطبعة الأولى سنة 1407 ه.

* التعليقة على أصول الكافى

تأليف : المعلم الثالث ، السيد محمد باقر ، المشتهر بالداماد (1041 ه).

تحقيق : السيد مهدى الرجائى.

نشر : مكتبة السيد الداماد - أصفهان.

كتب صدرت محققة

* ديوان الإمام على - عليه السلام -

تحقيق : محمد عبد المنعم الخفاجى.

نشر : دار ابن زيدون فى بيروت ، ومكتبة الكليات الأزهرية فى القاهرة.

وكان عبد العزيز سيد الأهل قد جمع وشرح شعره – عليه السلام – وصدر كتابه باسم «من الشعر المنسوب إلى الإمام الوصى على بن أبى طالب – عليه السلام –» من منشورات دار بيروت للطباعة والنشر.

كما يقوم الشيخ محمد باقر المحمودى بجمع شعره عليه السلام وتحقيقه.

* إيضاح ترددات الشرائع

تأليف : نجم الدين جعفر بن الزهدرى الحلى ، من أعلام القرن الثامن الهجرى وتلميذ العلامة الحلى.

ص: 248

تحقيق : السيد مهدى الرجائى.

نشر : مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم.

وقد قوبل الكتاب على نسختين من القرن الثامن الهجرى أيضا ، وصدر جزءاه فى مجلد واحد.

* الوسيلة إلى نيل الفضيلة

تأليف : عماد الدين محمد بن على بن حمزة الطوسى المشهدى ، من أعلام القرن السادس الهجرى.

تحقيق : الشيخ محمد الحسون.

نشر : مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم.

ولمزيد الاطلاع على مخطوطاته راجع «تراثنا» العدد الرابع ، السنة الأولى ، ربيع 1406 ، ص 227.

* الأربعون حديثا

تأليف : الشيخ محمد بن مكى العاملى ، المشتهر بالشهيد الأول (734 - 786 ه).

تحقيق ونشر : مدرسة الإمام المهدى عليه السلام - ، فى قم.

* شرح أصول الكافى ، ج 1

تأليف : صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازى ، المشتهر بالملا صدرا ، المتوفى

سنة 903 ه.

تصحيح : محمد الخواجوى.

نشر : مؤسسة المطالعات والبحوث الثقافية - طهران.

صدر منه ما يخص كتاب «العقل والجهل» من أصول الكافى لشقة الإسلام الكلينى ، وكان الكتاب فيما سبق مطبوعا على الحجر فى إيران.

* خطبتان

الخالية من الألف والخالية من النقطة ، للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

تحقيق : على محمد على دخيل.

نشر : المعرض الدائم للكتاب - طهران.

صدر فى 48 صفحة من القطع الجيبى.

* درر السمط فى خبر السبط

تأليف : أبى عبد الله محمد بن أبى بكر القضاعى ، الشهير بابن الأبار (595 - 658 ه).

تحقيق : الدكتور عز الدين موسى.

نشر : دار الغرب الإسلامى - بيروت 1407 ه.

كتاب فى مقتل الإمام الحسين عليه السلام ، على طراز إنشاء المقامات ، وكان قد طبع فى تطوان سنة 1972 م بتحقيق الدكتور عبد السلام الهراس وسعيد

ص: 249

أحمد أعراب.

* النوادر

تأليف : الشيخ الجليل أحمد بن محمد ابن عيسى الأشعرى القمى ، من أعلام المحدثين فى القرن الثالث الهجرى.

تحقيق ونشر : مدرسة الإمام المهدى – عليه السلام – ، فى قم.

أصل روائى ثمين ، كان قد طبع قديما على الحجر منضـما إلى كتاب فقه الإمام الرضا عليه السلام ، ثم حقق مؤخرا وصدر ضمن منشورات المدرسة المذكورة.

طبعات جديدة لمطبوعات سابقة

* أنصار الحسين – عليه السلام – تأليف : الشيخ محمد مهدى

شمس الدين.

والكتاب دراسة عن أصحاب الإمام

الحسين – عليه السلام – الذين استشهدوا معه فى واقعة الطف.

أعاد طبعه بالأوفسيت قسم الدراسات

الإسلامية فى مؤسسة البعثة – طهران.

* كتاب الطهارة

تأليف : الشيخ الأعظم مرتضى

الأنصارى (1281 ه).

طبع الكتاب فى سنة 1298 ه على الحجر ، ثم أعادت طبعه مؤخرا بالأوفسيت مؤسسة آل البيت – عليهم السلام – لإحياء التراث ، فى قم.

* الشيعة والحاكمون

تأليف : الشيخ محمد جواد مغنية ، المتوفى سنة 1400 ه.

أعادت مكتبتا الشريف الرضى

والزاهدى فى قم طبعه بالأوفسيت على الطبعة البيروتية ، والكتاب عرض لما مر به الشيعة فى ظل الحكومات المختلفة عبر العصور.

* جامع الأخبار

تأليف : تاج الدين محمد بن محمد الشعيرى ، من أعلام القرن السادس الهجرى.

أعادت مؤسسة الأعلمى فى بيروت

طبعه مؤخرا.

* القضاء

تأليف : الشيخ ميرزا محمد حسن الآشتيانى ، المتوفى سنة 1319 ه.

طبع الكتاب فيما سبق ، ثم أعادت دار الهجرة فى قم طبعه ثانية مع تصحيح الأغلاط المطبعية.

ص: 250

* شعراء الغرى

تأليف : على الخاقانى.

أعادت مكتبة آية الله المرعشى العامة فى قم طبعه بالأوفسيت على طبعة النجف الأشرف ، وقد صدر فى 12 مجلدا.

* مناقب أمير المؤمنين - عليه السلام -

تأليف : ابن المغازلى ، أبى الحسن على ابن محمد بن الطيب ابن الجلابى الواسطى ، المتوفى سنة 483 ه.

أعادت دار الأضواء فى بيروت طبعه بالأوفسيت سنة 1406 ه على طبعة طهران.

* الحدائق الناضرة فى أحكام العترة الطاهرة

تأليف : المحدث الشيخ يوسف البحرانى ، المتوفى سنة 1186 ه.

كان قد طبع على الحجر غير مرة ، ثم طبعته دار الكتب الإسلامية فى النجف الأشرف بتحقيق الشيخ محمد تقى الإيروانى وصدر فى 15 جزءا فأعادت مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين فى الحوزة العلمية فى قم طبعه بالأوفسيت ، كما تبنت المؤسسة المذكورة تتميم طبع الكتاب وإخراج بقية أجزائه فأصدرت من ذلك

الأجزاء 21 و 22 و 23 ولا تزال مشغولة بإخراج الأجزاء الأخرى.

* تبصرة المتعلمين فى أحكام الدين

تأليف : العلامة الحلى ، جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر ، المتوفى سنة 726 ه.

تحقيق : السيد أحمد الحسينى والشيخ هادى اليوسفى.

أعادت طبعه للمرة الثالثة مؤسسة الأعلمى فى بيروت.

* معالى السبطين فى أحوال السيدين الإمامين الحسن والحسين - عليهما السلام -

تأليف : الشيخ محمد مهدى الحائرى ، من أعلام القرن الرابع عشر الهجرى.

طبع الكتاب فى النجف الأشرف عدة مرات ، ثم أعادت منشورات الرضى فى قم طبعه بالأوفسيت مؤخرا على طبعة المكتبة الحيدرية فى النجف الأشرف سنة 1374 ه.

* الكلام المفيد للمدرس والمستفيد

فى شرح الصمدية.

تأليف : الشيخ محمد على المدرس ، المتوفى سنة 1407 ه.

نشر : دار الهجرة – قم ، الطبعة الثانية.

ص: 251

صدر حديثا

* فهرس مخطوطات مكتبة آية الله المرعشى العامة ، ج 14.

إعداد : السيد أحمد الحسينى.

نشر : مكتبة آية الله المرعشى العامة – قم.

* الأعلام فى كتاب معجم البلدان

تأليف : عبد الحسين الشبسترى.

نشر : دار إحياء التراث العربى – بيروت.

يضم الكتاب ترجمة حياة الأعلام المذكورين فى «معجم البلدان» لياقوت الحموى – المتوفى سنة 626 ه ، وعددهم 3398 علما مرتبين على حروف المعجم مع ذكر مصادر ترجمتهم.

* شرح الأربعين النبوية

تأليف : السيد محمد حسين الجلالى.

نشر : مؤسسة الأعلمى – بيروت.

جمع وشرح لأربعين حديثا نبويا انتقاها المؤلف.

* مبعوث الحسين – عليه السلام –

دراسة تحليلية لأول مراحل ثورة الإمام

الحسين – عليه السلام – فى الكوفة بقيادة مسلم بن عقيل – عليه السلام –.

تأليف : محمد على عابدين.

نشر : مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين فى الحوزة العلمية – قم.

* أهل البيت

تأليف : محمود على الشرقاوى.

نشر : المكتبة العصرية – بيروت.

* نظام الحكم فى الإسلام

أو النبوة والإمامة عند نصير الدين الطوسى (672 ه).

تأليف : الدكتور على مقلد.

نشر : دار الكتب العلمية - بيروت.

* الرسالة الصلاتية الصغرى

تأليف : الشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور البحرانى.

نشر : مكتبة الشيخانى - قم.

كتب تحت الطبع

* فتح الأبواب بين ذوى الألباب وبين رب الأرباب

تأليف : السيد رضى الدين على بن موسى بن جعفر بن طاووس

ص: 252

(589 – 664 ه).

تحقيق : حامد الخفاف.

والكتاب سفر ثمين ، نادر فى موضوعه ، يبحث موضوع الاستخارفة .. أنواعها ، كيفيتها .. فى أربعة وعشرين بابا تشتمل على فصول.

اعتمده جمع من أصحاب الموسوعات الروائية ، كشيخ الإسلام المجلسى فى «بحار الأنوار» والحر العاملى فى «وسائل الشيعة» ، وخاتمة المحدثين الشيخ النورى فى «مستدرک الوسائل».

وقد اعتمد المحقق فى عمله على ثلاث نسخ مخطوطة ، هى :

1 – نسخة مكتبة آية الله المرعشى العامة ، فى قم ، ضمن المجموعة المرقة 2255.

2 – نسخة مكتبة الإمام الرضا – عليه السلام – ، فى مشهد ، تحت رقم 1757 ، صححها الشيخ محمد الحر – جد صاحب «وسائل الشيعة» – سنة 945 ه.

3 – نسخة المكتبة المركزية لجامعة طهران ، تحت رقم 2319 ، بخط علم الهدى – ابن الفيض الكاشانى –.

هذا ، وسيصدر الكتاب من منشورات مؤسسة آل البيت – عليهم السلام – لإحياء التراث ، فى قم ، ضمن سلسلة مصادر بحار الأنوار.

* الرعاية شرح البداية فى علم الدراية

تأليف : الشهيد الثانى ، الشيخ زين الدين بن على العاملى (911 – 965 ه).

تحقيق : عبد الحسين محمد على بقال.

وسيصدر ضمن منشورات مكتبة آية الله المرعشى العامة – قم.

* الجزيرة الخضراء وقضية مثلث برمودا

تأليف : الشيخ ناجى النجار.

هو بحث تحقيقى موسع حول قصة الجزيرة الخضراء وارتباطها بحياة الإمام المهدى – عليه السلام – مع ربطه بدراسة علمية مفصلة لظاهرة مثلث برمودا والأشياء الطائرة ، وهى المحاولة الأولى فى هذا المجال لمعالجة غرابة هذه الظاهرة على ضوء ما وجده المؤلف من تشابه بينها وبين قصة الجزيرة.

هذا ، وكان البحث قد ترجم بتلخيص إلى اللغة الفارسية وطبعت الترجمة عدة مرات ، وكان الكتاب قد طبع لأول مرة فى بغداد سنة 1399 ه.

* رسائل الفارابى المنطقية

تحقيق : الأستاذ محمد تقى دانش بژوه.

سيصدر فى ثلاثة مجلدات من منشورات مكتبة آية الله المرعشى العامة – قم.

ص: 253

كتب قيد التحقيق

* الأربعين عن الأربعين فى فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)

تأليف : الشيخ المفيد أبى سعيد محمد ابن أحمد بن الحسين الخزاعى النيسابورى ، من أعلام المحدثين فى القرن الخامس الهجرى.

يقوم بتحقيقه الشيخ محمد باقر المحمودى ، وكانت مدرسة الإمام المهدى – عليه السلام – فى قم قد أعلنت عن تحقيقه قبل مدة.

* اللهوف على قتلى الطفوف

تأليف : السيد رضى الدين على بن موسى بن جعفر بن طاووس ، المتوفى سنة 664 ه.

يقوم بتحقيقه : غالب حسن الشابندر.

وسيصدر ضمن منشورات مركز الدراسات والبحوث العلمية – بيروت.

* شرح جمل العلم والعمل

تأليف : الشريف المرتضى علم الهدى أبى الحسن محمد بن الحسين ، المتوفى سنة

406 ه.

ألفه لتلميذه شيخ الطائفة أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى ، المتوفى سنة 460 ه.

يقوم بتحقيقه : الشيخ يعقوب الجعفرى المراغى.

* النص الجلى فى إمامة أمير المؤمنين على – عليه السلام –

تأليف : السيد هاشم البحرانى ، المتوفى سنة 9 – 1107 ه.

يقوم بتحقيقه : السيد محمد منير الحسينى الميلانى.

* مقتل الحسن – عليه السلام – مقتل الحسين – عليه السلام –

وهما مستلان من كتاب «مقاتل الطالبيين» من تأليف أبى الفرج على بن الحسين الأصفهانى – صاحب كتاب «الأغانى» – ، (284 – 356 ه).

يقوم بتحقيقهما : السيد مصطفى مرتضى القزوينى.

وسيصدر ضمن منشورات مركز الدراسات والبحوث العلمية – بيروت.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹